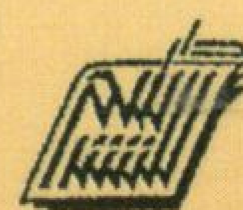
حمادي الزنكري

عبد الحميد الكاتب
آثاره وحياته







دار سحر للنشر

إهداء ٢٠١٠

الاستاذ الدكتور / خالد عزب

جمهورية مصر العربية

عبد الحميد الكاتب

الكتاب : عبد الحميد الكاتب : حياته و آثاره
المؤلف : حمادي الزنكري
الناشر : دار سحر للنشر – كلية الآداب والعلوم الانسانية
الطبعة لأول 2007
سعر النسخة : 12د – 15€
ر.د.م.ك : 978-9973-28-219-4

حمادي الزنكري

عبد الحميد الكاتب
آثاره وحياته

كلية الآداب والعلوم الانسانية القيروان

دار سحر

المقدّمة

مرّ النّثر العربيّ بتطوّرات عديدة بحكم التّغيّرات الحضاريّة والسّياسيّة والمؤثّرات الدّاخلية والخارجيّة الّتي توالت عليه. وكان للكثير من الرّواد الأوائل يد طولى في توجيه مضامينه وأساليبه وذلك بما ساهموا به من إبداعات فرضت وجودها وفائدتها في عصورها كما فرضت بقاءها والاستفادة منها بعد عصورها. ويحتلّ عبد الحميد الكاتب مكانة مرموقة بين هؤلاء الرّوّاد فالرّسائل الوفيرة التي ألّفها في أوائل القرن الثّاني للهجرة فسحت للنّثر العربيّ المجال نحو وظائف وأساليب جديدة، وعلى الرّغم من اختفاء اسم عبد الحميد وراء أسماء أقرانه من المترسّلين الكبار أمثال عبد الله بن المقفّع وسهل بن هارون والجاحظ... وغيرهم فهو لا يزال ممثّلا أصيلا للنّثر العربيّ في أقدم أشكاله المكتوبة أعني : الرّسالة.

ودعتني هذه المكانة لعبد الحميد الكاتب إلى الاهتمام به اهتماما ازداد لأسباب أخرى أخصّها:

- أنّه فتح للّغة العربيّة آفاقا تعبيريّة واسعة فقد جدّد مواضيع الرّسالة ونوّعها وبعد أن كانت قبله مجرّد خواطر وبدائه سياسيّة أو وعظية تفتقر إلى عناصر التّحليل صارت معه نصحا وسخرية، ترغيبا وتهديدا، شكرا وعتابا، مدحا وذمّا. ورسائله بما دلّت عليه من رصانة وتروّ في الفكر وصبر على تحليل الغرض وتنويع في أساليب عرضه، تعدّ منارة يستدلّ بها الكاتب والنّاقد على نفاذ النّصوص النّثرية في أداء المعنى المطلوب مهما كان هذا المعنى مستعصيا على النّثر قريبا من الشّعر.
- أنّه استطاع أن يتحرّر من الظّواهر اللغوية السّائدة في النّثر كبداوة اللغة وقوّة اللّهجة وإيجاز القول وما إلى ذلك من العادات الخطابيّة. وما تمّ هذا إلاّ بفضل ما وفّره من توسّع وتفنّن في التّعبير على مستويات اللّفظة والجملة والتّركيب والفكرة.
- أن رسالته إلى الكتّاب تعدّ حجر الزّاوية للإدارة الإسلاميّة فقد اتّضحت بها مهمّا تهم الدّيوانيّة وأدوارهم السّياسيّة وآدابهم المهنيّة والعامّة.

ولذلك فكرت في إنجاز بحث انطلق فيه من هذه الرّسالة لاستجلاء مساهمة عبد الحميد الكاتب في تركيز الأصول الأولى للنّثر الفنّيّ وفي تأسيس الإدارة الإسلاميّة وعرضت الفكرة على أستاذي الدّكتور محمود طرشونة. فأبدى استعداده للإشراف على هذا البحث إلاّ أنّه نصحني بعدم الاكتفاء بدراسة هذه الرّسالة إلى الكتّاب. إذ مهما كانت هذه الدّراسة وافية أو عميقة فهي ستبقى جزئيّة نظرا لكثرة رسائل عبد الحميد وتشعّب مواضيعها فضلا عن أساليبها، هذا إضافة إلى فقدان الدّراسات الشّاملة الخاصّة بهذا الكاتب الشّهير. وهو نقص جعل شهرة عبد الحميد غير ذات أساس متين فلم تساندها نصوص واضحة ومجموعة لآثاره ودراسة تلقي الأضواء على هذه الآثار.

ووجدت في ملاحظة أستاذي وفي نصائحه حافزا إلى دراسة هذا الكاتب من الجوانب الّتي اقترحها عليّ.

بدأت هذا البحث بمحاولة حصر آثار عبد الحميد وجمع متناثرها في المصادر وشرح غوامضها اللّغوية. فهذه الآثار هي المرجع الأصليّ لمعرفة الرّجل واتّجاهاته.

وجهدت إثر ذلك في أن أحيط بأقوال المؤلّفين القدامى والمعاصرين في كاتبنا قاصدا بذلك الكشف عن جوانب شخصيّته وعن نزعاتها واهتماماتها وكذلك عن الصّدى الّذي أبقته في الأدب العربيّ عامّة وفي النّثر الفنّيّ خاصّة.

وانتهيت بتحليل مواضيع الرّسائل وأساليبها.

واعترضتني أثناء إنجاز هذا البحث صعوبات شتّى يمكن إجمالها في اثنتين:

- أولاهما أنّ عبد الحميد الكاتب جمع بين العمل السّياسيّ والنّشاط الإداريّ والخلق الأدبيّ ولم يكن من السّهل دائما التّفريق بين هذه النّزعات قصد استجلاء غوامضها وتفهّمها التّفهّم الكافي وخاصّة أن من عادة عبد الحميد أن يدمج المعنى داخل المعنى والقضيّة داخل القضيّة في تركيب هندسيّ خاصّ وهو أحيانا يطيل في عرض المسألة وأحيانا يكتفي بالإشارة الخاطفة معتمدا على فطنة القارئ.
- والثّانية كانت على مستوى الآثار الّتي خلّفها عبد الحميد. فقد تبيّن لي أثناء جمعها أنّ المصادر القديمة قلّما اتّفقت في رواية نصوص هذه الآثار. ودعاني هذا الاختلاف في الرّوايات إلى المقارنة بينهما وإلى إدراج نصّ اجتهدت في أن يكون الأوفق. ولم أشكّ أن اجتهادي يحتاج إلى المراجعة فمثل هذا العمل موكول إلى دراية واسعة باللّغة وبفنّيات في التّحقيق لا ادعي امتلاكها.

وقسّمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب :

- **الباب الأوّل :** التّعريف بعبد الحميد الكاتب. وكان اعتمادي فيه على نصوص الرّسائل أوّلا وعلى ما قيل عنه في المصادر في المحلّ الثّاني وحاولت في ثنايا هذا الباب أن أبرز العلاقة العضويّة بين محيط الرّجل وبين نشاطه السّياسيّ والإداريّ والفنّيّ.
- **الباب الثاني :** دراسة آثاره وكانت أقسام هذا الباب ثلاثة :
  - الأوّل عرضت فيه الآثار ورتّبتها حسب أغراضها البيّنة.
  - الثّاني اجتهدت أن أبرز خلاله المضمون السّياسيّ والإداريّ والذّاتيّ لهذه الآثار.
  - الثّالث انصبّ اهتمامي فيه على الجانب الفنّيّ من الآثار أي اللغة والتّراكيب والخصائص البلاغيّة وختمت هذا القسم بإجمال الحديث عن مكانة عبد الحميد الكاتب في النّثر العربيّ.

وحاولت في هذا الباب الثّاني أن أكون وفيّا لشخصيّة عبد الحميد الكاتب ولروحه الفنيّة.

- **الباب الثالث :** جمعت في هذا الباب مختلف آثار عبد الحميد الكاتب مبوّبة. وقسّمته إلى الأقسام التّالية :
  - الأول : الرّسائل الثّابتة نسبتها إليه.
  - الثّاني : أقواله المأثورة.
  - الثّالث : أشعاره.
  - الرّابع : الرّسائل المشكوك في نسبتها إليه.
  - الخامس : أخباره (كما وردت في المصادر القديمة وأردتها مرجعا نصيّا يستغني به الباحث عن الرّجوع إلى هذه المصادر).

وختمت جملة العمل بكشف عن قائمة أهمّ المصادر والمراجع الّتي استعملتها وبمجموعة من الفهارس.

وأتمنّى في آخر هذه التّوطئة أن أكون ساهمت في التّعريف بأحد أعلام النّثر العربيّ وأن أكون اتّبعت مناهج البحث الّتي لا نصل بدونها إلى غير التّعمية والتّضليل، ومن الّذي ما أخطأ قطّ ؟

ولا يفوتني أن أجدّد صادق اعترافي وخالص شكري إلى أستاذي المشرف الدّكتور محمود طرشونة الّذي لم يبخل على بوقته وصبره وكم وسع صدره عثراتي وأعانني على تخطّيها. وعلّمني أن للدّراسة الجدّيّة مشاقّ ومخاطر لا نستطيع تجاوزها بغير الإخلاص في النّيّة والجدّ في العمل ؟

الباب الأول : التعريف بعبد الحميد

تحليل مصادر الترجمة.

1- التعريف به
2- أسرته وعقبه
3- نشأته
4- ثقافته وشيوخه
5- عمله في الدّواوين
6- منزلته الاجتماعية
7- نشاطه السّياسي
8- صيته وتلامذته
9- عاقبة أمره

تحليل مصادر التّرجمة

أ- الآثار

تعدّ رسائل عبد الحميد الكاتب وكذلك أشعاره وأقواله المأثورة المصدر الأساسيّ للتّعريف به فتتبّعها يمكّن من استخراج بعض المعلومات الهامّة عن أعماله الإداريّة وعن بعض نشاطاته ونزعاته السّياسيّة. لكنّ هذه المعلومات تبقى محدودة بسبب التّضارب والنّقص اللاّحق بالنّصوص الأصلية للآثار.

ب- كتب الأدب والتّراجم وكتب الكتّاب :

ومن الصّعب -إن لم يكن من المستحيل- أن نجد كاتبا قديما اعتنى بشخصية عبد الحميد اعتناء كافيا فخصّص له ترجمة شاملة. فكتب الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربّه لا تتعرّض إليه إلاّ في إشارات خاطفة. كما أنّ كتب الكتّاب وخاصّة منها ما ألّفهُ الجاحظ (ذمّ أخلاق الكتاب) وأبو موسى البغدادي (كتاب الكتّاب) والصّولي (أدب الكتّاب) والقلقشنديّ (صبح الأعشى) لا تتحدث عن عبد الحميد إلاّ للإشادة بنبوغه على غيره من أصحاب صناعته.

ولعلّ أهمّ مصدر قديم خصّصت فيه لعبد الحميد أخبار متنوّعة يمكن أن تستجمع منها بعض فصول من حياته هو كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري. لكنّ أهمية هذا الكتاب محدودة لأن صاحبه ألحّ في الأخبار الّتي رواها على النّاحية الثّقافية على حساب النّشاطين الإداريّ والسّياسيّ.

واستأثرتِ السّطور القليلة الّتي كتبها ابن النديم في الفهرست عن عبد الحميد بعناية كثير من المصنّفين القدامى ومن الدّارسين المعاصرين.

وحاول كل من الثّعالبي في ثمار القلوب وابن نباته في سرح العيون والشّرشي في شرح مقامات الحريريّ أن يؤلّفوا ترجمة مقبولة لعبد الحميد لكنّ مختاراتهم الأدبية طغت على هذه التّرجمة.

واكتفى ابن خلكان في الوفيات باختيار بعض الأخبار ممّن سبقه مع بعض التّصرّف.

ج- كتب التّاريخ والبلدان

ومهما كانت هذه المؤلّفات أوّليّة في التّعرف على عبد الحميد الرّجل والموظّف فلا يمكن أن تغنينا عن بعض مصنّفات التّاريخ والبلدان كمعارف ابن قتيبة وتواريخ الطّبري والخطيب البغداديّ وابن عساكر والمسعوديّ واليعقوبيّ وابن الأثير وكمسالك

الاصطخري. فهذه الكتب توضّح إشارات غامضة وردت في المصادر السّابقة إذ تربطها بالحوادث السّياسيّة.

د- الدّراسات المعاصرة

يرجع الفضل الأوّل في إحياء شخصية عبد الحميد الأدبيّة في العصر الحديث إلى محمد كردي علي فقد جمع قسما كبيرا من أخباره في رسائل البلغاء وتبسّط في ترجمته في أمراء البيان ولئن اهتدينا إلى أكثر الموارد الّتي استمد منها معلوماته فإنّنا مازلنا متعطّشين إلى البقيّة الباقية منها.

واستأثر عبر الحميد في الطّبعة الثّانية من دائرة المعارف الإسلامية باهتمام المستشرق هاملتون جيب فخصّص له فصلا مختصرا وواضحا.

واهتمّ بعض دارسي النّثر الفنّيّ المعاصرين بحياة عبد الحميد فصدّروا أحاديثهم عن رسائله بترجمات مختصرة له، ونذكر منهم خاصّة شوقي ضيف في "الفنّ ومذاهبه في النّثر العربي" وحسين نصّار في "نشأة الكتابة الفنّية في الأدب العربيّ".

ودفعني نقصان الشّمول والدّقة في التّرجمات الواردة في هذه الكتب إلى إمعان النّظر في حياة عبد الحميد مستغلا في ذلك رسائله أولا والأخبار الّتي تناقلتها المصادر عنه ثانيا والاستنتاجات الّتي توصّلت إليها الدّراسات المعاصرة ثالثا.

وحاولت أثناء كلّ ذلك أن أوضّح العلاقة بين البيئة والنّص وكان أكثر اهتمامي عند تعريفي به منصبّا على الجوانب الّتي يمكن استغلالها فيما بعد أثناء دراسة آثاره.

1- التّعريف به

أ- الاسم :

هو حسب أغلب المصادر وأتمّها روايـــة عبد الحميـــد بن يحي بن سعد [1] (أو ابن سعيد) [2] نسبة إلى عامر بن لؤي أحدى البطون القرشيّة العدنانيّة.

ب- الأصل :

أرجعه المسعوديّ إلى أصل عربيّ فسمّاه "عبد الحميد بن يحي بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب" [3] (...) ابن عدنان. أما بقيّة الرّوايات فترجّح أن جدّه سعدا كان مولى للعلاء بن وهب العامريّ من عامر بن لؤي [4]. وفي رواية [5] "كان جدّه من سبي القادسيّة" [6].

---

[1] مروج الذهب، ج 3 : 263 – وفيات الأعيان، ج 3 : 228 – البداية والنهاية، ج 10 : 55.
[2] شرح مقامات الحريريّ، ج 4 : 67 – ثمار القلوب : 165 – سرح العيون : 130.
[3] التّنبيه والإشراف : 328. ويمكن فهم قول المسعودي على المجاز فكيرا ما ينسب المولى إلى سيّده نسبة الابن إلى أبيه.
[4] تاريخ الطّبري، ج 8 : 839 – الوزراء والكتّاب : 72 – وفيات الأعيان، ج 3 : 228 – ثمار القلوب : 155 – البداية والنهاية، ج 10 : 55.
[5] أمراء البيان، ج 1 : 41، ولم يذكر محمّد كرد علي مصدره.
[6] وقع فتح القادسية على يد سعد ابن أبي وقاص في معركة ضدّ الفرس سنة 635/14 ويبدو أنّه كان للسّبي في العراق شأن في تسرّب

فالأغلب إذن أنّ عبد الحميد من أصل غير عربيّ، وأن جدّه سعد انضمّ إلى قبيلة عامر بن لؤيّ بعد سبيه في وقعة القادسيّة.

ومن المرجّح كذلك أنّه فارسيّ الأصل. وبالفعل عدّه الجاحظ من المترسّلين الفرس [1]، ولاحظ الاصطخري أيضا أنّه "ممن يصلح من الفرس للدّواوين وأن له في بني أميّة ولاء ينسب (به) إليهم" [2].

ج- الكنية :

- أبو غالب : كنّاه هكذا ابن خلّكان [3]، ولم يشر إلى سبب هذه الّكنية. ولعلّها إشارة إلى أحد أبنائه أو إلى "غالب" أحد أجداد قبيلة عامر بن لؤيّ [4].

- أبو المهاجر : عرف بها في مصرع عن طريق أحفاد له يسكنون هناك ويكتبون لأمرائها [5]. والمحتمل أن هذه الكنية تشير إلى هجرته مع مروان بن محمد إلى مصر فرارا من أبي مسلم الخراسانيّ وجيوشه.

د اللّقب :

كان يلقّب بالكاتب إبرازا لمقدرته في صناعة الكتابة وتفوّقه فيها، ويعرف بعبد الحميد الأكبر [6] ولقّبه ابن عبد ربّه بالأصغر [7].

هـ الولادة :

لم تتّفق المصادر حول ولادته. فبعضها تنسبه إلى العراق وتجعله من الأنبار[8] أو من قرية قيسريّة [9] إحدى ضواحي الرّقة. ومصادر أخرى تنسبه إلى الشّام [10].

والأقرب أنّه من مواليد الرّقة فقد أشار ابن خلّكان [1] أنّ مسكنه كان بها قبل أن يلتحق بالكتابة. ويؤكّد هذا أيضا معرفته باللغة الفارسيّة وإتقانه لأصول كتابتها[2] فمعظم موالي العراق وما حوله من أصل فارسيّ ونشأ أبناؤهم على الحديث باللّغة العربيّة [3].

الفرس داخل المجتمع العربيّ وفي اختلاطهم بأهله. فلم يخل فتح من فتوح العراق منه، ومنه تلقى العرب فيضا هائلا مّن النّساء والأطفال الذين شملهم الولاء والتبني.

انظر : تاريخ خربوطلي : 254، مجتمعات فيصل 112.

[1] البيان والتّبيين، ج 3 : 21. وذهب شكري فيصل إلى الشكّ في أصله الفارسيّ – انظر تعقيبه على مسرحيّة فكتور الكك : ابن المقفع، أديب العقل : 115.

[2] مسالك الممالك : 146.

[3] وفيات الأعيان، ج 3 : 386 (طبعة المطبعة الميمنيّة). ولم يثبت إحسان عبّاس (في طبعة بيروت 1968) هذه الكنية وهي كنية ذكرتها كتب المصادر الحديثّة، انظر مثلا : تاريخ أدب بروكلمان، ج 1 : 261

- معجم كحّالة، ج 5 : 106 – معجم سركيس 1276.

-هديّة البغداديّ، ج 1 : 505.

[4] انظر أعلاه، ص 10.

[5] الوزراء والكتّاب : 82 – التنبيه والإشراف : 328.

[6] البيان والتّبيين، ج 1 : 148 – العقد الفريد، ج 4 : 218-219.

[7] العقد الفريد، ج 4 : 218-219، ولعله يقصد كاتبا آخر يلقب بالأصغر تمييزا له عن عبد الحميد بن يحي.

[8] وفيات الأعيان، ج 3 : 230.

[9] البداية والنّهاية، ج 10 : 55.

ولفظة ابن كثير هي قيسارة. ولم أوفق فيما تصفحته من كتب البلدان إلى العثور على هذا الاسم ولعلها تحريف أو تسمية ثانية لقيصريّة بأرمينية أو العراق (على شاطئ الفرات) أو قيسارية فلسطين.

[10] الفهرست : 117.

أمّا سنة ولادته فهي أيضا غامضة فلا المصادر تذكرها ولا أخباره تعين على تعيينها.

ويزعم ابن عبر ربّه [4] أنّه كتب لعبد الملك بن مروان (705/86) وسليمان بن عبد الملك (717/99) ويزيد بن عبد الملك (724/105) ومروان بن محمد (750/132). وهذا الزّعم يثير الشّكّ. فهو يعني أنّ عبد الحميد كتب للخلفاء مدّة لا تقلّ عن 46 سنة (قمرية). وإذا افترضنا أنّه لم يدخل الدّواوين وعمره لا يقل عن 20 سنة [5] نجد أنّه عاش قرابة 66 سنة.

واستبعد محمد كرد علي [6] ما قال ابن عبد ربّه معتمدا على خبر روي في بعض ترجمات عبد الحميد [7] فقال إن "هذا يناقض (...) أنه غمز عليه سنة 750/132 وهو عند عبد الله بن المقفع ولم يعرف الموكّلون بالقبض عليه أيّهما عبد الحميد، وابن المقفع إذ ذاك كان في الكهولة، فلا يعقل أن لا يكون صاحب الشّرطة عارفا على الأقل بأنّ صاحبه شيخ هرم" [8].

والأقرب أنّ عبد الحميد لم يمتهن الكتابة قبل سنة 705/86 فأكثر المصادر [9] تجعله كاتبا لهشام بن عبد الملك (743/125) خليفة ولمروان بن محمد (750/132) واليا ثم خليفة.

وبالتّالي يحسن أن نحصر مولده في الرّبع الأخير من القرن الأوّل.

2- أسرته وعقبه

لا نعرف عن أبي عبد الحميد الكاتب إلا الاسم والأصل والولاء، فهو -كما قدّمنا- [10] يحي بن سعد (أو ابن سعيد) مولى العلاء بن وهب العامريّ من قبيلة عامر بن لؤيّ القرشيّة العدنانيّة. وهذا الانتساب يجعل من يحي بن سعد أحد موالي العراق الّذين دخلوا ضمن التّنظيم القبليّ فصاروا ينتسبون إلى القبيلة ويحاربون في صفوفها [11] ويعايشونها ويتعلّمون اللغة العربيّة ويرتقون مدارج المعرفة باللغة والدّين.

ولئن تمكّنا من التّعرف على هويّة أبيه فإنّ المصادر الّتي اعتمدناها لم تشر إلى أمّه أدنى إشارة. والأرجح أنها فارسيّة إذ كان يحجّر على المولى الزواج بالعربيّة، وللوالي أن يفرّق بينهما في الحال [12].

---

[1] وفيات الأعيان، ج 3 : 230.
[2] الصّناعتين : 69 – ديوان المعاني، ج 2 : 83.
[3] تاريخ خربوطلي : 245.
[4] العقد الفريد، ج 4 : 218-219.
[5] وخاصّة أنه عمل معلم صبيان قبل أن يلتحق بالكتابة الرّسمية. انظر البداية والنّهاية، ج 10 : 55 – سرح العيون : 130، ويقول ابن نباتة إنه استقرّ بالكوفة للتّعليم.
[6] أمراء البيان، ج 1 : 43.
[7] الخبر عدد 11، هذا البحث ص 400.
[8] أن لا يكون عبد الحميد في مقتبل العمر إذ ذاك افتراض غير مستبعد الصّحة. فالرّسائل (المتأخّرة) تحضّ على التّقوى والورع وتنصح باختيار الكتّاب وقوّاد الجيش من ذوي السّنّ والتّجربة ولا أظنّ أنّ هذه النّصائح يمكن أن تصدر عن غير رجل حنكته السّنون.
[9] تاريخ الطّبري، ج 8 : 839 – الوزراء والكتّاب : 72 – تاريخ ابن عساكر، ج 6 : 55 – شرح مقامات الحريريّ، ج 4 : 67 – وفيات الأعيان، ج 3 : 228 – ثمار القلوب : 156 – البداية والنّهاية، ج 10 : 55.
[10] هذا البحث، ص 10.
[11] تاريخ خربوطلي : 255.
[12] المصدر السّابق : 257-258.

ونعرف لعبد الحميد أخا وذلك من رسالة وجهها إليه يعلمه بولادة ابن له [1]. ويبدو من هذه الرّسالة أنّ هذا الأخ ذو معرفة جيّدة باللغة العربيّة وبالقرآن. كما تلوح من محتواها عاطفة أخويّة نبيلة بينهما.

ولعبد الحميد أخت تزوّجها كاتب مرموق هو سالم مولى هشام بن عبد الملك[2].

أ- أبناؤه

إسماعيل : وهو كاتب ماهر مشهور [3] روى عنه أبو موسى البغداديّ فصلا مطوّلا أشاد فيه بمكانة أبيه في النّثر العربيّ [4] وكتب إسماعيل للعبّاسيين. وكان صديقا ليحي بن خالد بن برمك وزير هارون الرّشيد [5].

وكان يحي هذا هو أحد الوزراء العباسيّين الّذين يجلّون عبد الحميد الكاتب ويلتمسون في رسائله الفوائد [6] ويروون عنه [7].

يزيد : أتى في كتاب الكتّاب أنّه كان غلاما عندما كان المهديّ الخليفة الثّالث للعبّاسيّين في الحكم وأن المهديّ حماه من مصادرة ضياعه [8]. ويبدو أن رغبان الخمصيّ –أحد تلامذة عبد الحميد– تبنّى هذا الصّبيّ بعد موت والده [9].

محمّد : ويكنّى بأبي عليّ. وأتى في كتاب الكتّاب أن محمّدا بن عبد الحميد روى عن سالم الكاتب مولى هشام [10].

أحمد : ولم يكن مشهورا وإنّما اشتهر ابن له يدّعى محمّدا [11].

ب- أحفاده :

أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد : كاتب خراج روى عنة الجهشياري نصّا كاملا لقائمة من قوائم الخراج أيّام هارون الرشيد. وصنّف كتاب أخبار خلفاء بني العبّاس [12].

الحسن بن محمّد بن عبد الحميد : كتب لحسين الخادم المعروف بعرق الموت (؟) واستكتبه أحمد بن طولون [13] ووثق به [14].

---

[1] رسالة عبد الحميد إلى أخيه، هذا البحث، ص : 351-352.
[2] الفهرست : 125، انظر التّعريف المفصّل بهذا الكاتب في هذا البحث، ص : 22.
[3] وفيات الأعيان، ج 3 : 231 – البداية والنّهاية، ج 10 : 55.
[4] كتاب الكتّاب : 35، انظر هذا الفصل في هذا البحث ص : 407-408 ، الخبر عدد 16.
[5] المصدر السّابق : 35.
[6] المصدر السّابق : 35.
[7] بغية الوعاة، ج 2 : 415. وانظر هذا البحث ص 390، الخبر عدد 1.
[8] وهو أمر مستبعد الصّحّة فالفترة الفاصلة بين وفاة عبد الحميد (132/750) وابتداء خلافة المهديّ تقارب 25 سنة. وليس هذا من عمر الغلمان على أنّ المهديّ يمكن أن يكون منع هذه المصادرة قبل خلافته.
[9] كتاب الكتّاب : 35.
[10] كتاب الكتّاب : 37.
[11] الوزراء والكتّاب : 281، وانظر أيضا تاريخ آداب بروكلمان، ج 3 : 42.
[12] الوزراء والكتّاب : 281 – تاريخ أدب بروكلمان، ج 3 : 42.
[13] أحمد بن طولون (توفي سنة 270/884) أول الطولونيين بمصر، استقلّ في عهد المستعين.
[14] الوزراء والكتّاب : 82-83. انظر أيضا : التنبيه والإشراف : 328. يقول المسعودي إنه رأى عقب عبد الحميد في مصر يعملون لابن

أبو القاسم (...) بن محمد بن عبد الحميد : استعان به أحمد ابن عبد الحميد في أمور الدّيوان. وكان يثق به أيضا.

أبو عيسى (...) بن محمّد بن عبد الحميد : عمل مع أخويه في نفس الدّيوان، وكانوا يعرفون ببني المهاجر.

علي بن محمّد بن عبد الحميد : ولعلّه أحد السّابقين. ولا نعرف عنه سوى أنّه كان يفاخر كثيرا بأبيه .

وهكذا نرى أنّ جلّ عقب عبد الحميد أبناء وأحفادا كانوا كتّابا وورثوا المهنة عنه وأتقنوها. ولم يشتهروا في بغداد فحسب بل أيضا في مصر عند أحمد بن طولون. ولا شكّ أنّ من أسباب هذه الشّهرة ذيوع صيت عبد الحميد وانتشار آثاره في الرّبوع الإسلاميّة آنذاك. وامتهان الكتابة من طرف أسر كاملة ليس خاصّا بعائلة عبد الحميد بن يحي فأسرة الرّقاشيّين – مثلا– معروفة باحترافها للسّجع زمن بني أميّة [1].

3– نشأته

أ– عبد الحميد قبل الكتابة :

لم يشتهر عبد الحميد الكاتب إلاّ بعد التحاقه بالدّواوين. وقد حال ذلك دون تتبّع المترجمين لأطوار نشأته الأولى. ولذلك بقيت ظروف حياته غامضة. وليس لدينا من أخباره ما يرجع إلى هذه الفترة المتقدّمة ويمكّننا من تقديم لمحة عامّة عن نشأته سوى إشارات متضاربة عن مسكنه. ولعلّ سبب غموض هذه الفترة هو خموله قبل العمل في الدّواوين :

يقول ابن خلّكان [2] إنّ مسكن عبد الحميد كان بالعراق في الرّقّة قبل أن يلتحق بالكتابة. وتقول رواية أخرى إنّه استوطن الشّام [3].

إنّ هذا الاختلاف بين الرّوايتين ليس ذا أهمّيّة كبيرة فلدينا تلميحات ترجّح العراق : فلعلّه ولد –كما سبق أن رأينا [4]– بقيصرية بالرقّة. والعسكريّ يؤكّد على معرفته بالفارسيّة [5] وقد كانت منتشرة في أكثر مدن العراق حيث حرص الموالي وأعقابهم على الاحتفاظ بلغتهم الأمّ فدرسوها وتكلّموا بها [6] إلى جانب استعمالهم اليوميّ للّغة العربيّة [7]. ويدلّ أيضا على نشأة عبد الحميد بالعراق امتهانه تعليم الصّبيان في بلاد العراق وخاصّة في الكوفة [8] وكثر هناك عدد المعلّمين ذوي الأصل الفارسيّ فكوّنوا شبه طبقة خاصّة [1].

طولون راي عين.

[1] الفنّ ومذاهبه في "النّثر العربيّ" : 92 ف الخضابة العربيّة في عصرها الذهبيّ : 291.

[2] وفيات الأعيان، ج 3 : 230.

[3] البداية والنّهاية : ج 10 : 55.

[4] انظر هذا البحث، ص 12.

[5] الصّناعتين : 96 – ديوان المعاني، ج 2 : 83.

[6] تاريخ خربوطلي : 254.

[7] مجتمعات فيصل : 108.

[8] سرح العيون : 130.

ولا شكّ أنّ الازدهار الثّقافي الّذي شاهده العراق في القرنين الأوّل والثّاني سيتيح لعبد الحميد تمكّنا عميقا في شتّى ميادين العلوم الأدبيّة المعروفة آنذاك بالبصرة والكوفة وخاصّة في فنّي الخطابة والكتابة [2]. فقد بدأ تدوين الخطب والرّسائل بالبصرة والكوفة منذ أواخر القرن الأوّل في كراريس تباع في الأسواق ليتدارسها النّاس ويتعلّموا من بلاغتها طريقة الكتابة [3]. ويروي عبد الحميد الكاتب أنّه حفظ عددا هائلا من خطب عليّ ابن أبي طالب [4].

ولا نستبعد أن يكون عبد الحميد نشأ بالشّام كذلك فتشبّع هناك بمعرفة التّاريخ الأمويّ واطّلع على خطب الخلفاء وعرف مذهبهم فتأثّر به وسانده كما سيظهر في رسائله السّياسيّة والدّيوانيّة الّتي سيكتبها في عهدي هشام بن عبد الملك ومروان بن محمد خاصّة.

ب- عبد الحميد معلّم الصّبيان :

ذكرت بعد المصادر أنّ عبد الحميد عمل معلّم صبيان في الكتاتيب ينتقل في البلدان [5]. ولعلّه استقرّ بالكوفة للتّعليم [6]. ويعني هذا أنّه كان عارفا باللغة العربيّة وقواعدها وبالقرآن وأصوله. فتعليم الصّبيان في العراق يعتمد على تلقين الخطّ العربيّ والقراءة والقرآن والحساب لأطفال المسلمين الأمّيين [7] وحظي بالتّعليم أيضا أبناء الموالي الفرس. وكان هؤلاء الموالي أشدّ النّاس حرصا على تعلّم اللغة العربيّة بحكم طغيان حضارة العرب ولغتهم على المعاملات العامّة والحياة الخاصّة [8]. كما كان عدد وافر من المعلّمين في القرن الأوّل من موالي الفرس الّذين يعرفون مناهج التّعليم [9]. ووجد إلى جانب الكتاتيب نظام التّأديب وهو تعليم صبيان الأثرياء في البيوت. ولعلّ عبد الحميد كان مؤدّبا لأطفال الفرس الأرستقراطيين [10].

وسواء أكان عبد الحميد معلّما في الكتاتيب أم في بيوت الأشراف فلهذه المهنة أثر كبير – لا شكّ – في حياته العمليّة فيما بعد. فهي تعين صاحبها على امتلاك رصيد لغويّ ثريّ وعلى إتقان قواعد الخطّ والتّأليف كما تعينه على حفظ القرآن ومعرفة أيّام العرب وأشعارهم وقصصهم. وهذه المهنة تقرّب صاحبها من اللّفظ السّهل والمألوف وتبعده عن

---

[1] تاريخ التربية الإسلامية، تأليف أحمد شلبي، طبعة القاهرة : 1951، ض 208 وفي معارف ابن قتيبة ص 547 قائمة لهؤلاء المعلمين.

[2] عرف كثير من الخطباء بتدريسهم للخطابة. وقد أشار الجاحظ إلى بعضهم في البيان والتّبين، ج 1 : 192.

[3] الجاحظ، حياته وآثاره : 143 و428.

ومن الخطباء الذين دوّنت خطبهم في كراريس : غيلان الدّمشقي (رسائل) وواصل بن عطاء (خطب) والحسن البصريّ (مواعظ) وخالد بن صفوان ... الخ

[4] الوزراء والكتّاب : 81 – ثمار القلوب : 156 – سرح العيون : 131.

- وانظر أيضا هذا البحث، ص 366 – القول عدد 10
- شره النّهج، ج 1 : 41 – وانظر أيضا هذا البحث ص 366، القول عدد 9.

[5] أكثر المصادر تذكر ذلك وخاصّة :

- البيان والتبيين، ج 1 : 170 – ذمّ أخلاق الكتاب، ضمن رسائل الجاحظ، ج 2 : 202.
- معارف ابن قتيبة : 547 (فصل المعلمين) – الفهرست : 117.
- البداية والنّهاية، ج 10 : 55. ويقول ابن كثير : وكان أوّلا يعلم الصّبيان. ثم تقلبت به الأحوال إلى أن صار وزيرا لمروان.

[6] سرح العيون : 130.

[7] عصر الاتساق : 225.

[8] مجتمعات فيصل : 112-113.

[9] البيان والتبيين، ج 1 : 169 – معارف ابن قتيبة : 547 وما بعدها.

[10] تاريخ التربية الإسلامية : 208.

حوشيّ الكلام وغريبه وتدرّبه على إيصال المعنى إلى الإفهام بأوضح طريقة وهو ما سنلاحظه في رسائله المختلفة.

4- ثقافته وشيوخه

أ- ثقافته

نشأ عبد الحميد في مدن العراق حيث انبثقت العلوم اللغويّة والأدبية وحيث ساعدت الاضطرابات السّياسية والاتّجاهات المذهبيّة على ازدهار الخطابة وعلى نشأة المذاهب الفقهيّة. ولا شكّ أنّ هذا النّشاط الحضاريّ الّذي شاهده العراق في القرنين الأوّل والثّاني هو المرجع الفكريّ الأوّل لكاتبنا.

وأثارت معرفة عبد الحميد لليونانيّة اهتمام الدّكتور طه حسين فجعلها محور بحثه في سمات النّثر في أواخر العهد الأمويّ واعتمد في ذلك على قراءة بعض الرّسائل حيث "لا يسعنا إلاّ أن نعترف بالهلّينية من الأثر البيّن (...)مبنى ومعنى"[1]. المعنى وجده في تأثره برسائل الحرب عند اليونان والمعنى في إسرافه في استعمال الحال "وهو خصائص اللغة اليونانيّة" [2]. ومن هنا أستنتج الدكتور طه حسين أنّ عبد الحميد الكاتب اتّصل باليونان في مدارسهم بالجزيرة والشّام وتعلّم اليونانيّة وأحسنها"[3]. ووصف محمد كرد عليّ هذا الاستنتاج بالوهم ورجّح أنّه "شدا شيئا من الأرمينية مدّة مقامه في أرمينية كاتبا لمروان" [4]. والحقّ أنّ طه حسين لم يكن وحيدا في الذّهاب هذا المذهب فقد اعتبر ابن الأثير قبله أنّ عبد الحميد استفاد من كتب اليونان[5].

ولعلّ القول باستفادة عبد الحميد من فكر اليونان أصحّ من اعتباره عارفا بلغتهم فهذه الاستفادة يمكن أن تتأتّى من المترجمات التي تمّت بعد في عصره [6].

وألحّ الكتّاب القدامى على معرفة عبد الحميد باللغة الفارسيّة وتساءلّ الجاحظ إن لم تكن رسائله مترجمة عن اللغة الفارسيّة [7]. وقال العسكريّ إنّه استخرج أمثلة الكتابة الّتي رسمها من اللّسان الفارسيّ فحوّلها إلى اللسان العربيّ [8]. ولعلّ نشأته بالعراق زادت من فرصة تعلّمه لهذه اللغة.

---

[1] من حديث الشّعر والنّثر : 42، 44، 45 – وانظر أيضا مقدّمة طه حسين لكتاب نقد النّثر (المنسوب) لقدامة بن جعفر : 9-10.
واهتمّ الدكتور إحسان عبّاس بمعرفة عبد الحميد الكاتب لليونانيّة اهتماما أفادنا كثيرا في هذا البحث. انظر : ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ : ص ص 99-109.

[2] من حديث الشّعر والنّثر : 44-45.

[3] من حديث الشّعر والنّثر : 45.

[4]

[5]

[6] وأخصّ هذه التّرجمات ما نقل في عهد هشام بن عبد الملك وعرف سالم مولى هشام (ترجمته في هذا البحث ص 22) بنشاطه في هذا الميدان.
انظر التّنبيه والإشراف : 323.
الفهرست : 125.

[7] البيان والتّبيين، ج 3 : 50-51.

[8] الصّناعتين : 69 – ديوان المعاني، ج 2 : 83.

ب- شيوخه :

يصعب أن نحصر شيوخ عبد الحميد في صناعة الكتابة فهم جميع أجيال الجاهليّة والقرن الأوّل من الشّعراء والخطباء والكتّاب الّذين أقاموا صرح الكلمة العربيّة وعرضوا موهبتهم فوق المنابر والجياد وداخل المساجد والأندية والّذين جمعت آثارهم في مدوّنات يتدارسها الكتّاب منذ أواخر القرن الأوّل [1].

ولعلّ أبرز الخطباء الّذين أعجب بهم عبد الحميد هو عليّ بن أبي طالب. فقد كان يحفظ خطبه ويستجيدها ويقتدي بها [2].

سالم الكاتب :

وهو الأستاذ المباشر الّذي لقّن عبد الحميد الكتابة [3]. وأدخله الدّيوان [4]. وهو أبو العلاء سالم بن فرّوخ [5]. أو ابن عبد الله، ويقال ابن عبد الرّحمان [6] اليماميّ[7]، مولى هشام ابن عبد الملك [8]، أو مروان بن عبد الملك، [9] أو سعيد بن عبـــد الملك[10]، كتب في ديوان هشام وعمل فيه رئيسا للكتّاب [11]. وكتب أيضا في ديوان الوليد [12]، وكان عارفا بفنون الآداب [13]. وهو من الفلاسفة الّذين تكلّموا في الصّنعة[14]. ويذكر ابن النّديم أنّه "نقل من رسائل أرسطاطا ليس إلى الاسكندر ونقل له وأصلح هو (هكذا)" وأنّ له رسائل مجموعة "نحو مائة ورقة" [15].

ولوّن سالم الكاتب – حسب شوقي ضيف – النّثر العربيّ بصبغة يونانيّة صريحة. وكان له الأثر الواضح في منحى كتابات عبد الحميد [16]. وكانت لسالم كذلك معرفة بلغة الفرس سمحت له بالاستفادة من سير ملوكهم وحكمة ساستهم [17].

وهكذا اجتمعت ثقافات العرب والفرس واليونان لتجعل من عبد الحميد بن يحي كاتبا عدّ مفخرة لبني أميّة [18].

---

[1] الجاحظ، حياته وآثاره : 142-143 و428 وأثار فيه طه الحاجي إلى بعض هذه المترجمات.
[2] الوزراء والكتّاب : 81 – شرح النّهج، ج 1 : 41 – سرح العيون : 131.
[3] تاريخ ابن عساكر، ج 6 : 55 – البداية والنّهاية، ج 10 : 55.
[4] EI2, I : 67, Art 'Abd-al-Hamid par H. Gibb
[5] الفهرست : 353.
[6] تاريخ ابن عساكر، ج 6 : 55.
[7] وفيات الأعيان، ج 7 : 101 و102.
[8] تاريخ ابن عساكر، ج 6 : 55.
[9] العقد الفريد، ج 4 : 218.
[10] أمراء البيان، ج 1 : 44 نقلا عن رواية لم يذكر مصدرها.
[11] إعتاب الكتّاب : 62.
[12] الوزراء والكتّاب : 68.
[13] كتاب الكتّاب : 37.
[14] الفهرست : 353.
[15] الفهرست : 125 – ودرس الأستاذ ماريو قريناشي بعض هذه الرّسائل :
Grignachi, Les rasa'il de Sālim 'Abū-l- 'Alā', BEO, T. XIX : 12.
[16] الفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ : 110 و117.
[17] Grignachi, Quelques spécimens de la littérature sassanide. In J. A., T. CCLIV Fasc. 1.
[18] كان المنصور العباسي يرى أن بني أمية غلبوا بني العباس بعبد الحميد : الوزراء والكتّاب : 81. وانظر هذا البحث ص : 405، الخبر عدد 14.

5 – عمله في الدّواوين

أ- التحاقه بالكتابة وعمله في دواوين هشام :

التحق عبد الحميد بالدّيوان حسب إحدى الرّوايات [1] في عهد عبد الملك بن مروان (705/86) وأشرت أنّه من الصّعب إثبات هذه الرّواية أو تكذيبها [2] فلا يمكن التّأكّد من صحّة هذه الأخبار بغير استقراء النّصوص الأصليّة للرّسائل.

وصلتنا رسالة كتبها عبد الحميد عن هشام بن عبد الملك (742/125) إلى يوسف بن عمر الثّقفيّ وإليه على اليمن (من 725/107 إلى 737/120) [3] ثم على العراق (من 738/121 إلى 741/124). وفي هذه الرّسالة تدبيج أسلوبيّ واعتناء بالعبارة وانتقاء لدقيق المعاني يبيّنان أنّ عبد الحميد عارف بصنعته منذ زمن طويل أي قبل سنة 737/120 تقريبا.

ونقرأ في صبح الأعشى [4] قسما من رسالة منسوبة لعبد الحميد الكاتب يوضّح المبرّد قبل عرضها في كتابه الكامل [5] أنّها كتبت عن هشام بن عبد الملك إلى خالد القسري وإليه على العراق (723/105 – 737/120) وذلك قبل عزله. ونستنتج – من ظروف هذه الرّسالة إن صحّت نسبتها لعبد الحميد [6] أنّ كاتبها احترف الكتابة قبل سنة 373/120.

ويؤيّد هذا تتلمذ عبد الحميد على سالم مولى هشام وكاتبه. ويرى أحد الدّارسين المعاصرين [7] أنّ عبد الحميد ناب أستاذه سالما في رئاسة دواوين هشام[8].

وهذا يعني أنّ ديوان هشام كان المدرسة الأولى الّتي "تخرّج بأساتذتها وبنشاطاتها عبد الحميد، ويمكن القول إنه كان من أوّل نشأته على اتّصال بمن يعرف الخلفاء، وبما يقتضي لخدمة الحكومة من الأدوات" [9].

ب- عمله في دواوين مروان بن محمّد :

وما أن تمكّن عبد الحميد من قوانين الكتابة الدّيوانية ومما تستلزمه من آداب ومعارف حتى ألحق بمروان بن محمد أثناء ولايته على أرمينية وأذربيجان.

---

[1] العقد الفريد، ج 4 : 18.

[2] ناقشت هذه الرّواية أعلاه : ص 13.
وازيد هنا أنّه من غير المستبعد أن يكون عبد الحميد كتب لعبد الملك بن مروان فيظهر أنّ هناك صلة بينه وبين صالح بن عبد الرّحمان معرّب دواوين العراق وقد كتب صالح للحجّاج في عهد عبد الملك. انظر ترجمته في تاريخ ابن عساكر، ج 6 : 271 مثلا.

[3] رسالة إلى يوسف بن عمر في السّلامة، هذا البحث ص 311.

[4] صبح الأعشى، ج 8 : 350.

[5] الكامل للمبرد، ج 4 : 125 وما بعدها. وأوردتها في هذا البحث ص 380.

[6] ناقشت هذه النّسبة في هذا البحث. التعليق ب ص 380-382.

[7] وهو المستشرق جيب في فصل عبد الحميد من دائرة المعارف الإسلامية وأنظر أيضا مقال :
Art. Le portrait du parfait secrétaire selon ‘abd-al-Hamid. (auteur anonyme)in Faits et Idées, n : 118.

[8] أتى في وفيات الأعيان، ج 7 : 102 أن نائب سالم على ديوان الرّسائل هو بشير بن أبي طلحة من أهل الأردن. فلعلّ عبد الحميد أخذ مهمّة النّيابة قبله أو بعده.

[9] أمراء البيان، ج 1 : 45. ويرى داغر في مصادره (ج 1 : 90-91) أن عبد الحميد كتب لخلفاء بني أمية ولا سيّما لهشام بن عبد الملك.

ونتبين من هذا الإلحاق أنّ تعليم الكتابة عند العرب كان صورة طبق الأصل من تعليمها عند الفرس فقد كان ملوك الفرس يجمعون "أحداث الكتّاب ونواشئهم المعترضين لأعمال الملك ويأمرون رؤساء الكتابة بامتحانهم فمن رضي أقرّ بالباب ليستعان به، ثمّ يأمر الملك بضمّهم إلى العمّال، واستعمالهم في الأعمال، وينقلهم في الخدم على قدر طبقاتهم من حال إلى حال حتى ينتهي بكل واحد منهم إلى ما يستحقّه من المنزلة" [1].

كتب عبد الحميد وهو بأرمينية رسائل عديدة منها ما وجّه إلى هشام [2] ومنها ما وجّه إلى غيره [3]، وبهذا يكون التحق بمروان في إرمينية قبل سنة (743/126) وحظي عند وانقطع إليه. ولا شكّ أنّه استطاع -كما يقول محمد كرد عليّ- أن يشدو هناك بشيء من الأرمينيّة [4] وأن يوسّع الفقه الثّقافي ويعمّق تجربته السّياسيّة.

وعندما تولّى مروان الخلافة احتفظ بكاتبه [5] لما وجد فيه من فطنة ونبوغ.

وكانت المرحلة الأخيرة الّتي مرّ بها عبد الحميد في العمل الإداريّ هي دمشق حيث صار "وزيرا" لمروان بن محمد [6] واستشاره في عظائم أموره وأصاغرها حتى قيل إنه لا يرى الدّنيا إلاّ به [7].

وأشار بعض المترجمين [8] إلى تولّيه رئاسة ديوان الإنشاء في عهده.

6- منزلته الاجتماعيّة

يعيّر الجاحظ الكتّاب بخساسة مرتبتهم في الرّزق. ويذكر أنّ كاتب الرّسائل -رغم أهميّة عمله- لا يتعدّى رزقه العشر من رزق صاحب الخراج [9]. ويضعهم في أسفل السّلّم الاجتماعي فيشبهم بالخدمة التّابعين "المحكوم عليهم بالوفاء والمطلوب منهم الصّبر على اللأّواء (...) أحكام الأرقّاء ومحلّهم من الخدمة محلّ الأغبياء" [10]. ويبدو أنّ عبد الحميد كان أحد هؤلاء الكتّاب، فإنّنا نقرأ في بعض رسائله اعترافا صريحا بالنّعمة الّتي رزقها عند مروان بن محمّد [11].

---

[1] صبح الأعشى، ج 1 : 44-45.
[2] هذا البحث : ص 338.
[3] رسالة في وصف الأخاء، هذا البحث ص ص 335-338.
[4] أمراء البيان، ج 1 : 48.
[5] سرح العيون : 130.
[6] البداية والنهاية، ج 10 : 55. وصفة "وزير" لابن كثير. ويرى الدّكتور محمّد ضياء الدّين الرّيّس في كتابه النّظريات السّياسية الإسلاميّة ص 223 أنّ الكاتب في العهد الأمويّ هو كالوزير بحكم تطوّر مهنته ونموّها وتفرّعها.
[7] ثمار القلوب : 156.
[8] مثلا، الآبي في نثر الدّرر في المحاضرات، الورقة 162. نقلا عن فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّ" : ص 403، طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة 1927/1345.
[9] ذمّ أخلاق الكتّاب ضمن رسائل الجاحظ، ج 2 : 205.
[10] ذمّ أخلاق الكتّاب ضمن رسائل الجاحظ، ج 2 : 190-191.
لعلّ هذه الخساسة ترجع إلى انتساب أكثر الكتّاب في العصور الأولى للإسلام إلى فئة الموالي الفرس. فقد انجرّ عن كثرة الموالي وعن سيطرتهم على أهمّ دواليب الصّناعة والفلاحة أن كرههم العرب كرها تذوّقوا منه مرّ العذاب والاحتقار.
انظر تاريخ خربوطلي : 257-258.
[11] رسالة إلى مروان في حاجة، انظر هذا البحث صفحة 360.

ويؤكّد ذلك خبر نقله البغداديّ، في "كتاب الكتّاب" يشير إلى أنّ عبد الحميد أورث أبناءه ضياعا واسعة [1].

إلاّ أنّنا نقرأ في بعض الرّسائل ما يدلّ على تشاؤمه من مهنة الكتابة ومما تستلزمه من الصّبر على النّوائب [2].

فهل كان هذا التّشاؤم نتيجة حاجة ماديّة أوهوان اجتماعيّ ؟

عبّر عبد الحميد عن هذه الحاجة في رسالة إلى مروان استزاده فيها الأجر لأنه "تكنّفته مؤن استنفضت ما في يده" [3]. وتعبر هذه الرّسالة عن تذمّره من وضعيته الاجتماعيّة السيّئة. وتعبّر أيضا عن تحرّجه من استزادة الأجر. ونقرأ في رسالته إلى وليّ العهد [4] مطالبة ضمنيّة بتحسين الوضعيّة الماديّة للكتّاب ورجال الإدارة، فهو ينصح عبد الله بن مروان بن محمد أن يجري على القائمين بسياسة الجيش –سواء كانوا كتابا أو قضاة أو قوادا أو حرّاسا– ما يكفيهم ويذهب بضيقهم ويصلح أمورهم." ويكرّر هذه النّصيحة في مواضع عديدة من رسالته ملحّا على أنّ الأجر الكافي والزّيادة عليه سبيل لنيل ثقة الأعوان وسبب في تشجيعهم على إحكام أعمالهم [5].

ولعلّ هذه النّصيحة انعكاس لسخطه على وضعه الماليّ.

فهل مكنّته أهمّيته في الدّواوين من الاستعاضة عن هذه الوضعية الماديّة بمكانة رفيعة في قلوب النّاس ؟ يبدو أن لا.

فالمعلومات المستفادة من رسائله عن هذه المكانة الّتي يرتئيها للكتّاب تناقض إشارات المترجمين والمؤرّخين المؤكّدة على علوّ شأنه عند مروان وعند أعداء مروان [6].

من ذلك أنّه يعتبر نفسه – شأن غيره من الكتّاب– عبدا مسخّرا لمولاه يتحمّل دونه القول السيّء واللّوم العارض [7].

وتتوضّح هذه التّبعيّة في رسالته إلى الكتّاب حيث تتقلّص شخصيّة الكاتب في سبيل إرضاء رئيسه. يقول : "وليكن الرّجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحدب وأحوط منه على أخيه وولده. فإن عرضت في الشّغل محمدة فليضفها إلى صاحبه، وإن عرضت مذمّة فليحملها هو من دونه" [8].

---

[1] ذمّ أخلاق الكتّاب، ضمن رسائل الجاحظ، ج 2 : ص ص 190-191.
[2] رسالة إلى خالد بن ربيعة الإفريقيّ، هذا البحث ص 358.
[3] رسالة إلى مروان في حاجة، هذا البحث ص 360.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، هذا البحث ص 286 الفقرة 54.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، هذا البحث ص 286 الفقرة 54.
[6] هذا البحث، ص ص 401-405.
[7] رسالة إلى وليّ العهد : هذا البحث : ص ص 255-256 الفقرة عدد 19.
[8] رسالة إلى الكتّاب، هذا البحث : ص ص 225-226 الفقرة 4.

ويفرض عبد الحميد -في نفس الرّسالة- على زملائه في الوظيفة أن يغيّروا سلوكهم حسب الحالات النّفسية المتقلّبة لساداتهم ليأمنوا النّبوة والاستثقال والجفوة وليحصلوا على المواساة والشّفقة [1]. فأين هذا من قوله إن الله وضع الكتّاب في أشرف المنازل بعد الأنبياء والملوك [2] ؟

إن هذا الهوان الاجتمعيّ للكتّاب هو -في الحقيقة- امتداد لتبعيّتهم في عهد ملوك بني ساسان. فقد كان الواحد منهم مملوكا عليه -إن أردا الحصول على رضا سيّده والاحتفاظ بمهنته في الإدارة- أن يهبط في دركات المذلّة [3].

ولا يبعد أن تكون بعض الفنيات الأسلوبيّة للرّسائل مظهرا من مظاهر التّبعية فاستعمال السّجع والميل إلى الإطناب في عرض الفكرة وتزيين المكاتب بالآيات القرآنية وغريب الألفاظ إنما هي -في بعض مواضعها- وسائل استرضاء واستمالة[4]. ولم تمنع هذه المنزلة عبد الحميد من أن يكون رجل مبادرة في ميدان السّياسة العامّة والحربيّة له فيها صولات وجولات ونشاط كثيف.

فما هو هذا النّشاط السّياسيّ ؟

7- نشاطه السّياسيّ

لم تقتصر مهمّة كاتب الدّيوان في العصر الأمويّ على تدوين ما يمليه عليه الخليفة من عهود أو رسائل إخوانيّة وسياسيّة. وإنّما كانت لها أبعاد أخرى ذات صلة وثيقة بسياسة الدّولة وأمور الحرب. وأشارت المصادر إلى الدّور الخطير الّذي كان عبد الحميد الكاتب يؤدّيه في الميدان السّياسيّ كما نستفيد من بعض رسائله بعض التّفاصيلّ عن تدّخلاته في أمور الخلافة.

واستعرض فيما يلي جوانب من هذا النّشاط.

أ- النّشاط السّياسيّ من خلال الرّسائل

كتب عبد الحميد رسائل متعدّدة ذات محتوى سياسيّ صريح منها ما هو عن هشام بن عبد الملك ومنها ما هو عن مروان بن محمد :

- ففي رسالة في الشّطرنج [5] عنّف عبد الحميد أحد الولاة بسبب انتشار لعبة الشّطرنج في ولايته وبسبب تهاونه في منعها. وذكّره فيها أن ينهك "العقوبة لمن رفع إليه من أهل الاعتكاف عليها والإظهار للّعب بها وإطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين" [6].

---

[1] رسالة إلى الكتاب، هذا البحث : ص 229 الفقرة 9.
[2] رسالة إلى الكتاب، هذا البحث : ص 221 الفقرة الأولى.
[3] إيران في عهد الساسانيين : 123 - أمراء البيان، ج 1 : 21.
[4] درست هذه المسائل في فصول خاصّة انظر هذا البحث ص ص 74-75 وص 197.
[5] رسالة في الشّطرنج، هذا البحث ص ص 313-317.
[6] رسالة في الشّطرنج، هذا البحث : ص 316 الفقرة الرابعة.

ويظهر عبد الحميد في هذه الرّسالة حريصا على شرائع الدّين وفضائل الخلق حرصا يذهب به إلى الشّدة مذهبا بعيدا.

– وفي رسالة في فتنة بعض العمّال [1] يبرز عبد الحميد حفيظة الخليفة ويهدّد هذا العامل في أعنف لفظ.

– وتعدّ رسالة أخرى له في الفتنة تحليلا سياسيّا ودينيّا ذكيّا وعميقا لمهالك المعصية وعاقبة أصحابها [2]. ويبدو في هذه الرّسالة أنّ لعبد الحميد صلاحيّة واسعة في مخاطبة الرعيّة بلغة القوّة والنّفوذ.

– وجمع عبد الحميد في رسالة ثالثة في الطّاعة [3] بين الحدس السّياسيّ والعاطفة الرّقيقة إزاء ضحايا الفتن الدّاخلية التي كانت تنهك كيان الخلافة الأمويّة.

– ورسالته إلى بعض الخوارج [4] تقترن بحوادث خطيرة أقضّت مضجع بني مروان [5]. ودلّل عبد الحميد فيها على معرفته بأساليب الشّتم والهجاء المقذع والتّرهيب والإهانة.

ولا يخفي عنا ما في هذه المعرفة من فعاليّة في سياسة دولة أحاط بها المنشقّون من كلّ جانب.

– ويقترن كتابه إلى فرق العرب [6] بحركة أبي مسلم الخراساني [7] وفيها دعوة مختصرة إلى الشّجاعة والصّبر على المحن. وينبئنا فيها عبد الحميد بكرهه الشّديد للأعاجم الثّائرين على النّظام القائم وباستصغاره لهم استصغارا يثبّت من عزائم العرب ويثبّط من عزائم أعدائهم.

– وكانت رسالته إلى أبي مسلم الخراساني نفسه [8] خطرا على تواصل الثّورة فقد صبّ فيها جام غضبه على قائد الثّورة أبي مسلم وأودعها ما يضمن الانشقاق بين الثّوّار [9].

ونستغرب هذه الشّ{ة إذ أنّ هذه اللعبة كانت مباحة في القرن الأوّل "وذكر الشّيخ أبو إسحاق الشّيرازي في المهذّب أنّ سعيد بن جبير الإمام الكبير التّابعيّ كان يلعب الشّطرنج" وستحرّم الشّافعيّة فيما بعد هذه اللّعبة إذا ما اقترن بها رهان من الجانبين أو من أحدهما. ولعلّ السّبب في تحريمها في عهد مروان هو انتشارها الفاضح بين الخاصّة والعامّة كما ورد في رسالة عبد الحميد المذكورة أعلاه.
انظر حول هذه المسألة صبح الأعشى، ج 2 : ص ص 150-151.

[1] رسالة في فتنة بعض العمّال، البحث : ص 318.

[2] رسالة في الحثّ على لزوم الطّاعة، البحث : ص 319.

[3] من رسالة في الطّاعة، البحث : ص ص 320-321.
ولم أتوصّل إلى تدقيق ظروف هذه الرّسائل الثّلاثة.

[4] رسالة إلى بعض الخوارج، البحث : ص ص 322-326.

[5] لعلّ أهمّ ثورة خارجيّة شغلت بال مروان هي ثورة سعيد ابن بهدل الشّيباني وخلفه الضحّاك بن قيس الشّيباني "الذي استطاع أن يستولي على الكوفة وواسط والقادسيّة وجبي خراج السّواد" وعندئذ شعر مروان بالخطر يتهدد البيت الأموي فانتهج –على ما يبدو- أوّل الأمر سياسة التهديد وأرسل إلى الشحّاك هذه الرّسالة يحذّره فيها. (واعتبار الشحّاك بن قيس مقصودا بالرّسالة لم تسانده نصوص تاريخية صريحة).
انظر الكامل في التاريخ، ج 5 : 130 – تاريخ خربوطلي : 204.

[6] من رسالة إلى فرق العرب، هذا البحث : ص 327.

[7] ابتدأ نشر الدّعوة العباسية في خراسان، وقد فضّلها أبو مسلم الخراساني منطلقا لتمرّده لكثرة الأحزاب المعادية للحكم القائم في العراق ولانضمام الموالي النّاقمين على بني أميّة إليها. فنجحت دعوته هناك نجاحا ارتاع له العرب الذين يمثّلون هناك أقليّة مستضعفة. انظر تاريخ خربوطلي : 226.

[8] رسالة إلى أبي مسلم الخراساني، هذا البحث : ص ص 329-330.

[9] انظر التعليق (أ) على هذه الرّسالة، هذا البحث : ص ص 329-330.
وصف عبد الحميد أبا مسلم الخراسانيّ في هذه الرّسالة بالنّملة التي نبت لها جناحان فسهل على الطائر التهامها. ويبدو أن أبا مسلم خشي

- ورفض عبد الحميد في رسالة أخرى أن يساند نصرا بن سيار والي الخلافة على خراسان وذلك لما أبداه هذا الوالي من عجز عن مجابهة الوضع [1] وحمّل بعض الكتّاب القدامى هذه الرّسالة مسؤوليّة سقوط الأمويّين بسبب ما احتوته من قسوة غير مبرّرة على أعوان الخلافة [2].

- وكانت رسالة عبد الحميد إلى وليّ العهد [3] -وإن لم تحتو على مبادرة سياسيّة معيّنة- ذات منحى سياسيّ فهي تسطّر لعبد الله بن مروان برنامجا دقيقا لطريقة تنظيم المقاتلين وتبسط لسائس الجيش تفاصيل سلوكه [4].

- كما أنّ الرّسالة إلى الكتّاب [5] لا تخلو من محتوى سياسيّ بما تعطيه للكتّاب من صلاحيّات في تسيير أمور الخلافة. ولا ننسى أنّ هذه الرّسالة تتوجّه إلى أغلبية من الكتّاب الموالي الّذين طالما شعروا بأنّهم يعيشون على هامش المجتمع وعملوا على التخلّص من هذه المنزلة بالعمل في الدّواوين والمشاركة في النّشاطات السيّاسيّة انطلاقا من المكانة الإدارية الّتي يتمتّعون بها [6].

ب- التّدخلات المباشرة :

لم تصلنا من هذه التّدخلات إلاّ إشارات قليلة. وهي إشارات ثمينة إذ نفهم منها أن عبد الحميد كان بمثابـــة المستشـــار الخاصّ والرّفيق الملازم والوفيّ لمروان بن محمد.

- فيبدو أنّ علوّ أمر العبّاسيّين أهمّه فنصح مروان بمصاهرة إبراهيم بن محمّد بن عليّ حتّى تكون هذه القرابة درعا للخليفة الأموي دون هجمات أعدائه[7].

كما أنّ استفحال أمر العبّاسيين وهزائم بني أمية لم تمنع عبد الحميد من البقاء إلى جنب سيّده يسدي له النّصيحة [8].

ويتأكّد هذا التّدخّل السّياسيّ المباشر بأحكام كثير من المؤرّخين والأدباء القدامى فالجاحظ يرجع زوال الأمويّين إلى تخامل عبد الحميد عن مساندة نصر بن سيّار والي خراسان [9]، وإبراهيم بن المهدي يحمّله مسؤوليّة زوال ملك بني أميّة وقتل مروان [1] ونقرأ في نفح الطيب للمقّري [2] تعريضا واضحا بدوره السلبي كمستشار سياسيّ.

من الفتنة التي يمكن أن يحدثها تهكم عبد الحميد فرفض أن يعلم بها أنصاره وأحرقها. وردّ عليها قائلا إنه "آن لحدّ السّيف أن يعوّض أسطار البلاغة. (انظر نصّ الرسالة ص 330 من هذا البحث).

[1] أوردت هذه الرّسالة في القسم الرّابع من الآثار والخاصّ بالرّسائل المشكوك في نسبتها إليه لأن المصادر لم تشر صراحة أنّ كاتبها هو عبد الحميد ولكنّي رجّحت هذه النّسبة وبسطت أدلتها في التّعليق عدد 1 ص ص 378-379 من هذا البحث.

[2] الجاحظ في ذمّ أ×لاق الكتّاب ضمن رسائل الجاحظ، ج 2 : 202 وابن خلكان في وفيات الأعيان، ج 3 : 150.

[3] رسالة إلى وليّ العهد، هذا البحث : ص ص 237-310.

[4] فصّلت الحديث عن هذه المسألة : هذا البحث : ص ص 91-101.

[5] رسالة إلى الكتّاب : هذا البحث : ص ص 221 – 234.

[6] هذا الدّور السّياسي الذي أدّاه عبد الحميد الكاتب يحتاج إلى مزيد التّأكيد وذلك بسبب غموض السّلطة الحقيقيّة لكاتب الدّيوان عامّة. فالمصادر والرّسائل نفسها لم تبيّن بكفاية إلى أيّ حدّ كان عبد الحميد مؤلفا أو ناسخا لها.

[7] الخبر عدد 10، هذا البحث : ص 399.

[8] الخبر عدد 10، هذا البحث : ص 399.

[9] ذمّ أ×لاق الكتّاب، ضمن رسائل الجاحظ، ج 2 : 202.

يقول أبو عمر الزّجّال [3] ممتدحا بعض الأمراء بالمعرفة بالسّياسة (طويل).

ولو كنت من عبد الحميد مقرّبا لما هزم السّفاح أشياع مروان

ولا غرابة في هذه الأحكام فقد كتب عبد الحميد لمروان رسائل من شأنها أن تثير حفيظة المعارض للحكم القائم وأن تزيد من نقمته. "وكان حاضرا مع مروان في جميع وقائعه" [4] ومستشارا ملازما له.

وهذه المهمة لا تختلف عن مهمّة الوزير العبّاسيّ. ولعلّ نشأة خطّة الوزارة بعده كانت متأثّرة بشخصيته ومستمدّة من آرائه وهذا يحي بن خالد البرمكيّ وزير هارون الرّشيد يحتفظ برسائله ويرجع إليها ويلتمس فيها ما يؤيّد به علم الملك [5].

كما تخرّج على يد عبد الحميد مجموعة كبيرة من الوزراء الكتّاب واصلوا ما سطّره من تراتيب إدارية ونظريّات سياسيّة [6].

فمن هم أشهر تلامذته الّذين أخذوا عنه ؟

8- صيته وتلامذته

أ- صيته

عبد الحميد الكاتب هو أحد الكتّاب الأمويّين الّذين تقدّموا بالبلاغة بعد الخمول[7] فقد مكّنه سبقه في صناعة الكتابة من أن يجلب اهتمام مروان بن محمد فأخذه معه إلى أرمينية ليكون له الكاتب والمستشار [8]. وشعر مروان عندما تولّى الخلافة بحاجته إلى كاتبه فأخذه معه [9].

وكانت لعبد الحميد صلات بأكابر النّاس وذوي السّلطة منهم يكاتبهم في الأمور العامّة والخاصّة [10].

وطار صيته في الآفاق فبلغت شهرته فارس [11] ومصر [12] والأندلس [13] ووصفه ابن النديم بواحد دهره [14] وعدّه جعفر ابن يحي أصلا لسهل بن هارون وابن المقفع وأحمد بن يوسف [15] ونقم عليه أبو جعفر المنصور لأنّ بني أميّة غلبوا به بني العبّاس[16] وأجلّه المهديّ [1] وزيد بن رفاعة [2].

---

[1] الخبر عدد 19، هذا البحث : ص 411.
[2] نفح الطيب، ج 5 : 41-42.
[3] أديب أندلسي اشتهر خاصّة بتأليف المقامات وعاش في القرن التّاسع.
[4] ثمار القلوب : 150.
[5] كتاب الكتّاب : 35.
[6] سيأتي تفصيل الحديث عن هذه التراتيب والنظريّات : ص ص 62-77.
[7] العقد الفريد، ج 4 : 224.
[8] نقلا عن عصر المأمون، ج 2 : 20 – جمهرة رسائل العرب، ج 2 : 432.
[9] الخبر عدد 2، البحث : ص 391.
[10] مثلا : رسالة في الوصاة بشخص، البحث : ص 359.
[11] يتيمة الدهر : 137.
[12] الوزراء والكتّاب : 82.
[13] كان ابن شهيد الأندلسي وابن زيدون يعجبان به فذكراه. انظر رسالة التوابع والزّوابع : 115-118، طبعة صادر 1967. ورسالة ابن زيدون الهزلية في نهاية الأرب، ج 7 : 279.
[14] الفهرست : 117.
[15] مختصر كتاب البلدان : 194.
[16] الوزراء والكتّاب : 81 – سرح العيون : 131.

وشفق عليه ابن كثير بعد ستّة قرون لأنّ أبا العبّاس السفّاح قتله وكان اللاّئق بمثله العفو عنه [3].

ولا نعجب لهذه الشّهرة فرسائله –كما أسلفت– مرجع للوزراء [4] وهو أوّل من أطال الرّسائل واستعمل التّحميدات في فصول الكتب –حسب المسعودي– [5] وهو السّابق في فكّ رقاب الشّعر وتسريح مقيّده إلى النّثر –حسب القلقشنديّ– [6] وفي فتق أكمام البلاغة وتسهيل طرقها –كما يقول ابن نباتة– [7].

وهذا كلّه جعله الإمام في الكتابة والقدوة فيها [8] برسائله تقارن الكتابات البليغة[9] وبفصول منها يزيّن الأدباء مختاراتهم [10] وبشخصيته ينمّق الشّعراء مدائحهم [11] وعن توجيهاته يتخرّج الوزراء والكتّاب المرموقون فقد ذكر في بعض أخباره أنّه كان يعلّم أصول الكتابة ويمتحن من يعلّمهم في ديوان مروان بن محمد ويفخر بهم[12].

ب– تلامذته

خالد بن ربيعة الإفريقي : (757/140)

"وهو كاتب بليغ أنبتته التّربة الإفريقية بعد استيلاء الإسلام عليها... رحل في صغره إلى المشرق في طلب العلم... وحصلت بينه وبين عبد الحميد مودّة وألفة" [13] نشأ في الدّواوين [14] وعند عودته إلى إفريقيّة اختصّه الأمير عبد الرّحمان بن حبيب الفهريّ (754/137) لتدبير شؤون ولايته. ثم عاد إلى دمشق في مهمّة سياسيّة. وهناك استقبله عبد الحميد بكل حفاوة وقرّب من الخليفة منزلته[15]. ولخالد رسائل مجموعة نحو مائتّي ورقة [16] وكانت بين خالد وعبد الحميد مراسلات بقيت لنا منها قطعة قصيرة تستعرض مشاقّ مهنة الكتابة [17]. ونتبيّن من لهجة عبد الحميد فيها أنّه كان بمثابة الأستاذ الفعليّ لخالد.

---

[1] كتاب الكتّاب : 35.
[2] الصداقة والصديق : 77-78.
[3] البداية والنّهاية، ج 10 : 55.
[4] كتاب الكتّاب : 35.
[5] مروج الذهب، ج 3 : 263.
[6] صبح الأعشى، ج 3 : 263.
[7] شرح مقامات الحريريّ، ج 4 : 67.
[8] البداية والنّهاية، ج 10 : 55.
[9] صبح الأعشى، ج 14 : 246 – نفح الطّيب، ج 2 : 671 و672 – أبو الحسن الحصريّ، الدّيوان، نشر مكتبة المنار، تونس، ص ص 97 و127.
[10] البصائر والذّخائر، ج 4 : 145-146 – الإمتاع والمؤانسة، ج 2 : 63.
أدب الدّنيا والدّين : 125 و294 و309 الخ...
[11] ومنهم البحتريّ وابن الرّوميّ وأبو إسحاق الصّابيّ في بعض مدائحهم :
انظر، ثمار القلوب : 156.
[12] انظر مثلا الأخبار، عدد 4 و5 و6 البحث ص ص 393 – 395.
[13] ورقات من الحضارة العربيّة بإفريقيّة التونسيّة، نشر مكتبة المنار، تونس 1972، ج 1 : 151.
مجمل تاريخ الأدب التونسيّ، مكتبة المنار، تونس 1968، ص ص 38-39.
[14] الفهرست : 118.
[15] ورقات، ج 1 : 151. عن مصدر لم يذكره.
[16] الفهرست : 118.
[17] رسالة إلى خالد بن ربيعة الإفريقي، البحث : 353.

يعقوب بين داود بن عمر وزير المهديّ (187/   )

كان أوّلا كاتبا لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي (726/145)، استوزره المهديّ، وكتب يعقوب بن داود [1] بين يدي عبد الحميد، ولعلّه كتب بعد ذلك لنصر بن سيار [2].

يحي بن خالد البرمكيّ وزير هارون الرّشيد (805/190)

استوزره هارون الرّشيد، وكان كثير الإجلال لعبد الحميد يستعين برسائله في أمور الملك ويبدو أنّه كان هنالك اتصال مباشر بينهما [3].

إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكنديّ السّكونيّ :

خطيب عاش في العهد الأمويّ والعبّاسي، وكان صديقا لعبد الله بن المقفع، وروي عنه خبر نفهم منه أن عبد الحميد كان له معلّما لأصول الخطّ [4].

وينسب نفس الخبر إلى :

رغبان الحمّصيّ

وقد تبنّى أحد أبناء عبد الحميد ودافع عنه لدى المهديّ [5] والخبر ينسب كذلك إلى:

أحمد بن يوسف الكاتب (827/212)

كتب للمأمون، ونشأ كاتبا معروفا ببلاغته، ونشأ في دواوين الأمويّين ويبدو أنّه حكى عن عبد الحميد [6].

عبد الله بن المقفّع (760/142)

ليس من الثّابت أن يكون عبد الله بن المقفّع أخذ أصول الكتابة عن عبد الحميد أو أن يكون اتّصل به اتصال التّلميذ بالأستاذ، ولكنّنا نعرف أنّ علاقة مودّة واحترام تربط بينهما. فزيادة على الخبر القائل بأنّ عبد الله بن المقفع حاول أن يفتدي عبد الحميد بنفسه لدى جند بني العبّاس [7] نستنتج من خبر آخر تقديرا من عبد الله لعبد الحميد [8]ويتأكّد هذا

---

[1] ترجمته في تاريخ بغداد، ج 14 : 262 – وفيات الأعيان، ج 7 : 19-26 – البداية والنّهاية، ج 10 : 55.
انظر أيضا وفيات الأعيان، ج 3 : 231 ويذكر تخرّجه على عبد الحميد.

[2] وفيات الأعيان، ج 7 : 20.

[3] ترجمته في تاريخ بغداد، ج 14 : 128 – وفيات الأعيان، ج 6 : 219-229.
البداية والنّهاية، ج 1 : 204.
وأورد السّيوطي في بغية الوعاة، ج 2 : 415 حديثا مسلسلا بالكتّاب رواه يحي بن خالد عن عبد الحميد عن سالم مولى هشام، البحث : ص 390، الخبر عدد 1.

[4] الخبر عدد 4 : ص 393 من هذا البحث.
ويمكن أن نقرأ بعض أخبار إبراهيم بن جبلة، في البيان والتّبيين، ج 1 : 94 والوزراء والكتّاب : 106.

[5] الخبر عدد 18 ص 410 من هذا البحث.

[6] الخبر عدد 4 ص 3939 من هذا البحث، التعليق (أ) وقد اعتبره محمد كرد عليّ من أمراء البيان العربيّ فترجم له ودرس نثره في أمراء البيان، ج 1 : ص ص 218-243.

[7] الخبر عدد 11 البحث ص 400.

[8] الخبر عدد 9 البحث ص 398.

التقدير في رسالة وصف فيها عبد الله أحد أصدقائه [1] ورجّح بعض الدّارسين المعاصرين أنّ هذا الصديق هو عبد الحميد نفسه [2].

إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب [3]

ويمكن أن يكون عبد الحميد خرّج في الكتابة أيضا ابنه إسماعيل الّذي مهر في صنعته واشتهر بها [4] واستجاد إسماعيل كتابة أبيه فذكرها في فصل جيّد مبرزا أهمّ خاصّيّاتها [5].

نتبيّن من هذه القائمة أنّ جلّ من تتلمذوا على عبد الحميد شخصيّات مرموقة في ميداني السّياسة والأدب، فخالد بن ربيعة ويعقوب بن داود ويحي بن خالد البرمكي وزراء ذوو شأن في الكتابة والسّياسة، وإبراهيم ابن جبلة معلم في الخطابة وابن المقفع عالم في الكتابة السّياسيّة.

وتعتبر رسائل عبد الحميد بما أوصت به ودلّت عليه من تعاليم خير مرجع وأستاذ لهؤلاء الكتّاب الّذين "صارت لهم الوزارة وعندهم الكفاية ولهم فضائل الأدب (كما) صارت كتبه محكمة باقية دائمة دافعة يحتذي إليها الباقون ويتمثّلها المتنّطعون وينتهي إليها الأمثلون، ويعرف فضلها السّابقون من أهل زمانه والآخرون" [6].

9- عاقبة أمره

تعدّدت الأخبار الخاصّة بنهاية عبد الحميد واختلفت فيما بينها اختلافا بيّنا. وسأحاول أن ألخّص هذه الرّوايات واحدة واحدة. وأن أناقشها معتمدا في ذلك على ما سبق في هذه التّرجمة :

في رواية قتل عبد الحميد مع مروان بن محمّد ببوصير [7] وفي ثانية أخذ إلى أبي العبّاس السفّاح أو المنصور الّذي أمر به فقتل [8]. وتزعم رواية ثالثة اختفاءه بكنيسة ببوصير [9] أو بالأشمونين بمصر أيضا [10] وفي بعض المصادر الأخرى لم يرافق عبد الحميد مروان بن محمد حتى مصر بل تخلّف بالجزيرة (بين النهرين) واستتر عند عبد الله بن المقفّع [11] حتّى دلّ عليه صالح بن علي وأخذه إلى السفّاح أو إلى المنصور الّذي أجهز عليه [12].

---

[1] جمهرة رسائل العرب، ج 3 : 56.
[2] نقلا عن محمد غفرانيّ الخراسانيّ في أطروحته عن عبد الله بن المقفع : 114. يقول : "يرى بعض الباحثين أنّ هذا الصّديق هو عبد الحميد الكاتب الذي كان عبد الله بن المقفع يبادله المحبّة والاحترام والإكبار" ووردت هذه الرّسالة في آخر الأدب الكبير، ص 133-134.
[3] ذكرته في هذا البحث ص 15 عند التّعرض لابناء عبد الحميد.
[4] وفيات الأعيان، ج 3 : 231.
[5] الخبر عدد 16، البحث ص 407-408.
[6] من رأي إسماعيل بن عبد الحميد في ترسّل أبيه الخبر عدد 16، البحث ص 407-408.
[7] وفيات الأعيان : ج 3 : 229.
[8] الخبر عدد 13، البحث ص 403-404 والتّعاليق التابعة له.
[9] أمراء البيان، ج 1 : 45. ولم يذكر مصدره.
[10] غرر الخصائص الواضحة : 21.
[11] وفيات الأعيان، ج 3 : 230. وانظر التعقليق أ ص 404 من هذا البحث.
[12] الخبر عدد 13 البحص ص 403-404 والتّعاليق التابعة له.
ويقول ابن قتيبة في الإمامة السّياسة، ج 2 : 120 عند تعديده للأسرى الأمويين "وكان ممّن أسر منهم عبد الحميد... وحكم المكي... وبعث بهما إلى صالح بن علي..."

واختلفت نفس هذه المصادر في كيفيّة قتله. ففي بعضها أمر به فقطعت يداه ورجلاه [1]، وفي أخرى كان يحمى له طست ويوضع على بطنه حتى مات [2].

ويزعم بعضهم [3] أنّ العبّاسيين لم يقتلوه ولكنّه كتب لهم والغريب أنّ لهذه الرّوايات جميعها ما يبرّرها.

فخدمة عبد الحميد الطّويلة للأمويّين ووفاؤه لهم يرجّحان مرافقته لسيّده إلى مصر عند الهروب من الجيوش العبّاسية ولهجته في رسالته إلى أهله [4] تقوّي هذا الافتراض.

واستتار عبد الحميد عند ابن المقفّع بالجزيرة الفراتية تؤكّده العلاقة الوطيدة بين الرّجلين، ويعتبر المصدر الّذي أورد قصّة هذا الاستتار من أقدم ما اعتمدناه من مصادر [5].

والقول بعدم قتله بمصر وباختفائه ببوصير أو بالأشمونين بمصر غير مستبعد أيضا، فلا يبعد أن يكون نجا من الجيش العبّاسي وبقي بمصر سنة 750/132 ثم عندما تولّى صالح بن عليّ مصر (سنة 751/133 ثم بين 753/136 و756/139) فطن إليه وقبض عليه وأرسله إلى المنصور ليستكتبه فكتب له.

ولنا لبقاء عبد الحميد بمصر تأكيد ماديّ آخر هو عقبه فقد تقدّم [6] أنه خلّف بمصر عقبا كثيرا يعرفون ببني المهاجر كتبوا لأحمد بن طولون.

فنرى أن هذه الرّوايات – رغم الاختلاف بينها – يمكن تبريرها لكن هذا التبرير لا يعدو أن يكون تخمينا واجتهادا بعيدا عن الصحّة التاريخية المتأكّدة.

ولا نجد عند الباحثين المعاصرين ما يذهب بالحيرة فأكثرهم يؤكّد قتله ببوصير سنة 750/132 دونما دليل مقنع [7].

وبدوري لا يمكن لي القطع بشيء واضح، وأكثر ما يمكنني قوله إنه توفّي أو قتل سنة 750/132 أو بعدها بقليل بمكان غير مضبوط. فلا يخفى أنّ التّدقيق في مثل هذه المسائل صعب وإن كان مفيدا [8].

---

[1] الخبر عدد 13 البحث ص 403-404 والتّعاليق التابعة له.
[2] الخبر عدد 13 البحث ص 403-404 والتّعاليق التابعة له.
[3] وهو أبو اسحاق الوطواط في غرر الخصائص الواضحة : ص 21.
[4] رسالة إلى أهله، البحث ص ص 353-355.
[5] وهو تاريخ اليعقوبي (المتوفى في 897/284)، ج 3 : 84.
ولا يخلو تأكيدنا من احتراز فاليعقوبي كان شديد التّشيّع على خلاف كاتبنا، انظر في هذا : دراسات عن المؤرّخين العرب لمارجليوث : 140.
[6] البحث، ص 16.
[7] سركيس في معجمه 1276 – محمد كرد علي في أمراء البيان : ج 1 : 48 – بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج 1 : 261 – داغر في مصادره، ج 1 : 90-91 – الزّركلي في أعلامه، ج 4 : 60 – جيب في فصل عبد الحميد بن يحي في دائرة المعارف الإسلامية. ويعتبر فكتور الكك أنه قتل سنة 755/137. انظر مسرحية : "ابن المقفع أديب العقل" : ص 19.
[8] تقول الدّكتورة إنعام الجندي في الرائد في الدب العربيّ، ج 1 : 312، الحاشية عدد 1، إن قتل عبد الحميد يعود إلى سبب مخصوص هو مخالفته الرّأي لأبي سلمة الخلال الذي كان تقلد الوزارة لأبي العبّاس السفاح (- 132 هـ). ويتمثّل الخلاف في إن أبا سلمة "شاء أن يتسلم زمام الحكم مباشرة بعد انهيار الدّولة الأمويّة" فعارضه عبد الحميد. ولم تحل الدكتورة على المصدر الذي أخذت منه هذه المعلومات. كما لم أتوصّل إلى ظروف هذا الخلاف إن وجد. وحول شخصيّة أبي سلمة الخلال أنظر الإمامة والسّياسة، ج 1 : 120-121.

الباب الثّاني : دراسة آثار عبد الحميد

القسم الأوّل : عرض الرّسائل وترتيبها
القسم الثاني : دراسة المضامين
القسم الثّالث : دراسة الأسلوب

القسم الأوّل : عرض الرّسائل وترتيبها

مقدّمة

I- محاولة ترتيب
II- المكاتبات الرّسميّة
III- الرّسائل الإخوانية الخاصّة
IV- آثار أخرى

مقدّمة

لم يعتبر أحد من المصنّفين القدامى أو من النّقّاد المعاصرين أنّ ترتيب آثار عبد الحميد الكاتب حسب طريقة مّا يمكن أن تنفعه في نقده. فكان الباحث يأخذ الرّسالة أو الرّسائل ويشرع في تحليلها دون أن يضعها في إطارها الخاصّ بها [1]. فبقيت هذه التّحليلات – نتيجة لذلك – مبتورة الجوانب ومنحصرة في البحث في الأسلوب على حساب الموضوع حينا أو مهتمّة بالموضوع دون الطريقة حينا آخر.

فما هو التّرتيب الأمثل الّذي يعيننا على النّظر في الموضوع والأسلوب في نفس الوقت؟

من العبث أن نرتّب جميع كتابات عبد الحميد زمنيّا فلئن تسنّى لنا الاهتداء – تقريبيّا– إلى تواريخ بعض الرّسائل الدّيوانيّة [2] فالغموض الغالب على أكثر الرّسائل الأخرى يمنعنا من الوصول إلى آخر القائمة رغم فائدتها الكبرى في دراسة التّطور الفكريّ والأسلوبيّ لعبد الحميد.

I– محاولة ترتيب

الكتابة الدّيوانية –قبل أن تكون تأنّقا في العبارة أو عناية بالأسلوب– هي تحرير لوثائق رسميّة تخدم مصالح سياسيّة مخصوصة أي ترمي إلى غاية آنيّة عرضيّة. وكذلك لم ينزو عبد الحميد الكاتب في مكتب أو في دكّان وراق ليصوغ أعمالا أدبية يتأمّل لاحقوه في جمالها ويتذاكرون حسن إنشائها وإنّما عمل في الدّواوين يكتب العهود والمناشير السّياسيّة والتّعازي الرّسميّة ومآل كلّ ذلك المراقبة والنّسخ والختم والتّنفيذ. وبالتّالي لم تكن رسائله –في عصرها– "نصوصا أدبية" [3] بقدر ما هي نصوص عملية يحتاج غليها الخليفة في سياسة خلافته والوالي في تسيير أمور ولايته [4].

يدعونا هذا الدّور العمليّ لرسائل عبد الحميد أن نستعرضها معتبرين أثناء ذلك أنواعها وأغراضها ضمن الوظائف العامّة للكتابة الدّيوانيّة. ويسمح لنا هذا الاستعراض بتحليلها في الفصول الموالية ضمن الأطر الخاصّة بها وكذلك بترتيب نصوصها ترتيبا متماشيا مع هذه الأغراض.

---

[1] مثلا : "الكاتب الأوّل عبد الحميد الكاتب، لعبد الحميد يونس. مجلة الهلال (عدد خاصّ بأصحاب الأساليب) سبتمبر 1973.
- النّثر الفنّيّ وأثر الجاحظ فيه، لعبد الحكيم بلبع : 128-134.
- نشأة الكتابة النّيّة في الأدب العربيّ لحسين نصّار : 126-165 الخ...

[2] مثلا : رسالة إلى وليّ العهد، البحث ص 237 أرّخها عبد الحميد سنة 746/129. رسالة إلى يوسف بن عمر في السّلامة، البحث ص 311 كتبها عن هشام بن عبد الملك إلى يوسف ابن عمر وإليه على اليمن أي بين سنتي (724/106 و737/120)... الخ...

[3] وأعني بالنّصوص الأدبيّة ما سيصير منهجا في التأليف بعد عبد الحميد. فرسائل الجاحظ مثلا لم توجّه إلى أشخاص معيّنين بقدر ما هي مناسبات لبسط مواضيع متنوّعة ولإطلاق الحديث حول قضايا أبعد ما تكون عن السّياسة أو عن مسائل الإدارة : مثلاء كتاب (أو رسالة) القيان للجاحظ : كتبها "إلى أهل الجهالة والجفاء وغلظ الطّبع وفساد الحسّ".

[4] ولعلّ هذا يفسّر غياب ترجمة لعبد الحميد في معجم الأدباء لياقوت الحمويّ.

يتبيّن لنا بعد استقراء رسائل عبد الحميد ومكاتاباته الأخرى أنّه من الأفضل ترتيب هذه الرّسائل والمكاتبات كما يلي [1].

جدول عــ1ــدد : ترتيب الرّسائل

المكاتبات الرّسمية	الإخوانيّات (الخاصّة)
(أ) الرّسائل الدّيوانيّة	(أ) مكاتبات مع أهله
(ب) الرسّائل السّياسيّة	(ب) مكاتبات مع أصدقائه
(ج) الرّسائل الإخوانيّة الرّسميّة	(ج) مكاتبات أخرى
(د) الرّسائل الأدبيّة الرّسميّة	
(هــ) التّحميدات	
(و) التّوقيعات	

II- المكاتبات الرّسمية

وتتمثّل فيما يرسمه الكاتب عن الخليفة أو الوالي من أوامر ونواه ووعد ووعيد وإحماد وإذمام. والكاتب في هذه الحالة هو الواسطة بين السّلطة المركزيّة والسّلطة الجهويّة أو بين السّلطة والرّعية. وهو لسان حال رجل السّياسة يعبّر عن آرائه ويحرّر ما يستلزم من مناشير للعامّة وما يستلزم من تهان وتعاز للخاصّة.

وعرفت هذه المكاتبات قبل عبد الحميد الكاتب إذ لجأ إليها رجال السّياسة والأدب قبله بكثير وهي التّواصل الطّبيعي للخطب في أمّة بدأت تتعقّد فيها الأمور السّياسة والدّين وبالتّالي بدأ أهلها يشعرون بضرورة الاستعاضة عن بداهة الخطبة واندفاعها بتأنّي الرّسالة ورصانتها.

وحرّر عبد الحميد – في إطار الدّيوان عددا وافرا من المكاتبات :

(أ) الرّسائل الدّيوانيّة [2] :

1. رسالة إلى الكتّاب : وتعتبر النّواة الأولى لعلم الإدارة ودليلا مهنيّا وأخلاقيّا لموظفيّ الدّيوان بمختلف فروعه وفيها أكثر الأصول الفنيّة والقوانين الأخلاقيّة الّتي يحتاجون إليها [3].

---

[1] رتّبت هذه الآثار في القسم الثالث من هذا البحث حسب هذا الجدول. انظر الجدول عدد 24 ص 220.

[2] يحسن –في الحقيقة- تسمية هذه الرّسائل بالإدارية لأنّ الهدف الأوّليّ منها هو إرساء تقاليد جديدة للإدارة أو إصلاح التقاليد المتواجدة – ولكن عدم استعمال كلمة إدارة قديما – بمفهومها المعاصر – جعلني أتجنّبها.

[3] تردّ الدّكتورة إنعام الجنديّ في الرّائد في الأدب العربيّ، ج 1 : 313-314 ظروف هذه الرّسالة إلى استئثار الكتّاب بالسّلطة واستغلالهم لصلاحياتهم وانشغال ولاتهم عنهم وقالت إنها كانت شبه قانون إداري وجّه إليهم لردعهم عن هذا الفساد ورأي الدكتورة يجد مبرّراته في الحالة السّياسية المتدهورة للدّولة الأموية.

2. وشابه خطاب عبد الحميد إلى الكتّاب هذه الرّسالة في بعض محتوياتها فقد ألحّ فيه على الإشادة بمكانة الكتّاب ونبّههم إلى وجود الالتزام بالأخلاق الحميدة.
3. وفتح عبد الحميد برسالته إلى وليّ العهد عبد الله بن مروان بن محمد بابا جديدا في السّياسة الحربيّة. واحتوت على مجموعة ضخمة من النّصائح حول كيفيّة قيادة الجيش والاستعداد للقتال [1].

(ب) الرّسائل السّياسيّة :

وهي ما كتبه عبد الحميد بمناسبة ثورات أو حوادث سياسيّة أوجبت نشاط ديوان الإنشاء بتحرير مكاتبات الشّكر أو الخلع أو السّلامة أو التّهديد. الخ... وبقيت منها نسخ رسائل :

4. من رسالة على يوسف بن عمر في السّلامة : ويبدو أنّ عبد الحميد كتبها إلى بعض الولاة يهنّئه فيها بسلامة الخليفة في سفر له أو يعلّمه فيها بالنّجاة من طواعين كانت أصابت الرّعيّة سنة 105 أو 115 أو 116 [2].
5. رسالة في الشّطرنج : وهي كذلك كتاب إلى بعض الولاة وموضوعها الزّجر والذّم لما أبداه هذا الوالي من تسامح إزاء رعاياه بأن سمح لهم بتعاطي لعبة الشّطرنج وما تستدعيه من إضاعة الدّين والدّنيا وأمره فيها منعها ومعاقبة من يظهر اللّعب بها[3].
6. وكانت رسالة له في فتنة بعض العمّال مناسبة للتّعبير- عن حفيظة الخليفة على ما أبداه بعض العمّال من عصيان للسّلطة المركزية ممّا من شأنه أن ينشر الانقسام في الأمّة الإسلاميّة.
7. و8. وتعتبر رسالتاه في الحثّ على لزوم الطّاعة تحليلا جيّدا لمهاوي الفتنة وعواقبها وحثّا على طاعة أولي الأمر واعتبرها بعض الموسوعيّين من الكتابات المأثورة في الموضوع [4].
9. أمّا رسالته إلى بعض الخوارج فهي ردّ عنيف على بعض الخوارج[5] الّذين هدّدوا الحكم القائم.
10. وتعدّ رسالة عبد الحميد إلى فرق العرب نداء إلى الصّمود ضدّ الهجمات الأعجميّة ضدّ الأمويّين أثناء ابتداء الدّعوة العبّاسيّة. وهي

---

[1] ويبدو أن مروان بن محمد سطر الخطوط الكبرى لهذه الرّسالة. فقد عرف بعمله بأمور الحرب وخططه. انظر تاريخ شعوب بروكلمان : 162.

[2] انظر التّعليق (أ) على نصّ هذه الرّسالة الوارد في هذا البحث ص 311.

[3] انظر التّعليق عدد 2 ص 29 من هذا البحث.

[4] وهو القلقشندي في صبح الأعشى، ج 8 : 254.

[5] يعتبر الضحّاك بن قيس الشّيباني الخارجي أخطر ثائر هدد العرش الأموي في عهد مروان بن محمّد، ولعله المقصود بالرّسالة. انظر تاريخ خربوطلي : 204. وانظر التّعليق عدد 5 ص 30 من هذا البحث.

–على قصرها– تنبئ عمّا تعرّضت له فرق العرب بخراسان من انزعاج أثناء قيام أبي مسلم الخراسانيّ ثائرا بمساندة الفرس.

11. وتوجّه عبد الحميد بكتاب إلى أبي مسلم الخراسانيّ نفسه وضمّنه – على ما قيل [1].
12. ورسالته في ذمّ عامل كانت في غرض الهجاء والتّعنيف.

(ج) الرّسائل الإخوانيّة الخاصّة :

وهي المكاتبات الصّادرة عن السّلطة الحاكمة ممّا يؤمر الكتّاب بتحريرها قصد التّهنئة أو التعزية أو الشّكر لسلطة أخرى. وبقيت منها اثنتان.

13. رسالة كتبها عن مروان بن محمّد إلى هشام ابن عبد الملك يعزّيه فيها بآمراة من حظاياه.
14. ورسالة ثانية جمعت بين التّهنئة والتّعزية كتبها كذلك عن مروان إلى هشام بمناسبة ولادة مولودين له هلك أحدهما وبقي الآخر.

(د) الرّسائل الأدبيّة الرّسميّة :

وهي الرّسائل الّتي كتبت قصد تسلية الخليفة أو حاشيته أو من أجل تثقيفهم عقليّا وخلقيّا. واتّجاه هذه الرّسائل إلى السّلطة الحاكمة –كالخليفة أو الوالي– يعطيها الصّبغة الرّسمية أو شبه الرّسمية رغم ما فيها من اعتناء مقصود باللّغة والأسلوب[2].

وبقيت لنا رسالتان من هذا النّوع :

15. رسالة في وصف الإخاء جدّد فيها عبد الحميد مفهوم الصّداقة تحديدا يدلّ على رقّة في العاطفة قلّما نجدها في رسائله الأخرى.
16. وبسط عبد الحميد في رسالة له في وصف الصّيد تفاصيل رحلة له مع بعض أصدقائه في طلب الطريدة وكانت الرّسالة أشبه بالطّرديات منها بالأدب المنثور.

(هـ) التّحميدات :

"التّحميد حمدك الله عزّ وجلّ مرّة بعد مرّة... بالمحامد الحسنة، والتّحميد أبلغ من الحمد" [3]، والتّحميد يأتي عادة في مقدّمات الرسّائل تمهيدا لأغراضها. ولعلّ الهدف منها أعداد القارئ لتلقّي الأوامر والنّواهي والتّعنيف والإذمام وغيرها من الأغراض. والتّحميد بموضوعه يخاطب مشاعر القارئ الدّينيّة والعاطفيّة. ويبدو أنّ عبد الحميد كان يحرّر لتلامذته تحميدات يسيرون على منوالها فقد أثرت له نصوص منها مستقلّة عمّا يليها من

---

[1] انظر التعليق عدد (1)، ص ص 329-330 من هذا البحث.

[2] تجنبت أن أشع هذه الرّسائل في قسم أدبيّ مستقلّ لأن مفهوم الرّسالة الأدبيّة –كما سنعرفه عند الجاحظ- لم ينشأ بعد في عهد عبد الحميد. فالرّسالة الأدبية عند عبد الحميد هي مراسلة عاديّة في موضوع ما يحلله بشيء من الاعتناء والتدبيج الأسلوبي.

[3] لسان العرب : مادّة حمد.

رسائل [1]. ولا يبعد أن تكون هذه التّحميدات المستقلّة نوعا من المناشير الّتي تكتب في مناسبات معيّنة (فتح – انتصار – بيعة – حجّ الخ) وتنشر بين العامّة لاستعلاء هممهم أو استرضائهم والحصول على مساندتهم [2]. ووصلت إلينا أربع تحميدات مستقلّة :

17. تحميد في تعظيم أمّة الإسلام.
18. تحميد في تعظيم دين الإسلام.
19. تحميد في فتح.
20. تحميد في أبي العلاء الحروريّ.

(و) التّوقيعات :

"والتّوقيع في الكتاب إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه وتوقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجعل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول"[3] والتّوقيع عادةٌ عند خلفاء بني أميّة وولاتهم عرفوا بها ولعلّه صورة أوّلية للرّسالة به صبغة رسميّة [4]. ويذكر ابن خلدون أنّ "من خطط الكتابة التّوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السّلطان في مجالس حكمه وفصلِه ويوقّع على القصص المرفوعة غليه أحكامها والفصل فيها متلقّاة من السّلطان بأوجز لفظ وأبلغه فإمّا أن تصدر كذلك وإمّا أن يحذو الكاتب على مثالها في سجلّ يكون بيد صاحب القصّة"[5] وجملة القول إنّ "التّوقيعات عبارات موجزة كان يكتبها الخليفة أو الوالي أو عمّالهما في أسفل الشّكاوي والمظالم أو المطالب والحاجات الّتي كانت ترفع إليهم بما يضمن الرّأي فيها.. أو يفيد وجوب الفحص أو قضاء المآرب، وكانت هذه التّوقيعات (في العهد الأمويّ) غاية في البلاغة والإيجاز" [6].

21. وموضوع التّوقيع المأثور عن عبد الحميد هو الذمّ.

III- الرّسائل الإخوانيّة الخاصّة

وهي الرّسائل الخارجة عن النّشاط الرّسميّ للدّيوان والمتعلّقة بالحياة أو بالاهتمامات الشّخصية للكاتب. وعادة ما تكون الإخوانيّات الخاصّة ذات طابع وجدانيّ بصفتها مستقلّة عن كلّ التزام اجتماعيّ أو سياسيّ معيّن وقلّما نجد هذا النّوع من الرّسائل قبل عبد الحميد الكاتب [7].

---

[1] أشار بعض الكتّاب القدامى إلى هذا الأمر بأن اعتبروا عبد الحميد أوّل من استعمل التحميدات في فصول الكتب، انظر مثلا : مروج الذهب، ج 3 : 263.

[2] أتى في صبح الأعشى، ج 8 : 244 أن "من الكتب السّلطانية الكتب في الدّعاء إلى الدّين".

[3] لسان العرب، مادة وقع، و"التوقيع مأخوذ من توقيع الدّبر ظهر البعير. فكأنّ الموقّع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه بما يؤكده ويوجبه (1)

- وفي صبح الأعشى، ج 1 : 52 "ومعناه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف، يقال : جنب هذه الناقة موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال تأثيرا خفيفا. وحكي أنّ أعرابيّة قالت لجارتها : "حديثك ترويع وزيارتك توقيع" تريد أن زيارتها خفيفة".

- ويحتمل أن يكون من قولهم وقع الأمر إذا تمّ ولوم وحقّ ومنه قوله تعالى : "وقع القول عليهم بما ظلموا" (سورة النمل (27) الآية (85)).

[4] أورد أحمد زكي صفوت جملة من التوقيعات للأمويّين. انظر : جمهرة رسائل العرب، ج 2 : 570-574.

[5] مقدّمة ابن خلدون : 247.

[6] تاريخ أدب فاخوري : 314.

[7] نال هذا الجانب الوجدانيّ اهتمام الشّعراء خاصّة ومن الإخوانيات الخاصّة التي احتفظت بها المصادر نذكر خاصّة : كتاب سالم إلى بعض إخوانه وكتّابه في الاعتذار، انظر جمهرة رسائل العرب، ج 2 : 431-432.

أ- **مكاتبات مع أهله :**

22. رسالة إلى أخيه.

وعرّفه فيها بازدياد مولود له وعبّر في تضاعيفها عن فرط فرحته بهذا المولود وعن مدى شكره لنعمة الله عليه به.

23. رسالة إلى أهله.

كتبها إلى أهله وأقاربه عند هروبه مع مروان بن محمّد نحو مصر وهي شبه تعزية لهم عن نفسه. وهذه الرّسالة مادّة ثريّة لدراسة الجانب الوجدانيّ في كتاباته [1].

ب- **مكاتبات إلى أصدقائه :**

24. من رسالة إلى صديق.
25. من رسالة في العتاب.

26. من رسالة إلى خالد بن ربيعة الإفريقي [2].
وعرض فيها بعض الشّروط الأخلاقية لكاتب الدّيوان [3].
27. رسالة في الوصاية بشخص.
28. رسالة إلى مروان في حاجة.

ج- **مكاتبات عامّة :**

29. من رسالة في الناس.

ونصّها أقرب إلى القول المأثور منبه إلى الرّسالة [4]. ووضعت هذا القول في قسم الرّسائل مهتديا بتوضيح بعض المصادر [1].

إنّ مختلف هذه المراسلات بما احتوته من مواضيع ديوانيّة وسياسيّة وذاتيّة تبرز أن عبد الحميد ترك لنا كتابة متنوّعة المشارب وهذا التّنوّع سيرافقه -لاشكّ- تنوّع مشابه في مستوى اللّغة والأسلوب عامّة.

IV- آثار أخرى :

نقلت المصادر مجموعة من الأقوال والأشعار والرّسائل الأخرى الّتي لا تخلو من إفادة لمن يرغب في التّعرف على شخصيّة عبد الحميد الكاتب - وآثرت تجميعها استزادة للإفادة.

أ- **الآراء :**

---

[1] درست هذا الجانب مستقلا في هذا البحث ; ص ص 107-110.
[2] انظر التّعريف بخالد الإفريقي ص 36 من هذا البحث.
[3] اعتبرت هذه الرّسالة شخصيّة باعتبار المرسل إليه لا باعتبار الموضوع الذي يصحّ أن تكون به ضمن الرّسائل الدّيوانية...
[4] انظر التعليق عدد (أ) ص 361.

لم يكن عبد الحميد مجرّد كاتب رسميّ يكتب ما يملي عليه ويؤلّف فيما يؤمر به فحسب بل كان أيضا ناقدا له في الكتابة والبيان والبلاغة آراء خاصّة تناقلتها المصادر وقلّما اعتبرها النّقاد المعاصرون في دراساتهم لرسائله. وهذه الآراء تلقي الأضواء خاصّة على بعض نزعاته الفكريّة والأسلوبيّة.

وهي مجموعة من 16 قولا في مواضيع مختلفة وخاصّة في الكتابة والبلاغة والكتّاب.

ب- الشّعر :

وشدا عبد الحميد بشعر وصفه الجاحظ بأنّه يجري مجرى الأمثال [1]. وجملة ما توصّلت إلى جمعه من هذا الشّعر ثمانية عشر بيتا موزّعة على سبع مقطوعات ألهمتها لكاتبنا تجاربه الحلوة والمرّة فدلّل بها على أنّ كمال الأديب لا يكون بدون إجادة النّثر والشّعر في نفس الوقت.

ج- رسائل أخرى (مشكوك في نسبتها إليه).

وتتمثّل في رسالتين سياسيتين اختلفت المصادر نسبتهما إلى عبد الحميد الكاتب. ورجّحت [2] -بعد النظر في ظروفهما- أنّهما من تأليف عبد الحميد الكاتب[3].

د- والقسم الأخير من هذا الملحق يضمّ مجموعة من الأخبار الأساسيّة لفهم شخصيّة عبد الحميد من مختلف نواحيها، ولئن كانت بعض هذه الأخبار ذات صبغة أسطورية بيّنة فهي توضّح المكانة الّتي كان يتمتّع بها كاتبنا عند معاصريه والموقف الّذي اتّخذه أدباء العرب وساستهم بعده منه.

ولا شكّ أنّ هذه الأخبار تغني الباحث عن الرّجوع إلى المصادر إذا ما احتاج إلى مراجعة النّظر في شخصية عبد الحميد من مختلف جوانبها الإدارية والسّياسية والوجدانية.

---

[1] البيان والتبيين، ج 1 : 148.

[2] أثبتّ ترجيحاتي في مواضعها من التّعليق على الرسالتين.
انظر البحث ص ص 378-388 والتعاليق على الرّسالتين.

[3] جمع أحمد زكي صفوت في "جمهرة رسائل العرب" مجموعة من الرّسائل الأموية نجد في لغتها وأسلوبها شبها قريبا بلغة عبد الحميد وأسلوبه. وهذا الشّبه ينحصر في التّحميدات التي تبتدئ بها الرّسائل. ويثير هذا الشّبه عديدا من الافتراضات. فإمّا أن يكون مؤلفها هو عبد الحميد – ولم تنسب إليه بل إلى الخلفاء الذين كتب لهم. وإمّا أن تكون من تأليف كتّاب آخرين تأثر هو بطريقتهم، وهو افتراض أقرب فعهد بعض هذه الرّسائل يرجع إلى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (742/125 – 743/126)، ونعرف أن سالما مولى هشام أستاذ عبد الحميد كتب للوليد. وهذا يدعونا إلى الظنّ أيضا أن عبد الحميد قلد أستاذه سالما وخاصّة في مقدّمات الرّسائل. والرّسائل الأمويّة المقصودة هي :
- كتاب مروان بن محمّد إلى الوليد، جمهرة رسائل العرب، 2 : 445-447.
- كتاب يزيد إلى أهل العراق، جمهرة رسائل العرب، ج 2 : 465-467.
- كتاب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد، جمهرة رسائل العرب، ج 2 : 467-469 وهي غير الرّسالتين التين أثبتّهما في الملحق بالرّسائل.

القسم الثاني : دراسة المضامين

I- عرض عامّ للمضامين الأساسية.

1- كاتب الدّيوان، مهامّه وصفاته.
2- المحتوى السّياسيّ للرّسائل
3- سياسة الجند وفنّ الحرب.
4- خصوصيات البلاط.
5- الآراء البيانية.
6- الجانب الذّاتيّ

II- النزعة الإنسانية في كتابات عبد الحميد ومساهمتها في الفكر العربيّ

I- عرض عامّ للمضامين الأساسيّة :

يمكّن تحديد الأغراض الأساسيّة في آثار أديب ما من فهم تفكيره ومن تعيين مكانته في الوسط الحضاريّ الّذي نشط فيه ومساهمته في الفكر المجموعيّ بصفّة عامّة.

وعبد الحميد -كغيره من الأدباء العرب- خلّف لنا تراثا لفت انتباه القدامى والمعاصرين فتناقلوه رواية وتعليقا وأشادوا بمضامينه وبخذمتها للحضارة العربيّة.

1- كاتب الدّيوان : مهامّه وصفاته :

يبدو أنّ أهم المسائل الّتي تكرّرت الإشارة إليها في الرّسائل هي نصائحه إلى الكتّاب الخاصّة بوظيفتهم وما تتطلّبه من تراتيب فنّيّة وشروط أخلاقيّة. فقد اعتبر عبد الحميد بهذه النّصائح ممّن يصلح من الفرس للدّواوين [1] وممّن يعمل بتوجيهاته ويقتدي بها في الكتابة [2] وانتبه معاصرون إلى هذا السّبق فنال به الإجلال والتّقدير[3].

وكذلك أكّدت الدّراسات الحديثة على أنّ التّعليمات الّتي توجّه بها إلى كتّاب الدّواوين تعتبر أصلا للمؤلفات الّتي ستأتي بعده [4] مثل كتاب السّلطان وكتاب السّؤدد من عيون الأخبار لابن قتيبة أو الرّسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة لإبراهيم بن المدبّر وغيرها من الكتب والرّسائل.

وفعلا احتوت رسائل عبد الحميد على تراتيب إداريّة جمّة تخصّ الدّيوان كمؤسّسة إداريّة وتخصّ موظّفي هذا الدّيوان والشّروط اللاّزمة لاتصافهم بالكفاءة المهنيّة والعوامل الّتي تتسبّب في فشلهم.

والنّظر في هذه التّراتيب يكشف بعض ملامح شخصيّة عبد الحميد ويلقي الأضواء على وضعيّة الإدارة الأمويّة آنذاك.

2- المحتوى السّياسيّ :

نوّه تاريخ الفكر السّياسيّ العربيّ بمؤلّفات عديدة خصّصت لنصائح الملوك وللأحكام الفقهيّة المتعلّقة بسلوك السّلطان [5] لكن هذا التّاريخ قلّما التفت إلى الكتابات

---

[1] مسالك الممالك : 146.

[2] الفهرست : 117 - التنبيه والإشراف : 328 - مروج الذهب، ج 2 : 263 – ثمار القلوب : 156 – البداية والنّهاية، ج 10 : 155 – شرح مقامات الحريريّ، ج 4 : 67. ولا نكاد نطلع في صبح الأعشى للقلقشنديّ على مسألة جديدة تخصّ تراتيب الدّواوين الا وجدنا عبد الحميد الكاتب متصدّرا مكانة مرموقة وسابقا فيها بمختارات من كتاباته.

[3] ،اخص بالذكر مروان بن محمد والمنصور. انظر الأخبار عدد 14 و15 و16 و17 الواردة في الصّفحات 405 و406 و407 و409 من هذا البحث.

[4] عبد الحميد الكاتب لعثمان الكعّاك. ص 18

- EI_2, I : 67, Art. ‘Abd-al-Hamid. Par H. Gibb.

الرّائد في الأدب العربيّ لإنعام الجندي، ج 1 : 89.

- D. Sourdel, Introduction au livre des secrétaires de Badadi. In B.E.O. T. XIV, pp 115 ssq.

يقول د. سوردال : (ما ترجمته) : لاشكّ أنّ البغدادي لم يكن أوّل من فصّل الحديث عن مهنة الكتابة. فعبد الحميد الكاتب المشهور لآخر خلفاء بني أميّة كان وجّه نصائحه إلى الكتّاب ملحّا على أهميّة هذه المهنة وعلى الواجبات التي يطالبون بها.

[5] مثل الأحكام السّلطانية للماوردي والتّبر المسبوك في نصائح الملوك للغزالي وسراج الملوك للطرطوشي. الخ...

الرّائدة في الميدان الّتي ظهرت في العصر الإسلاميّ الأوّل ومنها رسالة عبد الحميد إلى وليّ العهد التي تحتلّ ضمنها مكانة هامّة [1].

والغريب أنّ مختلف المصادر الّتي نقلت لنا هذه الرّسالة لم تتجاوز انتساخ نصّها إلى التّعليق على محتواها السّياسيّ الّذي خصّصه عبد الحميد لغرض خصال القائد الأخلاقية والسّياسيّة الواجب الاتصاف بها ليتمّ له النّجاح في مهمّته واكتفت هذه المصادر بالقول إنّ لصاحبها باعا رحبا في السّياسة وفطنة سريعة بلطائفها.

وكان التّعرّض للمواضيع السّياسية في الرّسائل في الدّراسات المعاصرة محدودا بتتّبعها الغرض تلو الآخر أو بوصف زيادتها وطرافتها مما يضيف الفضل الكثير إلى صاحبها [2].

وكلّ هذه الإشارات –وإن لم تساهم بفعاليّة في الكشف عن معالم التّفكير السّياسيّ عند عبد الحميد– فإنّها تعطيه بعض حقّه وتبعث على الاهتمام بتفاصيل المسألة الّتي تتمثّل أساسا في تحديداته الصّريحة أو الضّمنية لواجبات الرّاعي وأعوانه إزاء الرّعية وفي عرضه لحسنات العدل وآفات الجور.

3- سياسة الجند وفنّ الحرب :

باب سياسة الجند وتدبير خطط الحرب باب وارد في علم الملك ومتعلّق بآداب السلطان [3] وكانت لعبد الحميد مساهمة هامّة فيه.

ويبدو أنّ المصادر القديمة لم تعط اعتبارا لهذه المساهمة فالمصنّفات الّتي روت رسالته إلى وليّ العهد لم تعر أهميّة تذكر إلى محتواها العسكريّ. ولئن نبّهت الدّراسات الحديثة إلى هذا المحتوى فقد اكتفت بأحكام عامّة حولها مثل قولهم إنها ركّزت على سياسة الجيش وتنظيمه [4] أو أنّها تناولت فنّ الحرب [5] ولعلّ قلّة الاهتمام بهذا الجانب من تفكيره يعود إلى عدم ارتباطه المباشر بالمواضيع المطروحة في النّقد الأدبيّ.

ورأيت أنّ البحث في هذا الجانب من الرّسائل يسمح بتوضّح العلاقة الحقيقيّة بين عبد الحميد ومحيطه السّياسيّ من جهة وبين عبد الحميد والثّقافات الأجنبيّة من جهة أخرى وذلك انطلاقا ممّا يتميّز به من معرفة بمعاملة العساكر وبتعبئة الجند وآداب القيادة والهجوم والحركة والانسحاب وغيرها من فنّيات الحرب.

4- خصوصيّات البلاغة :

---

[1] ويمكن أ، نذكر منها رسالة الحسن البصريّ في صفة الإمام العادل ورسالة الصّحابة لعبد الله بن المقفع.
جمهرة رسائل العرب : ص ص 378-384.
[2] أمراء البيان، ج 1 : 67-92.
عبد الحميد الكاتب لعثمان الكعاك : ص 31.
[3] من ذلك كتاب الحرب من عيون الأخبار، ج 1 : ص 107 وما بعدها وكذلك كتاب السّؤدد منه، ج 1 : ص 223 وما بعدها.
[4] تاريخ أدب فاخوري : 336.
[5] من حديث الشعر والنثر : 45.

تعرّض عبد الحميد في بعض رسائله إلى مواضيع تهمّ الأمور الخاصّة للخليفة ولحاشيته. وأعني بها التّهاني والتّعازي والمعاتبات الّتي بدأت تأخذ منذ أوائل القرن الثّاني صبغتها الرّسميّة كمهمة جديدة من مهامّ الدّيوان والتّعرّف على هذه المهمّة – وإن جزئيا في الوقوف عند الأشكال الأولى للرّسائل الإخوانيّة الصّادرة عن السّلط الرّسميّة.

5- الآراء البيانيّة :

ونطق عبد الحميد ببعض الأقوال القليلة المتعلّقة بثقافة الكاتب المثاليّ وبالبلاغة والبيان والكلام. وتناقلت المصادر والدّراسات هذه الأقوال بصفتها بعضا من الثّروة البلاغيّة عند العرب [1].

ويمكن أن نلمح في هذه الآراء دلائل أولى عن نشاة النّقد الأدبي في صورته البدائيّة.

6- الجانب الذّاتيّ :

وعبّر عبد الحميد الكاتب في رسائله الشّخصيّة عن خوالج نفسه في ساعات السّعادة والشّقاء. ومعايشته في هذه الرّسائل تكشف عن جوانب وجدانيّة لم نعهد المترسّلين اعتنوا بها اعتناء خاصّا في كتاباتهم قبله أوان النّقّاد تعرّضوا لها في دراساتهم ولا عجب فالتّعبير عن الوجدان اعتبر منذ القديم من ميادين الشّعر ويعدّ نثره من قبيل البدعة الفنيّة [2].

وقد لجأ عبد الحميد نفسه إلى الشّعر في بعض حالاته العاطفيّة فكان شعره شبيها بالأمثال في عمقها ومتانتها [3] وهذا الشّعر دليل على ما يمتاز به هذا الكاتب من حساسيّة ما كنّا نظنّها فيه لما اعتدناه لديه من جهدّ وصرامة.

II- النزعة الانسانية في في كتابات عبد الحميد :

تنوّعت أنشطة الدّواوين في العهد الأمويّ وتعهّدت الكتابة بدور أساسيّ في ربط العلاقة بين مختلف السّلطات السّياسية. وتأكّد الاحتياج إلى جهاز إداريّ قويّ بحكم التّعقّد الحضاريّ واتساع أرجاء الخلافة ممّا أوجب على السّاسة فطنة دائمة وسريعة بمشاكلها. ووقع الالتجاء إلى فئة الكتّاب للتّوصل إلى تنسيق إداريّ محكم[4]. فكان أن تمتّع هؤلاء الكتّاب بجاه كبير وقرّبوا من الخلفاء وصار يسمّى الواحد منهم كاتب السّرّ [5] إبرازا لدوره السّياسيّ "فهو يد الخليفة ومستودع أسراره، وكان الخلفاء يتخيّرون لهذا المنصب أبلغ

---

[1] التفكير البلاغي عند العرب، للدكتور حمادي صمود ص 59 وانظر التعليق عدد 2 في نفس الصفحة.
[2] الإمتاع والمؤانسة، ج 2 : 130 وما بعدها.
[3] البيان والتبيين، ج 1 : 208.
[4] عن الإدارة العربية لمولود حسيني : ص 163.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة 44.

المنشئين وكان للبلاغة تأثير في سياستهم كما كان للشعر لأن القوم يومئذ لا يزالون في عهد الفروسيّة والأريحيّة تقيمهم البلاغة وتقعدهم" [1].

وألّف عبد الحميد -في هذا الإطار- دستورا للكتّاب يستمدون منه سيرتهم ويرجعون إليه في مهمّات أمورهم [2].

وكذلك ركّزت الدّراسات الحديثة الاهتمام على هذه الرّسالة بصفتها الأولى من نوعها وبحكم دلالاتها على شخصيّة مؤلّفها.

فما هو الإطار الإداريّ لهذه الرّسالة وما هي دلالاتها الجديدة ؟

1- محاولة تحديد للإطار الإداريّ لرسالة عبد الحميد إلى الكتّاب

سيطر الموالي الفرس والرّوم سيطرة واسعة على تسيير الدّواوين الأمويّة [3] ويرجع ابن خلدون هذا إلى جهل العرب بالكتابة والحساب وتوجّه اهتمامهم إلى الشّعر والخطابة [4] ويفسّر بعض الدّارسين هذه السّيطرة بطبيعة الفرس النّشيطة والمندفعة نحو الدّراسات العقليّة [5] والتحليلات السّياسيّة ولعلّ انشغال العرب بالفتوح والفتن والثّورات الحادثة آنذاك كان من الأسباب الأخرى الّتي سمحت بهذه السّيطرة.

ويعد ازدهار المهن الإداريّة وتطور علوم الملك عند السّاسانيين وكذلك عند البيزنطيين دافعين ساهما في إقبال الموالي على العمل في الدّواوين وعلى البروز فيها. فقد أشار أرثور كرستنسن إلى أنّ الإيرانيين كانوا يتأنّقون في صوغ الوثائق الرّسمية وأن كتّابهم كانوا يتمتّعون بجاه واضح ويعاملون معاملة العظماء [6] كما يؤكّد سايكس في تاريخه عن الفرس أنّ الموالي حرصوا على بقاء الإدارة الإسلاميّة في أيديهم [7] ولا أدلّ على هذا من تذمّر عند تعريب دواوين العراق الفارسية [8] أو من احتفاظ أكثرهم بالمناصب العالية فيها رغم التّعريب [9].

وتخوّف الخلفاء الأمويّون من تفاقم هذه السّيطرة فنهوا ولاتهم عن استخدام الموالي في الدّواوين [10] وعن استعمال اللغات الأجنبيّة فيها. وتواصل تعريب الدّواوين

---

[1] تاريخ آداب زيدان، ج 1 : 307.
[2] كتاب الكتّاب : 35. - كتاب البلدان : 194.
[3] EI2, II, 332, art Diwān. Par. A. A. Duri.
[4] المقدّمة : 243.
[5] وهو شكري فيصل في كتابه المجتمعات الإسلامية في القرن الأوّل : 243.
[6] إيران في عهد السّاسانيين : 121. وأتي في الأخبار الطّوال لأبي حنيفة الدينواري ص 71. أنّ كرى وظّف "الجزية على أربعة طبقات وأسقطها من أهل البيوتات والمزاربة والأساورة والكتّاب".
[7] تاريخ خربوطلي : 162، نقلا عن sykes, History of Persi. I ; 537
[8] فتوح البلدان، القسم الثاني : 368-369.
[9] ومنهم سالم مولى هشام بن عبد الملك. ترجمته ص 22 من هذا الدراسة.
[10] كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمّاله : "إيّاكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن" فردّوا عليه : "يا أمير المؤمنين إنّا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة" فكتب إليهم : "... إن لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير".
جمهرة سائل العرب، ج 2 : 245.

فبعد أن عرّبت دواوين العراق الفارسيّة (697/78) تمّ تعريب الدّواوين العاملة بالرّومية (700/82) ثمّ بالقبطيّة واليونانيّة (106/87) [1].

ولم يحل التّعريب دون تواصل سيطرة الموالي على أهمّ الأجهزة الإداريّة الأمويّة فقد توفّرت لديهم رغبة لا مثيل لها في التلاؤم مع الحضارة العربيّة وامتازوا بصبر شديد على احتمال المكاره والمعاملات السّيئة [2].

وأفادت هذه السّيطرة الرّسالة العربيّة.

فقد تجاوزت بفضلهم الموضوعات السّياسية المعروفة عند العرب إلى المراسلات السّلطانية والإخوانية المطوّلة فالكثير منهم كانوا –على ما يبدو– عارفين باللغات الأجنبية وخاصّة الفارسيّة واليونانيّة مثل سالم مولى هشام بن عبد الملك [3] وتلميذه عبد الحميد الكاتب [4] كما دخلت على يديهم عادات جديدة في التّرسّل لم تكن معروفة عند العرب بوضوح مثل التّحميدات ورسائل الذمّ والعتاب والتّهاني والتّعازي [5].

ولعلّ أهمّ ما جدّ في الرّسالة مع الموالي هو الاعتناء الفائق بتحليل المعاني بعد أن كان المذهب فيها هو الإيجاز المفرط. وفسّر هذا الاعتناء كذلك بغلبة بعض العادات الكتابيّة الفارسيّة القديمة على الموالي. فالفرس "كانوا قبل حكم العرب يؤلّهون ساداتهم وكبراءهم وهؤلاء يسخّرونهم كالعبيد وما على العبد إلاّ إرضاء سيّده والإدهان له. والإسلام لم ينزع كلّ ما تأصّل في الطّباع. وصار إيغال الفرس في التّبجيل والتّعظيم خلقا لهم، وعادة متأصّلة على الأيّام فظهر أثر ذلك في الكتابة..." [6].

ويزيد تفرّغ الموالي للدّواوين من مقدار اعتنائهم بفنون الكتابة فكان الواحد منهم "يتخيّر لخطابه في الأغراض والأوتار أوقاتا يعلم خلوّ سرّه فيها وفراغ باله وانشراح صدره وارتفاع الأفكار عن خاطره" [7] وكانوا بمثابة العبيد للولاة والخليفة يحاولون إرضاءهم ومالهم غير القلم معينا على بلوغ مقاصدهم [8].

---

[1] EI2, II, 332, art Diwān. Par. A. A. Duri.

[2] تاريخ خربوطلي : 253 و261.

[3] يشير المستشرق ماريو قرنياشي في مقال مطوّل له عن الادب السّاساني إلى رسالة لسالم مولى هشام عنوانها : رسالة في السّياسة العاميّة. واستنتج قرنياشي في مقاله أنّ سالما كان على معرفة بوجود مقالات نقدية pamphlets فهلوية الأصل تحدّد سلطة الوزير. ووجد قرنياشي في هذه الرّسالة دلائل عن معرفة سالم باليونانية وذلك من خلال استشهاده بكتاب يوناني هو سمع الكيان.
Grignachi, Quelques spéeimens de la littérature sassanide… in J.A.T. XXIIV. Fasc. 1 p. 136.
وانتهى قرنياشي إلى النتائج نفسها في دراسة أخرى عن سالم مولى هشام. انظر التعليق عدد 4 ص 198. وانظر : ملامح يونانيّة في الأدب العرب لإحسان عباس ص ص 100-101. والتعليق عدد 2 من ص 101. ونجد فيه استغلالا لآراء قرينياشي وتعقيبات مفيدة عليها.

[4] كتاب الصّناعتين : 69، ديوان المعاني، ج 2 : 89.

[5] وعدّد منها أءمد زكي صفوت أمثلة عديدة لهم في جمهرة رسائل العرب، ج 2 : 431 و540 وما بعدها.

[6] أمراء البيان، ج 1 : ص ص 21-22.

[7] صبح الأعشى، ج 1 : 79.

[8] صبح الأعشى، ج 1 : 50. يقول "كان الكتّاب يتبارون على اقتناء الفضيلة ويترفّعون عن أن يعلق بهم من الجهل أدنى رذيلة ويجهدون في معرفة ما يحسّن ألفاظهم لينالوا بذلك أرفع مرتبة ويفوزوا بأعظم منزلة.

وتعدّ رسالة عبد الحميد إلى الكتّاب تدعيما صريحا لهذه السيطرة. فقد نبّه فيها إلى علوّ أمرهم وإلى فعاليّة وظيفتهم في تسيير أمور الخلافة. وعمل على إثارة شعورهم بالثّقة والاعتزاز بأنفسهم وعرض عليهم شروطا متنوّعة تضمن لهم النّجاح وتعوّضهم ما يعانونه من حيف اجتماعيّ وتوزّعت هذه الشّروط على معارف أساسيّة ومهامّ سياسيّة وخصال سلوكيّة وذاتيّة.

فما هي هذه الشّروط وما هي الأبعاد الحضاريّة التي تفصح عنها ؟

2- أهمّية صناعة الكتابة :

بدأ عبد الحميد رسالته إلى الكتّاب بالإشادة بأهميّة صناعتهم فعدّها أشرف الصّناعات [1] لأنّها تعنى بالمسائل السّياسيّة والماليّة للخليفة أو الوالي. وتنظّمها تنظيما محكما يكفل النّجاح للسّلطان والعمران للبلد [2]. ويبدو أنّ الكاتب في هذا العصر لم يكن يسند لصناعته هذه الأهمّيّة وذلك بسبب الصّفة الشّكلية لأدوارها مقارنة بفعاّلية الوظائف الأخرى في الدّولة كالقضاء وولاية الشّرطة وقيادة الجيش كما أنّ الإدارة الإسلاميّة ما زالت آنذاك في طور الانطلاق والدّواوين الّتي كانت تأسّست بعد في عهد عبد الحميد كديوان الجند وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان البريد ما زالت في مرحلة البحث عن التّوازن من حيث مناهج التّنسيق والتّنفيذ [3]. وإضافة إلى هذا لم يلتفت الأمويّون في عندهم الأول بجدّية إلى الإصلاح الإداريّ بسبب ما كانوا يعانون من فتن وثورات متتالية.

وكرّر عبد الحميد تأكيده لخطر هذه الوظيفة في خطاب وجّهه إلى الكتّاب ونسب فيه إليهم الصّولة ونفاذ المقال والرفعة [4]. كما أوصى بإكرامهم فأرزاق العباد تجرى على أيديهم بمشيئة من الله تعالى [5].

وتقدير الكاتب لوظيفته يفرض عليه معارف لا غناء عنها :

3- الشّروط المعرفية :

الكتابة وظيفة إدارية تختصّ بتحرير الرّسائل الدّيوانية وعمليّة التّحرير تتفاوت بين الإبداع الكامل والتأليف الجزئي والنّسخ المجرّد [6]. وتتطلّب هذه النّشاطات من الكاتب معارف أساسيّة عدّدها عبد الحميد فيما يلي :

---

[1] ولعله يعني بالشرف رفعة المنزلة والفعاليّة السيّاسيّة فالكاتب في عصر بني أميّة لا يقتصر على تدويل ما يمليه الخلّيفة عليه من رسائل أو على انتساخ النسخ منها إنما هو أيضا محاسب له سطوته في مسائل المال. وهو أيضا واسطة بين السّلطة المركزية والسّلط الجهويّة وكذلك بين السّلطة والرّعيّة.
Art. Le portrait du parfait secrétaire selon ‘Abd-al-Hamid. In Faits et Idées. n° 118.

[2] رسالة إلى الكتّاب : الفقرة عدد 1.

[3] حال تنوّع لغات الدّواوين في الأمصار دون التّنسيق السّليم والتّنفيذ السّريع مما تسبّب في التّلاعب بأموال الأمة وفي احتكار مهمّة الكتابة من طرف الموالي ولاقى تعريب الدّواوين صعوبات جمّة لم يتوصّل الخلفاء إلى تجاوزها إلا بصعوبة. انظر فتوح البلدان، القسم الثاني 368-369.

[4] خطاب إلى الكتّاب، الدّراسة ص 236.

[5] قول في الكتّاب، الدّراسة ص 364، القول عدد 1.

[6] في لسان العرب، مادّة كتب، كتب : خطّ. واستكتبه : سأله أن يكتب له والكاتب من كانت حرفته الكتابة : "ابن الأعرابي (قال) : الكاتب

- القرآن.
- الفرائض.
- اللغة العربيّة.
- الشّعر : روايته، معرفة غريبه ومعانيه.
- أيّام العرب وأحاديثهم وسيرهم.
- أيّام العجم وأحاديثهم وسيرهم.
- الخطّ.
- الحساب.

وتمكّن هذه المعارف الموزّعة على الدّين واللغة والأدب والتّاريخ والحساب الكتّاب من التّنافس مع بعضهم البعض قصد الارتقاء في مدارج الدّواوين. يقول لهم: "فتنافسوا يا معشر الكتّاب في صفوف العلم والأدب... فإنّ ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم" [1].

وهذه المعارف تسهّل على الكاتب إنجاز وظيفته على الوجه المطلوب فهي زبدة ما أنتجته الحضارة من تجارب وآداب وعلوم والرّجوع إليها بالاعتبار بها أو باستعمالها يضفي على مواقف الكاتب صفات العمق والرّصانة ويربّي فيه حسّا سياسيّا مرهفا يمكّنه من التّكهّن بالعواقب وبكل أمر ذي شأن [2].

ونكتشف في رسائل عبد الحميد نفسه آثار هذه الجوانب المعرفيّة وذلك من خلال اعتماده على القرآن والأمثال والأشعار العربيّة أثناء بسطه لأفكاره. ولعلّ أبرز هذه الآثار التزامه المتواصل بالرّصانة في التّفكير والصّبر في عرض المسائل مما يؤكّد استيعابه لتجارب واسعة وثقافة متنوّعة وعالية.

ويبدو أنّ عبد الحميد شعر بصعوبة التعمّق في مختلف هذه المعارف فاعتبر أنّ الكاتب يستطيع أن يأخذ من كلّ فنّ ما يكفيه [3] فالهدف الأساسيّ من تثقّف الكاتب عنده هو إذن الوصول بمهنته الإداريّة إلى المستوى الوظيفيّ الّذي تساهم به مساهمة إيجابية في

عندهم العالم. قال الله تعالى : أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟ سورة القلم (47) الآية 8 وفي كتابه (الرسول صلعم) إلى أهل اليمن : قد بعثت إليكم كاتبا من أصحابي. أراد : عالما. سمّي به لأنّ الغالب على من كان يعرف الكتابة أن عنده العلم والمعرفة وكان الكاتب عندهم عزيزا وفيهم قليلا.

[1] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 3.

[2] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 2.
وتعدّ رسالة عبد الحميد إلى الكتّاب في هذا المجال منطلقا لما سيسمّى بعده بأدب الكتّاب. وقد صنفت فيه مؤلفات وفيرة أكّدت على الرّصيد الثّقافيّ الأساسيّ للكاتب وتنوّعت هذه المصنّفات. فمنها الرّسالة : كالرّسالة العذراء لإبراهيم بن المدبّر ومنها الكتاب كأدب الكاتب لابن قتيبة أو أدب الكتّاب للصّوليّ. ومنها كذلك المطوّلات والموسوعات. ويعد صبح الأعشى للقلقشنديّ تتويجا وإثراء لمجهود المؤلفين في المسألة. وقد عرض فيه بكل تفصيل محتويات المعارف التي سبق عبد الحميد الكاتب إلى اشتراطها.

[3] يقول في الفقرة 2 من رسالته إلى الكتّاب إن من احتياجات الكاتب أن يكون "قد نظر في كل فنّ من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه شدا منه شدوا يكتفي به".

التّطوّر الحضاريّ وليس هذا الهدف ارتفاع المستوى العلميّ لمجرّد البروز والشّهرة داخل المجتمع [1].

ولعلّ الدّاعي إلى هذا الاتجاه الأفقي في الثّقافة هو أيضا الطّبيعة الكامنة في مهنة الكاتب. فهو يحرّر نصوصا سياسيّة نثريّة من المفروض أن تلتزم بالدّقّة والتّروّي في كل لفظة وجملة وفكرة.

كما أنّ الرّسالة لا تعبّر عن رأي شخص أو خلجات نفس وإنّما تهمّ جميع المخاطبين. وخطاب المجموعة هو خطاب متوجّه إلى ثقافات متعدّدة ومتنوّعة وإلى مدارك متفاوتة ومختلفة. ولهذا على الكاتب أن يتسلّح بما يمكن أن يجابه به هذه الثّقافات والمدارك.

4- المهامّ السّياسيّة :

أولى مهامّ الكاتب -كما سبق- هي إنشاء الرّسائل [2] وأشار عبد الحميد إلى هذه المهمّة أثناء نصائحه إليهم بالاقتصاد في الكلام وبالإيجاز في الابتداء والجواب ويتجنب الإكثار في غير مواضعه [3] مما يعني أنّ الكاتب عندئذ بدأ يبادر بتأليف المراسلات وبالتحرّر من إملاء خليفته أو رئيسه المباشر. إلاّ أنّ هذا التّحرر كان -على ما يبدو- محدودا [4]. فبعض الإشارات الوارد في رسائل عبد الحميد تدلّ على أنّ محتواها كان يمثّل رأي السّلطة قبل أن يمثل رأي الكاتب ولا يبقى لصاحبها إلاّ الأسلوب. فهي الّتي تضع الأفكار والأوامر وتسأل الكاتب أن يصوغها صوغا نهائيا ويرسلها بعد توقيع صاحب السّلطة [5].

ومهما تكن الأهمّيّة الحقيقيّة لمبادرة الكاتب في إنجاز الرّسائل فإنّ دوره يبقى تجسيم القرارات السّياسيّة في نصوص رسميّة ترسل إلى الولاة والعمّال أو تنشر بين الرّعية لتخاطب الرّأي العامّ فهو في الجملة لسان الخليفة النّاطق [6].

وتتجاوز مهمّة الكاتب هذا الدّور الشّكليّ إلى المشاركة الفعليّة في بعض الأعمال السّياسيّة الأخرى منها :

---

[1] هذا الاتّجاه في الثقافة أو ما سمّاه الجاحظ فيما بعد الأخذ من كل شيء بطرف سيكون مجال اهتمام التأليف العربيّ بداية من القرن الثالث وسيتجسّم في المصنفات الجامعة للأشعار والأخبار والنوادر والمختارات الهادفة إلى تكوين الأديب المثاليّ
يقول المستشرق شارك بلا : (ما ترجمته) : "يشترط في الأديب أو الرّجل المهذب (l'honnête homme) في القرن الثالث أن يكون له من التأدب ومن المعرفة بأمور الحياة ما يمكنه من البروز في مجتمعه أولا ومن المساهمة في الحركة الأدبيّة ثانيا.".
Charles Pellat. Variations sur le thème d'Adab. In Correspondances d'Orient. 1964. n° 5-6 p. 6.

[2] يقول الخوارزمي في مفتاح العلوم، ص 50 : "ومن الألفاظ المستعملة في ديوان الرّسائل الإنشاء وهو عمل نسخة يعملها الكاتب فتعرض على صاحب الدّيوان ليزيد أو ينقص منها أو يقرّها على حالها ويأمر بتحريرها. والتّحرير كأنّه الإعتاق. وهو نقل الكتاب من سوء النّسخة إلى بياض نقيّ. والتّثبت أن تنسخ الكتب بأعيانها وجوامعها ونكتها".

[3] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة 11.
وافتخار عبد الحميد ببلاغة الكتّاب يدلّ على أنهم كانوا يتعهّدون تأليف الرّسائل بأنفسهم.
يقول مثلا : "إن كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء فعلى بلغاء الكتّاب". الدراسة ص 367، القول عدد 2.

[4] عرف عبد الحميد بميله إلى التّحرر من قيود الإملاء حتى أن مروان بن محمد كان يجد في ميله عيبا فينهاه عنه : يحكى أبو حيان التّوحيدي في البصائر والذّخائر (ج 7 : 57) ما يلي : "قال عبد الحميد الكاتب : تعلمت البلاغة عن مروان. أمرني أن أكتب في حاجة إلى أخ له : فكتبت على قدر آن للحرمة أن ترعى وللدّين أن يقضى وللموافقة أن تتوخّى". وهذه الحكاية تدلّ على رغبة عبد الحميد في التّحرّر والإطناب في عصر غلب عليه الميل إلى الإيجاز".

[5] مثلا رسالة في ذمّ عامل. استكثرها مروان بن محمد موقع في أسفلها مقاصد الحاجة وترك الفضول. انظر الدراسة ص 331-332.

[6] رسالة إلى الكتّاب. الفقرة عدد 1.

- تطلّع الأخبار [5].
- معاينة المشاكل [5].
- تنفيذ الأحكام [5].
- الائتمان على أسرار الدّولة [5].
- تنظيم أمور الخلافة [5].
- تولّي الأمور الماليّة للبلاد [5].
- قبول الشكايات وإبلاغها إلى الحاكم [1].
- الردّ على أصحاب الشّكايات [2].
- التقدّم بالنصيحة إلى الحاكم [3].
- تولّي أمور الرّعية بتفويض من رئيسه [4].

وهذه الأدوار تجعل الكاتب معينا مباشرا للخليفة أو الوالي يسنده في أداء مهمّته سواء بتعويضه أو بتنفيذ قراراته في مجالات معينة من العمل السّياسيّ [5].

وحرص عبد الحميد على النّجاح في هذه الأدوار فاشترط على الكاتب التّمكّن من اكتساب حسّ سياسيّ مرهف يعينهم على مجابهة المشاكل والتّكهّن بالعواقب [6].

ومثل هذه الشروط تمثّل جانبا من صفات الوزير مثلما سيكون عليه مستقبلا مع العبّاسيين ومثلما كان عليه سابقا عند السّاسانيين. فقد كان الكتّاب آنذاك "دبلوماسيّين حقيقيّين... يملون جميع أنواع الوثائق ويسيطرون على مراسلات الدّولة ويصوغون جميع الأوامر الملكيّة وكان عليهم في الكتابة للأعداء وخصوم الملك أن يقسّطوا في كتاباتهم ويراعوا الظّروف الّتي يكتبون فيها فيطبعوا كتاباتهم بالمسالمة أو التّهديد والوعيد ولكن إذا كانت للعدوّ الغلبة، عرضت حياة الكاتب للتّلف" [7].

5- علاقة الكاتب ورئيسه :

كاتب الدّيوان موظّف يلازم الخليفة أو الوالي ملازمة متواصلة وهذا يفرض عليه آداب معاشرة تكفل له الرّضا وتبعده عن النّبوة والاستثقال [8] ويمكن حصر هذه الآداب في الجوانب التّالية [9] :

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 19.

[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 19.

[3] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 8.

[4] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 7.

[5] الأهمّيّة السّياسيّة لهذه الأدوار دعت بعبد الحميد إلى عرض نصائحه بأسلوب معتمد على الأمر والتّحذير. يقول للكتّاب : "فإذا ولي الرّجل منكم أو صيّر إليه من أمور خلق الله وعياله أمر فليراقب الله تعالى ذكره وليؤثر طاعته وليكن على الضّعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فإن الخلق عيال الله وأحبّهم إليه أرفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما ومداريا وللفيء موفّرا وللبلاد عامرا وللرّعية متألفا وعن إيذائهم متخلفا. وليكن في مجلسه متواضعا حليما لّينا وفي استجلاب خراجه واستقضاء حقوق رفيقا" رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 7.

[6] يقول : "فإنّ الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به أن يكون... عالما بما يأتي من النّوازل يضع الأمور في مواضعها والطّوارق في أماكنها... يكاد يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدّ لكل أمر عدّته وعتاده ويهيّء لكل وجه أهبته وعادته" رسالة إلى الكتاب الفقرة عدد 2.

[7] إيران في عهد السّاسانيّين : 123.

[8] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 9.

[9] رسالة إلى الكتّاب، الفقرتان عدد 5 و7 خاصّة.

وأتى في نهاية الأرب للنويري، ج 6 : 127 ك أن من قوانين الوزارة "أن يفتدي الوزير راحة الملك بتعبه ويقي دعته بنصبه ولا يغيب

- الإخلاص.
- البذل.
- الوفاء.
- الصّبر.
- الاحتمال.
- الرفق.
- المداراة.
- النصيحة.
- كتمان السّرّ.
- التّضحية (بالتّنازل للرئيس عن المحامد وحمل الذمّ دونه).
- الحذر.

ومثل هذه النّصائح تكشف الصّعوبات المهنية للكاتب في مستوى علاقاته البشرية بالرّؤساء ولعلّها أيضا نداء صريح إلى الكتّاب من موالي الفرس إلى التّضحية بكبريائهم ثمنا لتركيز وجودهم في الدّواوين.

6- الالتزامات الأخلاقيّة والسّلوكيّة للكاتب :

عدّد عبد الحميد مجموعة من الالتزامات الأخلاقيّة والسّلوكيّة تعين كاتب الدّيوان على الصّعود إلى مستوى الكمال في الكفاءة المهنيّة. وتتنوّع هذه الالتزامات بحسب الظّروف الّتي تلاقيه :

– فهو مطالب بتعديل مواقفه إزاء النّاس الّذين يداخلهم ويحاورهم حسب ما يلاحظه فيهم من تغيّر حال. من ذلك أنّ الإحجام والتّراجع والمداراة مواقف سليمة ولا تعدّ ضعفا وكذلك الإقدام والجرأة والشدّة ليست من التّهوّر أو التّجبّر إن انتهجها الكاتب في مقامها المناسب [1].

– وهو مسؤول عن العدل بين النّاس وعلى تطبيق تعاليم الدّين بأن يحكم العمل بها وينصف المظلوم ويرفق بالضّعيف ويلين في استجلاب الخراج ويحذق في توزيع الفيء [2].

– واتّصاف الكاتب بالتّواضع والحلم واللّين يقرّبه من الرّعية ومن رؤسائه ويجلب له رضاهم وموافقتهم [3].

إنّ هذه القواعد الأخلاقية والسّلوكية تبرز الأهميّة العالية لمشاركة الكاتب الأمويّ في النّشاط السّياسيّ وتكشف عن شخصية الوزير الّتي بدأت تتشكّل معالمها لتتوضّح في العصر

إذا أريد ولا يسأم إذا أعيد لأنه لسان الملك إذا نطق وعينه إذا رمق ويده إذا بطش، فلا يبعد عن دعائه ولا يضجر من ندائه لأنّ عوارض الملك من هواجس أفكاره وتقلب خاطره".

[1] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 2 و7.

[2] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 7.

[3] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 7.

العبّاسيّ [1]. ولمس في هذه القواعد خاصّة اعتماد عبد الحميد الأوّلي على القيم الفاضلة في التّعامل السّياسيّ فالهدف البعيد من هذا التّعامل هو إصلاح أمور النّاس وعمارة البلاد ونفع الرّعيّة [2].

7- علاقة كاتب الدّيوان بزملائه :

وجّه عبد الحميد في كتاباته عنايته إلى علاقة كتّاب الدّواوين ببعضهم البعض. وانطلق من خاصّيّة الخطورة الكامنة في هذه الوظيفة [3] ليوصيهم بالتّعاطف · التّشاور ولينادي بضرورة الاعتبار بذري الفضل والعدل والنّبل من السّلف الصّالح وبمن أقعدهم الكبر. وأكّد على تجنّب تكبّر بعضهم على بعض [4].

ومختلف هذه الوصايا تهدف إلى إقناع الكتّاب بأنهم يؤدّون وظيفة جليلة هم فيها محطّ أنظار رؤسائهم ورعيّتهم ولذلك يتحتّم عليهم الحفاظ على التّلاحم فيما بينهم بانتهاج مسلك التّعاون والتّشاور والتّقدير المتبادل.

ومثل هذه المواقف يمكن أن تفسّر بأنّها ردّ فعل داخليّ ضدّ ما يتعرّض إليه الموالي من سوء معاملة من العرب بسبب تألّقهم في المؤسّسة الإدارية الأموية. فاحتفاظ الكتّاب بالتّلاحم الدّاخليّ يزيد من مناعتهم وقوّتهم ضدّ ما يداهمهم من أخطار خارجيّة.

8- الحياة الخاصّة لكاتب الدّيوان :

وكاتب الدّيوان ليس محطّ أنظار الآخرين أثناء عمله فحسب وإنما هو مستهدف بالنّقد في حياته الخاصّة كذلك. والنّاس يترصّدون أخطاءه في كلّ لحظة فعليه أن لا يتجاوز "في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومشربه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقّه" [5] ولذلك فهو مطالب بأن يحذر "متّالف السّرف وسوء عاقبة التّرف فإنّهما يعقبان الفقر ويذلاّن الرّقاب ويفضحان أهلهما ولا سيّما الكتّاب وأرباب الآداب[3].

9- مساهمة عبد الحميد في الإدارة الإسلاميّة :

نشط عبد الحميد ضمن إدارة مازالت في الطّور الأوّل من تكوّنها : دخلها كاتبا مبتدئا ليس في جرابه من عدّة غير ما كان علّمه للصّبيان من قواعد لغة ونحو وخطّ فنبغ شيئا فشيئا وانتهى به المطاف في آخر الأمر إلى أن يكون مشرفا على الدّيوان ورئيسا للكتّاب. وحملته مسؤوليته في

---

[1] وهذا جعل أبا الحسين الأبي يسمّي رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب : "نصيحة الكتّاب وما يلزم أن يكونوا عليه من الأخلاق والآداب". نثر الدّرر في المحاضرات، (مخطوط) الورقة 162، نقلا عن فهرس الكتب العربيّة ص 403. طبعة القاهرة 1927. وانظر أيضا إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي وقد استعمل هذه ال****، ج 2 : 654.

[2] رسالة إلى الكتّاب، الفقرتان 1 و7.

[3] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 4.

[4] رسالة إلى الكتّاب، الفقرات عدد 4 و12 و13.

[5] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 10. ولعلّ هذه الوصايا كانت ردّ فعل ضدّ ما يروج في الحضارات القديمة عن فئة الكتّاب من تعال وترف فنقرأ في إنجيل لوقا مثلا إنهم "يحبون المشي بالجبب ويتوقون إلى تلقي التّحيات في السّاحات وفي صدور المجالس في المجامع والمقاعد الأول في المآدب، يأكلون بيوت الأرامل وهم يظهرون أنهم يطيلون الصّلاة"، العهد الجديد، 249. المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت 68.

الدّيوان على أن يتجاوز مرحلة التّنفيذ لأوامر رؤسائه باستنساخ مكاتباتهم وتبييض مسودّاتهم إلى مرحلة المبادرة السّياسية واتخاذ القرار السّياسيّ.

ويستجمع عبد الحميد زبدة تجاربه ومعارفه الإداريّة في دليل يشمل شروط الكاتب الأخلاقيّة والعلميّة والسّياسيّة فيستحيل هذا الدّليل من مجرد "منشور" يوزّع على موظّفي الدّيوان ليروا فيه ما يجب أن يكونوا عليه في خدمتهم اليوميّة إلى إسهام ذي بعد حضاريّ يتجاوز المكان والزّمان ويستجلب اهتمام الأدباء فينقلون في مصنّفاتهم وعناية الكتّاب والوزراء فيستمدّون منه الحلول لما أشكل من أعمالهم.

ذلك أنّ عبد الحميد بيّن فيه أدوار ديوان الإنشاء في تنسيق أمور الخلافة صغيرها وكبيرها ونبّه إلى علوّ شأن الكاتب بصفته مسؤولا –إلى جانب رئيسه– على مصالح الرّعية فهو بملازمته للخليفة يكاد يكون امتدادا عضويا وتواصلا فكريّا له. وفرضت هذه الوضعيّة على الكاتب الاتّصاف بأخلاق ومعارف ومواهب ذاتيّة ترفع من همّته أمام نفسه ومن قدره أمام النّاس وتخوّل له النّجاح في مهمّته الشّائكة. ولئن كان البعض من هذه الأخلاق قريبا من أخلاق العبيد فإن الغاية منه كرم المنصب والقدر الرفيع وشيء من مصلحة الأمّة.

وتبقى هذه الرّسالة –وإن تجاوزتها مثيلاتها ممّا ألف بعده شمولا وتدقيقا– مساهمة رائدة جمعت بين بعض الاستنباطات الإسلاميّة المتواضعة والكثير من التّراتيب الفارسيّة العريقة في أمور الدّيوان. وهي بهذا الجمع قوّت الحضارة العربيّة من أحد جوانبها : وهو التّنظيم الإداريّ كما فتحت السّبيل لتكوّن منصب سياسيّ غريب عنها وهو الوزارة.

III- المحتوى السّياسيّ للرّسائل :

نهدف بالتّعرض إلى المحتوى السّياسيّ لرسائل عبد الحميد الكاتب إلى تحديد آرائه في أساليب الحكم وفي علاقة الرّاعي بالرّعية وإلى الوقوف عند مساهمته في تسيير أمور الدّولة الأمويّة بصفته الكاتب الأوّل لآخر خلفائها.

وتجمّع هذا المحتوى من خلال مختلف أقواله المتعلّقة بقواعد الحكم وبشخصيّة الحاكم وأعوانه وأخلاقهم أو من خلال المواقف العمليّة التي أثرت عنه في مناسبات عديدة.

1- الإسلام أساس الحكم :

أوّل ما يسترعي الانتباه في آراء عبد الحميد السّياسية هو اعتباره أنّ الحكم يجب أن يستمدّ شرعيّته وقوّته من معين الإسلام. فالدّين هو أساس الملك وسنده وبه صلاح السّلطان وعمران البلاد [1]. وعدوّ أمير المؤمنين هو عدوّ الله وأرض الخلافة هي أرض الله وخراج المسلمين هو مال الله وانتهاك حرمة الخليفة يعدّ انتهاكا لحرمة الإسلام واستخفافا به وكفرا بنعمته [2]. والمفروض أن يعتمد الحاكم على الإسلام كدين راسخ في القلوب للدّفاع عن الشّرعية

---

[1] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 2.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 1.

السّياسيّة للحاكم ولدرء أطماع الأعداء : "ثم اصمد لعدوّك المتسمّى بالإسلام الخارج من جماعة أهله المنتحل لولاية الدّين مستحلاّ لدماء أوليائه طاعنا عليهم، راغبا عن سنّتهم، مفارقا لشرائعهم... يدعو إلى المعصية والفرقة والمروق من دين الله إلى الفتنة، مخترعا بهواه الأديان المنتحلة، والبدع المتفرّقة، بغير هدى من الله وبيان" [1].

والإسلام هو أيضا مصدر الهدى لرجل السّياسة وعاصمه من الخطإ، فواجبه أن يتشبّث بتعاليمه ويستوضح به سبل الحقّ ومنازل الرّشاد. والله هو "الموفّق للخير والمعين على الإرشاد وبه تمام الصّالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفاتيح الخير وهو على كلّ شيء قدير" [2].

وكان لهذا التّشبّث بالإسلام كقوّة عليا ترفد الخلافة انعكاسه على نظرة عبد الحميد إلى الأمة. فقد حرص على وحدتها وحمايتها من التّنازع والتّفرّق. وأمر الولاة الّذين كاتبهم بضرورة قمع ما يجدّ فيها من فتن تهدّ كيانها المتهافت [3] وتذهب بالمسلمين إلى المخالفة [4]. وإلى التّنصّل عن الطّاعة والخروج عن أمر الجماعة [5].

2- مفهوم الدّولة وشخصيّة الحاكم :

إذا كان الإسلام أساسا راسخا للحكم الشّرعيّ فالملك يحتلّ أعلى المراتب ويستوجب كلّ الإكرام [6] والطاعة [7] فهو خليفة الله يجمع شعث عباده المتفرّقين [8] وهو أمير المؤمنين يقودهم إلى الخير ويدعوهم إلى محاربة الشّيطان [9] وهو الإمام الّذي صحّت له القيادة ووجب له التسليم [10].

ويبدو أنّ عبد الحميد الكاتب يضيف على السّند الدّيني لشرعيّة الحكم سندا ثانيا مستمدّا من طبيعة الدّولة الأمويّة وهو الوراثة. فهو كثيرا ما يستوقفنا في رسالته إلى وليّ العهد ملحّا على إحاطة مخاطبه عبد الله بن مروان بن محمد بهالة من التّعظيم والإجلال بصفته من اللّحمة الأمويّة [11].

والحكم يحتاج إلى سند ثالث دعا عبد الحميد بإلحاح إلى توفيره وأوصى بترسيخه وهو رضا الرعيّة أو العامّة. ولا يتوفر هذا السّند بسهولة لأنّه يفرض على الحاكم الالتزام

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 38.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 38.
[3] من رسالة في الطاعة، الفقرة عدد 2.
[4] من رسالة في فتنة بعض العمال.
[5] من رسالة في الحث على لزوم الطاعة.
[6] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 1.
[7] رسالة في الحث على لزوم الطاعة.
[8] من رسالة في الطاعة، الفقرة عدد 2.
[9] رسالة في الشطرنج، الفقرة عدد 3.
[10] رسالة في الطاعة، الفقرة عدد 1.
[11] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 1.

بالصّدق وإعمال العقل في كلّ أمر يصدر عنه [1] وبالرّصانة والوقار في علاقته بمن حوله [2] ويتعهّد مشاكل النّاس عن قريب [3] وكلّما كان عرض الحاكم عند الرّعية نقيّا سلس له قيادها إلى منفعتها.

فالدّولة تقوم -حسب ما تقدّم- على أسس ثلاثة تثبّتها وهي الدّين والوراثة وبيعة الرّعية. وعبد الحميد لم ينته إلى هذه النّظرة انطلاقا من أحكام فقهية أو مذهب خاصّ في السّياسة وإنّما إيمانا بأنّها الضّامنة لتواصل الخلافة والموفّرة لحقوق النّاس وعمران البلاد.

3- القواعد السّياسيّة والأخلاقيّة للحكم :

وتحتاج الدّولة الإسلاميّة الوراثيّة إلى قواعد في العمل السّياسي يتمّ بها النّجاح في تصريف أمور النّاس وهذه القواعد هي العدل بينهم والرّفق بهم والمعرفة بمشاكلهم وحسن تعهّدها والصّرامة في تنفيذ حدود الله.

يقول عبد الحميد مجملا هذه القواعد في لغة امتزجت فيها المعرفة السّياسيّة بالضّمير الدّيني : "فإن ولي الرّجل منكم أو صيّر له من أمور خلق الله وعياله أمر فليراقب الله تعالى ذكره وليؤثر طاعته وليكن بالضّعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فإنّ الخلق عيال الله وأحبّهم إليه أرفقهم بعياله ثمّ ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما ومداريا وللفيء موفّرا وللبلاد عامرا وللرّعية متألّفا وعن إيذائهم متخلّفا، وليكن في مجلسه متواضعا حليما ليّنا وفي استجلاب خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا" [4].

وهذه القواعد ليست مجرّد معلومات نظريّة يختزنها السّياسيّ في الذّهن وإنّما هي فروض عمليّة تطبّق بها أوامر الله بالبرّ والتّقوى إزاء عباده وتحقّق التّآلف بينهم وحسن تصريف أمورهم اليوميّة. ويمكن تسمية هذه الفروض الواردة في رسائل عبد الحميد الكاتب بالضّمير السّياسيّ للحاكم.

ولا يمكن لهذا الضّمير السّياسي أن يتفتّح على النّاس عدلا وحسن تدبير إلاّ إذا تمّ لصاحبه أن يلتزم بصفات أخلاقيّة ثقيلة المحمل تفرضها عليه وضعيّته كقطب تتّجه إليه الأنظار ومسؤوليته كسياسيّ يحمل على كاهله أعباء الدّولة.

فهذا الحاكم وإن كان الأطول يدا والأعلى سلطة – مطالب باستشارة أهل الفقه والورع ممّن حنّكتهم التّجربة واعتادوا على الطّاعة وعرفوا بحسن الرّأي وأمن النّصيحة

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 14.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 18.
[4] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 7. وتوجّه هذا الكلام إلى الكتّاب لا ينفي عنه صفته السّياسيّة، فالكاتب – كما تقدّم ذكره – يساهم مساهمة فعّالة في أمور السّياسة. انظر أعلاه ص ص 71-73.

[1] وإذا كان الأعوان مأموني النّصيحة وناجحين في إدراك مشاكل الرّعية وفي التّقدّم بالحلّ المناسب لها حصل للحاكم الفضل [2] ومحمود الذّكر [3].

ولا يقلّ شأن الحاكم عند النّاس إذا ما أقبل على أعوانه يستنصحهم على أن لا يكون إقباله ذلك في صغار الحوادث أو دالاّ على عجز عن التّدبير [4]. كما يجب ألاّ يشعر الحاكم بالحرج إذا ما فرض عليه الموقف مداراة أعوانه بالإحسان إليهم[5] والحذر في معاملتهم [6].

ولعل أهمّ صفاته الّتي تضمن له النّجاح في سياسته وأكثرها نصيبا من إلحاح عبد الحميد هي اطلاعه على مختلف شؤون الدّولة وتعهّد هذه المشاكل بنفسه بلا وسطاء يخطئون في تقديرها وفي معالجتها. يقول له : "ولا يقدم (أحد من أعوانك) على شيء ناظرا فيه... ولا يعاقب أحدا... ولا يخلّي سبيل أحد... حتّى يرفع إليك أمره وينهي إليك قضيّته على جهة الصّدق ومنحى الحق" [7].

ويعتبر عبد الحميد أنّ رفع قضايا النّاس إلى الحاكم يمكّنه من تعهّدهم عن قريب "بمعرفة دخلهم وتبطّن أحوالهم واستثارة دفائنهم" وبالتّالي من "إنعاش عديمهم وجبر كسيرهم وإقامة أودهم وتعليم جاهلهم واستصلاح فاسدهم" [8].

والنّجاح في هذه المهمّة متعلّق كذلك بسلوك يوميّ لا يحيد الحاكم عنه، فوقاره بمحضر الحاشية يحفظ له هيبته عندهم وحسن إنصاته يجنّبهم التّوسّع لديه في أحاديث السّوء [9] واستلحام أعراض النّاس والنّميمة بمستتر أحوالهم [10]. ومن وقاره أن يقلّل من الضّحك ويتريّث في القرار [11] ويتجنّب التّضجر بالمحدّث والإمعان في النّظر إليه أو الإسراع في الإطراق عنه [12]. ومن معايب الملوك الّتي تذهب بوقاره ويجب التحفّظ منها "كثرة التنخّم والتبصّق والتنخّع والتّؤباء والتّمطّي والجشاء وتحريك القدم وتنقيض الأصابع والعبث بالوجه واللّحية والشّارب والمخصرة وذؤابة السّيف، والسّرار في المجلس والاستعجال في الطّعام والشّراب"[13].

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرتان عدد 10 وعدد 17.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 33.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 18.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 26.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 43. رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد
[7] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 18. واطّلاع الحاكم على مختلف شؤون دولته بنفسه لا يعني أن مهمّة الأعوان تنتفي تماما ليصير هو مباشرا للعامّة فالأعوان مسؤولون عن إيصال قضايا النّاس إليه على جهة التّفصيل والصّدق. رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد
[8] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 32.
[9] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 11.
[10] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 22.
[11] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 23.
[12] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 24.
[13] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 30.

كلّ هذه النّصائح الواردة في الرّسالة إلى وليّ العهد تدلّ على إدراك عبد الحميد لأهمّيّة الأخلاق والسّلوك اليوميّ في تشكيل شخصيّة الحاكم. فالرّعية لا تقرب من حاكمها أو تنفر عنه بحسب حسن سياسته فقط وإنّما أيضا بما يبديه من آداب اجتماعيّة عالية.

4- أعوان الحاكم وأدوارهم :

عدّ عبد الحميد الاستعانة بأصحاب الرّأي والمشورة من ذوي الكفاءة والمنزلة عند العامّة ضمانا آخر من ضمانات النّجاح في تسيير أمور الدّولة، وأهمّ هؤلاء الأعوان : **الكاتب** [1]

صاحب الشّرطة أو عامل الشّرطة وهو مسؤول عن الأمن وعن قبول الشّكايات وإبلاغها إلى رئيسه [2].

القاضي وتعدّ مهمّته أدقّ المهامّ وأكثرها صعوبة [3]

قائد الجيش
الأحراس
الجند
الجواسيس
} وهي مهامّ عسكريّة [4]

وكلّ هؤلاء الأعوان يؤلّفون مع الحاكم لحمة قويّة تجابه مشاكل الدّولة المتكاثرة يوما بعد يوم، ولهذا أكّد عبد الحميد على حسن اختيارهم لضمان سلامة العمل السّياسيّ.

ومقاييس الاختيار الحسن هي [5] :

الإسلام
التّجربة
حسن التّدبير
الصّيت لدى العامة
النسب

وتزداد همّة الأعوان رغبة في حسن العمل عندما يباشرهم رئيسهم بالتّفقد والسّؤال عن أشغالهم، وله أن يحاسبهم إذا تخلّفوا عن المجالس الّتي يطالبون بحضورها [6].

إن هذه الشّروط والوصايا تساهم في ضبط المعالم الأولى لشخصيّة الوزير الّذي ستوكل له كتب الأحكام السّلطانيّة فيما بعد بتوضيح أدواره المتنوّعة وتحديد شروطه

---

[1] سبق تفصيل مهامّه في هذا البحث ص 62-77.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 17.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 49.
[4] انظر الفصل الخاصّ بسياسة الجيش وفنّ الحرب، صص 90-101.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 33.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 25.

المفروضة بالدّين والمصلحة كالأمانة والصّدق والتعفّف وحضور الذّاكرة والفطنة والبعد عن الهوى والتّجربة [1].

5- آراء عبد الحميد الكاتب بين الواقعيّة والمثاليّة :

هل استمدّ عبد الحميد هذه الآراء حول الحكم والحاكم من الواقع السّياسيّ للدّولة الأموية أم كانت عرضا لنظريّات تقنّن لسياسة مثاليّة صالحة لكلّ زمان ومكان ؟

تبيّن فيما سبق أن الدّين يحتلّ مكانة أولى في المحتوى السّياسي للرّسائل فهو السّند الّذي يقوّي من شرعية الحكم والدّليل الّذي يعرّف بمناهجه العمليّة.

وفضائل الأخلاق تدفع بالحاكم إلى الرّحمة بالنّاس والتّعطّف على الضّعفاء [2] وتمنعه من إقحام جنده في جمرة الحرب ومعترك الموت [3] إذا ما وجد إلى حلول السّلم سبيلا. وفضائل الأخلاق تمنعه أيضا من التّبرم بالآخرين أو إظهار الغضب عليهم أو احتقارهم [4]. وهي بالجملة تدلّه إلى سبيل الخير والتأليف بين النّاس كهدف نهائيّ لعمله السّياسيّ.

إلاّ أنّ هذا المنهج السّياسيّ يتجرّد في بعض فصول الرّسالة من صفته المثاليّة ليرتبط بحقائق الدّولة الأمويّة ويماشي حاجيتها المتأكّدة إلى القوّة والاستقرار وإلى مجابهة ما يداهمها من فتن وثورات مختلفة المشارف والمذاهب. ويستبدل عبد الحميد بحكم هذه الحقائق المثل السّياسيّة الّتي نادى بها بممارسات تناقضها في المحتوى وإن كانت تدّعي مشابهتها في الغرض.

فرجل السّياسة مطالب بأن يداري من حوله وأن يلوّن أخلاقه على مقتضى أخلاق من يتعامل معهم [5] وأن يخادعهم إذا أحس أن في خداعه ربحا له [6].

وتتّصف نظرة عبد الحميد إلى النّاس أحيانا بسوء الظنّ فيهم فدعا إلى تجنّب مطارحتهم الأحاديث والفكاهات خوفا من أن يستغلّوها في المسّ بشخصيّة الحاكم أو الطّعن في عرضه أو تعديد عيوبه (رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد[7]).

ورأى أنّ الإنسان مجبول على الفساد والإفساد وذلك لما فيه من طباع سوء كامنة "كمون النّار في الحجر الصّلد فإذا قدح لاح شرره وتلهّب وميضه ووقد تضرّمه" [8]. ولهذا نبّه إلى الحذر من كل غيبة ونميمة يتقدّم بها السّاعون إلى الارتقاء في مدارج الشّرف

---

[1] النّظريات السياسيّة الإسلاميّة : 225.
[2] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 7.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 40.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 22.
[5] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 2.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 77.
[7] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 14.
[8] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 14.

الكاذب [1] أو من كلّ مغالطة يأتي بها نصير مخادع [2]. أمّا إذا كان التّظاهر بقبول هذه المغالطة مؤدّيا إلى نجاح مسعى سياسيّ، فلا بأس منه [3].

وحرص عبد الحميد على أن تكون صورة رجل الدّولة الأوّل عند العامّة خالية من كل شائبة فصيته الحسن سبيل إلى طاعته. وإذا وجب عليه أن يقوم بعمل يغضب رعاياه فالمفروض على أعوانه من حجّاب وكتّاب وعمّال شرطة أن يتولّوا القيام بهذا العمل فيكونوا سدّا منيعا بينه وبينهم ويتحمّلوا دونه اللاّئمة والشّتيمة [4].

واستبدل عبد الحميد مفهوم العدل الّذي طالب به في رسالته إلى الكتّاب وإلى وليّ العهد بمسلك الحزم والبطش عندما يجتمع النّاس على الذّنب وينهجون إلى الفتنة ويصير القمع والتّبكيت والعقوبة الشّديدة الطّرق المناسبة لردّهم إلى السّبيل السّويّ[5].

هذا السّلوك السّياسيّ يتجاوز في الحقيقة المثل الأولى الّتي طالب الإسلام بها إلى الاعتماد على "حكمة سياسيّة" فرضتها الوضعيّة الجديدة الّتي آلت إليها الخلافة.

هذه الحكمة استبدلت شخص أمير المؤمنين الصّريح في أقواله وأفعاله والمنفّذ الصّارم لتعاليم الدّين برجل سياسة خفيّ الطّوايا متلوّن السّلوك همّه الأوّل الحفاظ على سمعته عند رعيته وعلى سلطته في دولته.

وتعترضنا في أخبار عبد الحميد نصيحة منه لمروان بن محمد تؤكّد هذا المذهب السّياسي القائم على النّفعية العمليّة. وملخص هذه النّصيحة أنّ عبد الحميد تقدم إلى مروان أن يصاهر زعيم الدّعوة العبّاسيّة إبراهيم بن محمد بن علي تجنّبا لشرّه إذا ظهر أمره على بني أميّة (رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد[6]).

لكنّ هذه النّصيحة لم تجد صداها عند مروان الّذي أجاب كاتبه أنّه من العار أن يطلب النّصر من "أحراء النّساء"

فعبد الحميد لم يتحرّج إذن من ضعة الوسيلة إذا كانت الغاية النّهائية المرغوب فيها حاصلة ومأمونة.

وتبقى آراء عبد الحميد السّياسيّة –رغم هذه التّحفظات الأخيرة– معتمدة على أسس دينيّة وأخلاقية متينة وصادرة من موقف التّجربة والرّصانة والوعي بأن أخطر الآفات على الدّولة وعلى الرّعية هي الفتن الّتي لا تثمر غير العداوة والضّغائن وتقتيل النّاس لبعضهم البعض.

6- مكانة عبد الحميد في الفكر السّياسيّ :

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 16.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 44.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 44.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرات 17، 18، 19 و20.
[5] رسالة في الشّطرنج، الفقرة عدد 4.
[6] الخبر عدد 10 – الدّراسة ص 399.

هل يمكن اعتبار هذه الآراء الخاصّة بالحكم والحاكم والمتناثرة في مختلف رسائله مادّة لفكر سياسيّ ولمذهب خاصّ في الحكم ؟

تمكّن عبد الحميد –بحكم منصبه العالي لدى الخليفة– من أن ينشط نشاطا غزيرا في السّياسة وأن يهتمّ بمشكلاتها وبالتّالي أن ينفذ إلى خفايا الحكم من زاوية التّجربة اليوميّة، وكان الاضطراب المذهبيّ الّذي قلقل الخلافة في آخر أيّامها عاملا فعّالا من عوامل تكوّنه.

وهكذا رسخت قدم عبد الحميد في السّياسة نشاطا وثقافة فنفذ بذلك إلى تصوّر أساسيّ هو أنّ الدّولة المثاليّة هي الّتي تقوم على الشرع وأنّ الحاكم الأمثل هو من يطبّق هذا الشّرع بمختلف فضائله الأخلاقيّة في أحكامه وينتهي عن إعمال الهوى والأثرة في سيرته وفي اختيار أعوانه.

وجعل عبد الحميد في تنظيره السّياسيّ الإنسان غاية أولى. فكلّ تدبير صادر عن الحاكم يجب أن يهدف إلى توفير الاطمئنان للرّعية والتّأليف بين المتخالفين فيها والرّحمة بضعفائها والإنصاف لمظلوميها.

لكنّ هذه النّزعة الإنسانية لم تمنعه من الدّعوة إلى الحزم والصّرامة ضدّ كلّ مخالف يشكّل خطرا على الدّين والأمّة فإنّ في المحافظة على هيبة الخلافة ووحدتها دفاعا عن الإسلام تصحّ معه كلّ شدّة.

ومختلف هذه الآراء المتشتّتة في الرّسائل –وخاصّة في رسالة إلى وليّ العهد– تكوّن في الحقيقة وحدة فكرية تدعونا إلى اعتبارها رؤية واعية في السّياسة. وإن كنّا لا ندّعي اعتبار هذه الرّؤية مذهبا متكاملا لما فيها من تعميم واقتضاب في عرّض المسائل والتّفاصيل، فإنّ عبد الحميد يعدّ بها مساهما في تكوين غرض جديد في النّثر العربيّ وهو الأدب السّياسي. وإنّنا واجدون عند الأدباء بعده اعتناء نشيطا بهذا الأدب وتطويرا سريعا له وذلك بداية من أواسط القرن الثّاني مع ابن المقفع وسهل بن هارون ثم بعد ذلك مع الجاحظ وابن قتيبة ونهاية بالمؤلّفات الجمّة الخاصّة بالأحكام السّلطانيّة. وقد تناول أدب السّياسة عند كل هؤلاء "مكانة الحكّام وسيّرهم وما ينبغي لهم من طاعة واختيارهم للعمال الأعفة الصّلحاء ودوام مراقبتهم ومحاسبتهم إذا خانوا أو ظلموا واهتمامهم بالرّعية وشؤونهم والنّظر في شكاويهم ومظالمهم" [1].

IV– سياسة الجند وفنّ الحرب :

مقدّمة عن وضعيّة الجند الأمويّ في عهد عبد الحميد :

---

[1] الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية : ص 371.

ما أن بدأت الدّعوة الإسلاميّة في الانتشار حتّى تحوّل كلّ من يقدر على حمل السّلاح ممّن اعتنق الإسلام إلى مقاتل مستعدّ للدّخول في غمرة الحرب عند الحاجة. وشرع الخلفاء شيئا فشيئا في ترسيخ المبادئ الأولى في تنظيم الجند وفي جمع أعطياتهم ورواتبهم. وهذا التّنظيم لم يصل إلى حدّ تشكيل جيش نظاميّ فلم تؤسّس ثكنات عسكريّة ولم يكن التّدريب مستمرّا وكان الرّابط الوحيد بين الجنود –وهو الانتساب إلى الإسلام– مفتّتا في أكثر الأحيان "فقد كان المقاتلة مشدودين بروابط القبليّة لذلك لم يكن لديهم حافز محرّك واحد للقتال بل كان المحرّك يختلف من فئة مقاتلة إلى أخرى فمنهم من يقاتل مندفعا بعوامل دينيّة منهم من يقاتل من أجل الغنائم أو لأسباب سياسيّة أو قبليّة كما وأنّ قتالهم ضدّ الأعداء الخارجيّين كان للدّفاع عن أنفسهم وحمايتها، وفي كل الحالات كانوا يتوقّعون من الدّولة أن تدفع لهم عطاء جيّدا مقابل القتال. وفي كلّ المعارك الّتي خاضها المقاتلة العرب في العصر الأمويّ لم يقاتلوا كجند للدّولة بل كأفراد في قبائل ومعنى ذلك أنّ وحدة الهدف أو الغاية كانت تنقصهم بل تحكّمت أحيانا المصالح الخاصّة بالقبائل أو زعماء القبائل في الاشتراك في القتال أو عدمه" [1].

وساهمت هذه الحالة في وهن الدّولة الأمويّة وخاصّة في سنواتها الأخيرة أمام المعارضات الشّيعيّة والخارجيّة المنتشرة في البلاد ممّا حدا ببعض الخلفاء وخاصّة بهشام بن عبد الملك إلى أن يعمل على التّخفيف من أثر النّفوذ القبليّ بين الأجناد وبإسقاط الأعطيات عن المقاتلة الّذين يظهرون تهاونا في ردّ الأعداء [2].

ويعد مروان بن محمّد في هذا المجال مصلحا عسكريّا إذ أنّه قام بمجهودات عمليّة متّعدّدة لتنظيم الجند بصورة كفلت له الانتصار في مواقع حربيّة عديدة [3].

كما أنّنا –إذ نتتبّع الرّسالة إلى وليّ العهد عبد الله بن مروان بن محمّد– نكتشف لدى عبد الحميد موهبة بعيدة الغور في تنظيم الجند وفنّ الحرب [4] فقد فصّل فيها الحديث عن خصال أمير الجيش وما يجب أن يمتاز به من بعد نظر وحذر وحيلة وأطنب في ذكر شروط قوّاد العسكر وكيفيّة معاملتهم للجند ووصف حركة الجيش قبل الحرب وأثناءها وعدّد الأسلحة وفاضل بينها فكان حديثه –بهذا– درسا مفصّلا في تنظيم الجيش يمكّن تعديده من التّعرف أكثر على شخصيّته [3].

---

[1] الجند الأمويّ والجيش العبّاسيّ، مقال لفاروق عمر فوزي، مجلة آفاق عربية، السّنة الخامسة عدد 2 تشرين الأول 1979 ص 21.
[2] الجند الأموي والجيش العبّاسيّ، ص 29.
[3] مروان بن محمد وأسباب سقوط الدّولة الأمويّة، لسعدي أبو جيب فصل، مروان القائد : ص 84 وما بعدها.
[4] لا تستبعد أن تكون هذه الرّسالة من إملاء أو –على الأقل- من وحي مروان بن محمد. فقد عرف بحذق فنّ" الحرب "ومهما ينس التّاريخ من مآثر مروان فإنه لا ينسى جهوده في تنظيم الجيش وفي سياسة الحرب"
ملامح يونانية في الأدب العربيّ ص 105 – تاريخ شعوب بروكلمان : 162. وعبد الحميد أشر بنفسه –وإن مجاملة- إلى دور مروان في تأليف هذه الرّسالة : - فمروان هو الذي أحبّ أن يعهد بها إلى ابنه وأن يحمّله فيها أدبه (الفقرة 1) وهو الذي تقدّم فيها بنصائحه (الفقرة 3) وهو كذلك الذّي لخّص فيها الخصال الخاصّة بالقائد المثاليّ (الفقرة 34) ووصف طريقة تقدّم العسكر أثناء المعركة (الفقرة 69).

1- أمير الجند وقوّاده :

لأمير الجند النفوذ المطلق في عسكره ما دام يستمدّ مبادئ سياسته الحربيّة من تعاليم الدّين وتوصيات الخليفة [1].

والأمير لا ينجح في قيادته إذا تحدّدت معرفته بالفنون العسكريّة فيلزمه كذلك التّشبّع بأخلاق السّياسيّين ليتمكّن من تدبير أمور جنده الحيويّة المختلفة [2].

وهو مطالب بالحرص على تجنّب الحرب فلا يعرّض جنوده للتّلف بل يدعو عدوه إلى الاستسلام [3] ويعده المثاوب والمنالات [4].

وتقدّم عبد الحميد لعبد الله بن مروان بن محمد بنصائح فنيّة تخصّ طرق التّعامل مع القوّاد والجواسيس وعمّال الشّرطة والجنود وكيفيّات المسير إلى الحرب ومنازلة الأعداء وأكّد أثناء ذلك على الالتزام ببعد النّظر والحذر في اتّخاذ القرارات واللّين في موضع اللّين والشدّة في موضع الشدّة [5] كما نبّه إلى وجوب الاحتفاظ بالمكانة الرّفيعة لدى الأعوان والأجناد وبالهيبة الكاملة أمامهم لأنّ ذلك يجنّبه تمرّدهم عليه [6] واعتبر أنّ أمير الجند النّاجح هو من يتّسم بالحذق في اختيار قوّاده وبالحرص المتواصل على تفقّد أعمالهم وأسلحتهم [7].

أمّا قوّاد فصائل الجيش كقائد الشّرطة والأحراس [8] وقائد الطّلائع [9] وقائد السّاقة [10] وغيرهم فتتأكّد فيهم صفات الرّصانة والبطش والتّجربة.

وهي صفات تخوّل له السّيطرة على جنده وقيادتهم إلى الانتصار. يقول معدّدا شروط قائد الطّلائع : "ثمّ انتخب للولاية عليهم (أي على طلائع المسلمين) رجلا بعيد الصّوت مشهور الاسم ظاهر الفضل نبيه الذّكر له في العدوّ وقعات معروفات وأيام طوال وصولات متقدّمات قد عرفت نكايته وحذرت شوكته وهيب صوته وتنكّب لقاؤه، أمين السّريرة ناصح الجيب قد بلوت منه ما يسكنك إلى ناحيته من لين الطّاعة وخالص المودّة ونكاية الصّرامة وغلوب الشّهامة واستجماع القوّة وحصافة التّدبير..." [11].

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرات عدد 1 وعدد 36 وعدد 39.
[2] أكثر من النصف الأول من رسالة عبد الحميد إلى وليّ العهد أتت إرشادا سياسيّا. وكان منطلق بحث أساسيّا للفصل السّابق، صص 78-80.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 40.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 77.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرتان عدد 57 و60.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرتان عدد 58 و70.
[7] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 74.
[8] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 47.
[9] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرتان عدد 51 و54.
[10] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 60.
[11] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 53.

والقائد -وإن تمّ له التّمكن من هذه الشّروط- مطالب بالالتزام بالوفاء والصّدق إزاء رئيسه وإلاّ عرّض أمره للخذلان وسوء العاقبة [1].

2- العلاقة بالعدوّ :

العلاقة بالعدوّ هي -قبل كلّ شيء- علاقة حرب دفاعا عن الخلافة [2] وعن الدّين [3] وهذه الحرب يجب أن تكون شديدة لا رحمة فيها به ولا هوادة معه وخاصّة إذا سدر في غيّه. أمّا إذا وجدت عنده رغبة في التّوبة بالنّزوع عن الضّلالة فاللاّزم قبولها والتّرحيب به في فئة المسلمين [4].

ويستوجب على القائد أن يتّصف بالحذر وبعد النظر فلا يؤدّي بجنوده إلى التّهلكة إذا شكّ في النّصر عن طريق المجابهة والأفضل إذ ذاك دعوة العدوّ إلى الاستسلام باستنزال طاعته [5] واشتراء همّته ومخادعته [6].

فالعدوّ هو -في الدّرجة الأولى- شرّ يجب تدميره لكن إذا ذهبت أسباب هذا الشّرّ فإنّه يصير نصيرا للأمة بعد عدوانه وجزءا منها بعد خروجه عنها وسندا جديدا يرفدها بعد أن كان يفلّ من جنباتها ويوهن من قوّتها.

3- الأسرار الحربيّة :

واهتمّ عبد الحميد بالأسرار الحربيّة بأن فصّل الحديث عن الجواسيس ومهمّاتهم وصفاتهم وكيفيّة معاملتهم ومواطن الحذر منهم.

فهؤلاء الجواسيس -أو العيون كما يسمّيهم أيضا- يتسرّبون إلى العدوّ ويجمعون الأخبار عن خططه السّرّيّة، على أن يستقوا هذه الأخبار من منابعها [7]، ثم تدرس هذه الأخبار مع ذوي المشورة [8] دونما تشكيك صريح فيها أمام ناقليها [9] وهذه الأخبار -إن صحت- تعين على معرفة تحرّكات العدوّ وأحواله ومنازله ومطامعه[10].

وخطورة الجاسوس تساوي أو تجاوز الانتفاع به. لذلك يتعيّن الحذر منه. فلا يبعد أن ينقل الأخبار الكاذبة بعد أن يتواطأ مع الأعداء [11].

كما يتحتّم أن تبقى شخصيّة الجاسوس محاطة بالسّرّيّة المطلقة بأن لا يعرف في عسكره فيصير عرضة الإشارة بالأصابع [1] وأن لا يعرف زملاءه فيجتمعون معه على

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 57.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 1.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد9.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 40
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرتان عدد 41 و77.
[7] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 45.
[8] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 42.
[9] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 43.
[10] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 42.
[11] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 44.

الخيانة ويتطابقون على الكذب ويورّط بعضهم بعضا [2] فتنكسر شوكتهم وتنخذل همّتهم [3].

ومثلما يقع الاعتماد على الجواسيس لمعرفة خطط العدوّ فيجب التّنبّه إلى أنّ للعدوّ جواسيسه يرسلهم ويكيد بهم [4].

4- معاملة الجنود :

وتكمن قوّة الجيش العربيّ في حماس جنوده في القتال لذلك لابدّ من تغذية الرّوح القتاليّة فيهم بالوصول بهم إلى درجة عالية من الثّقة في أنفسهم والاعتداد بشجاعتهم والاعتقاد الرّاسخ أنّهم يساهمون في الانتصار للإسلام.

ومن واجبات أمير الجيش عندئذ أن يحسن معاملتهم وأن لا يثقلهم بعدّة وعتاد وأثقال لا يطيقونها [5] ومن واجباته أن يحسن إليهم بالعطف على ضعيفهم ومواساة مريضهم [6] حتى لا يشعروا بضيم يدعو بهم إلى الكلال، أمّا إذا أظهروا تهاونا في أداء الواجب أو رغبة في التّخلّف عن العسكر فالمفروض عندئذ تنكيل العقوبة بهم ليكونوا عظة لغيرهم ووقاية للمعسكر من أيّ عصيان [7] ومهما تكن شدّة الخطإ فالعقوبة يجب أن لا تتجاوز حدّها فتبلغ "تلف المهجة وإقامة حدّ في قطع أو إفراطا في ضرب أو أخذ مال" [8].

كما يلزم على الجنديّ ألاّ ينسى أنّه يحارب من أجل قضيّة شرعيّة يسندها الدّين. لهذا يعتبر التّسبيح لله أثناء سكنات الجيش وكذلك أثناء نزاله من المهمّات الّتي يتعهّد أمير الجيش بتواصلها. وهذا التّسبيح يضمن للجند الاطمئنان والحماس في القتال، يقول عبد الحميد : "وليكن في عسكرك مكبّرون بالليل والنّهار قبل المواقعة وقوم موقوفون يحضّونهم ويحرّضونهم على عدوّهم ويصفون لهم منازل الشّهداء ويذكّرونهم الجنّة ودرجاتها ورخاء أهلها وسكانها ويقولون : "أذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم" [9].

وهذا الاهتمام بالرّوح القتاليّة للجنديّ يرتبط بما كانت الخلافة الأمويّة تعانيه في آخر أيّامها من عصيان عسكريّ تأتّى عن عدم اقتناع المحارب بسلامة الهدف الّذي يحارب من أجله [10].

5- التّعهّد المادّيّ للجيش :

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 44.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 46.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 45.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 45.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 55.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 60.
[7] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرتان عدد 57 و62.
[8] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 58.
[9] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 80.
[10] مثل عصيان عساكر البصرة أثناء حركة يزيد بن المهلب. (698/80) فقد رفض شقّ من المقاتلة حربه وانضمّوا إليه ضدّ الدّولة الأمويّة وانتهز شقّ آخر الفرصة وطلب منالوالي زيادة العطاء قبل الابتداء في القتال : الجند الأمويّ والجيش العبّاسيّ ص 28.

يحتاج الجيش أثناء توجّهه إلى الحرب إلى تعهّد دقيق من لدن أمير الجيش وأعوانه، وهذا التّعهد يكون بتوفير حاجياته الماديّة من عدّة وعتاد وخيل وسلاح وبحسن اختيار مواقع نزوله وأوقات رحيله.

من ذلك أن عبد الحميد دعا إلى تحسين أعطيات الجند وأرزاقهم حتّى يكونوا أكثر إقبالا على الحرب [1] وأوصى بأن تكون هذه الأعطيات والأرزاق راجعة بالنّظر إلى رجل ناصح أمين يكون وكيلا على الخزائن، كما دعا إلى توفير حراسة يقظة عليها تتشدّد على من يدنو منها وتقاتل من يبغي انتهابها [2].

والحراسة اليقظة أثناء تقدّم الجيش موكولة إلى فرق خاصّة سمّاها عبد الحميد بالطّلائع. ومهمّتها أن تسبق الجيش في مسيره وتطّلع على ما في الطّريق من أخطار أو مكامن يترصّد فيها العدوّ [3]. ومهمّتها كذلك أن تتعرّف على الأماكن الوافرة المرافق والحصينة المواقع الّتي ينزل فيها الجيش فيأمن فيها على سلامته من غرّات الأعداء [4].

وتعهّد الجيش بالحراسة أثناء نزوله لا تقلّ أهمّيته عنها أثناء مسيره. وهذا الواجب موكول إلى الشّرطة الّتي تتولّى تطويق المعسكر أثناء الليل والنّهار. يقول عبد الحميد لعبد الله بن مروان بن محمد : "فإنّ إصابة عدوّك للرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم فيك مقوّيهم على شحذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك وتوهينهم تدبيرك" [5].

6- الأسلحة :

فصّل عبد الحميد ما يحتاج إليه الجيش من خيل وأسلحة وخصّص أنواعا منها لكلّ فئة من العسكر. كما وصفها بدقّة وعرض شروطا دقيقة لها وحذّر من عيوبها.

وأخصّ الأسلحة المذكورة الدّروع والسّيوف والقنوات والمعاقص والنّبال والقسيّ والسّهام والجنن.

والمطلوب في صفاتها إتقان الصّنع وفي معادنها الصّلابة. أما مصادرها فأبعد البلاد كفارس واليمن والهند والتّبّت.

ويحسن من الخيل السّريع جريه والصّبور في إقدامه والصّريح نسبه.

وشروط البراذين امتلاء البدن وقوّة التّحمّل [6].

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرات عدد 44 و54 و55.

[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 76.

واعتبر بعض الدّارسين أنّ من أسباب سقوط الدّولة الأمويّة هو فساد تسييرها الماليّ لأمور الجند. من ذلك أنّ مقاتلة خراسان كانوا يتذمّرون "من السّياسة الأمويّة التي كانت تقطع أعطياتهم أحيانا أو تسلبهم فيئهم وغنيمتهم أو تقتطع نسبة أكثر مما تستحقه من هذه الغنائم بينما كان الواجب أن تأخذ الدّولة الخمس وتترك الباقي يوزّع على المقاتلة". الجند الأمويّ والجيش العبّاسيّ، ص 28. وحاول مروان بن محمّد أن يتجنّب هذه النّقيصة في معاملة الجند فقد اعتبر المؤرّخون أنّ من مزاياه "أنّه كان شديد الحرص على دفع أعطيات الجنود وما يستحقّونه دون تأخير أو تسويف". مروان بن محمّد، ص 93.

[3] وهو الدّور الذي تتولاّه حديثا فرق تسمّى في المصطلح العسكريّ المعاصر بالرّوّاد والكشّافة.

[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرتان عدد 51 و64.

[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 7.

[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرات 51 و62 و74.

وإلحاح عبد الحميد على هذه الشّروط يدلّ على أهميّة المعرفة بالأسلحة وأنواعها في عصره مما أدّى إلى تخصيص دواوين لها كديوان الكراع وديوان السّيف اللّذين سيختصّان بتموين الجند بالسّلاح والحيوان والغذاء بإحكام [1].

ولا يخلو إغراق عبد الحميد في وصف الأسلحة وتعديدها من بعد فنّيّ واضح يدلّ على ابتهاجه بالوصف وافتخاره بالمقدرة عليه" [2].

7- تقسيم الجيش :

ينقسم الجيش –حسب ما ورد في الرّسالة إلى وليّ العهد– إلى أقسام كبرى هي :

- المقدّمة.
- الميمنة.
- الميسرة.
- القلب.
- السّاقة.

وحذّر عبد الحميد من أن يتقدّم الجند في الحرب على غير هذا التّقسيم. فكلّ مقاتل يبقى به في موضعه ويعرف قائده عند مسيره ووقوفه وحربه وأوصى أن تكون لكلّ قسم من هذه الأقسام ألوية وبنود وعلامات خاصّة على دوابّه تجنّبا لكلّ اختلاط واضطراب بين الجند والخيل [3].

وأكّد على تجمّع الجنود أثناء الحراسة [4] وقبل الهجوم [5] إلى كراديس أو فرق لا تتجاوز المائة نفر. فإذا حاربوا تنوب كل فرقة سابقتها وبذلك تتلاحم قوّة الجيش في إطار كل فرقة تلاحما يجعلها "كرجل واحد في التّشمير والتّرادف وبسرعة الإجابة" [6] وإضافة إلى هذا ينهك توالي الكراديس العدوّ إذ يضطرّه للصمود في وجه البعوث المتوالية والمتجدّدة القوى على الدّوام [7].

8- قيادة المعركة :

---

[1] صبح الأعشي، ج 3 : 492.
[2] ملامح يونانية في الأدب العربيّ، ص 108.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 59.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 56.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 75.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 75.
[7] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 75.
وقد أثار مسألة الكراديس هذه ملاحظات كثيرة منها أنّ الدّكتور طه حسين انطلق منها ليقرّر تأثر عبد الحميد برسائل الحرب اليونانيّة يقول "ونحن نعلم أنّ الوحدات التي يتكوّن منها الجيش البيزنطيّ كانت وحدتين : اللّجيو (Lat. Légio) وتتكون من ستّة آلاف رجل، ثم السّنتريو (Lat. Centurio) وعدده مائة رجل ورئيس المائة هو السنتريون (Fr. Centuria) فنظام الجيش هذا ما أشكّ في أنه متأثر فيه برسائل الحرب عند اليونان، ثمّ رؤية الجيوش اليونانية التي كان العرب يحاربونها دائما ولاسيّما أيّام مروان" من حديث الشّعر والنّثر، ص 45.
واعتبر الدّكتور إحسان عباس أن هذا التأثر غير متأكد" فنجد سابور يقول لابنه هرمز : اجعل على كل مائة رئيسا، ثمّ لا يكون هذا التّشابه غلا تعبيرا عن قاعدة حربية أصبحت عامّة لا يتميّز فيها الفرس عن العرب ولا يستقلّ فيها هؤلاء دون اليونان" ملامح يونانية في الأدب العربي، ص 105.
ونقل القاضي سعدي أبو جيب عن إتمام الوفا في سيرة الخلفاء لمحمّد الخضري أن نظام الكراديس معروف عند العرب منذ عهود الفتح الأولى فقد اعتمده خالد بنالوليد في معركة اليرموك وكذلك الخوارج ضد الحجّاج بن يوسف. وأضاف القاضي سعدي أبو جيب أنّ مروان بن محمد طوّر هذا النّظام وجعله أساسا أوّل في تعبئة جنده. مروان بن محمد لسعدي أبو جيب، ص ص 94-98.

لحظة لقاء العدوّ هي منتهى كلّ إعداد عسكريّ وزبدة كل جهوده. لذلك يجب على الجند أن يتجنبوا أثناءها الهلع وأن يعتمدوا عند الهجوم المفاجئ للعدوّ على الرّماح والنّشّاب وما يمكن رميه من السّلاح عن بعدو ذلك صدّا للعدوّ عن القرب والتسرّب ضمن الجند فينشر بذلك الاضطراب والفوضى في الصفوف [1].

ومن واجبات المقاتلين أثناء النّزال "الصمت وقلّة التّلفّت وكثرة التّكبير في أنفسهم والتّسبيح بضمائرهم وألاّ يظهروا تكبيرا إلاّ في الكرّات والحملات وعند كلّ زلفة يزدلفونها، فأمّا وهو وقوف فإنّ ذلك من الفشل والجبن، وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم وليكثروا من قول : "لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم" [2].

وإذا أمن النّصر وانصرف العدوّ فإنّ مطاردته وإرهاقه يكفلان "كسر أمانيّ ضلاله وردّ مستعلي جماحه" [3].

9- تصوّر عبد الحميد للجيش وعلاقته بوضعيّة الدّولة الأمويّة:

يتّضح لنا عبد الحميد في هذه الفقرات السّابقة رجلّ حرب بعيد الشّأو وواسع المعرفة بالتّنظيم العسكريّ، فتطرّق إلى سياسة الجند في سلمه وفي حربه، وحرص أثناء ذلك على أن تكون لهذا الجند القيادة الحازمة والقوّة المعنويّة والماديّة الكافية.

لقد تبيّن لعبد الحميد أن بعض ما يعانيه كيان الدّولة الأمويّة من ضعف إنما تأتّى لها من جندها الّذين افتقدوا العناية بتنظيمهم والحزم فيه مما تسبّب في خذلانهم في العديد من المعارك وتمردّهم في الكثير من المناسبات. وكانت رسالته إلى وليّ العهد -بما فيها من تريّث في عرض المعلومات وإغراق في التّفاصيل الخاصّة بسلوك القائد وأنواع الأسلحة وكيفيّات المسير والنّزول والنّزال- دليلا عسكريّا يضاف إلى الدّليلين الإداريّ والسّياسيّ اللّذين أفاد بهما معاصريه.

ولعلّ أهمّ ميزة في هذا الدّليل هي الرّبط الدّائم بين كلّ سلوك عسكريّ أو منهج في الحرب وبين الرعيّة الملحّة في الانتصار.

فقد استهدف عبد الحميد ممّا كتبه في رسالته إلى وليّ العهد إلى الوصول بجند الدّولة الأمويّة إلى المستوى الأعلى من القوّة في فترة كانت فيها في أشدّ الاحتياج إلى صدّ الأعداء المنصبّين عليها من كلّ حدب وصوب. والظّروف الّتي كتبت فيها هذه الوصايا العسكريّة -وهي تهافت الخلافة- تزيد من أهمّيتها فهي تكشف عن رغبة عبد الحميد في توحيد الأمّة الإسلاميّة لإنقاذها من الفوضى والتمزّق والتآكل الدّاخليّ قصد الوصول بها إلى حالة من الالتحام حول قيادة عسكريّة تستطيع أن تدافع عن المسلمين والإسلام.

V- خصوصيّات البلاط :

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 70.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد79.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 71.

دعت ضرورات السّياسة كاتب الإنشاء في العهود الإسلاميّة الأولى إلى إنجاز المكاتبات الخاصّة للخليفة أو الوالي. وتجمع هذه المكاتبات رسائل الشّكر والعتاب والتّهنئة والتّعزية.

ويبدو أنّ عبد الحميد كان يتولّى بنفسه تأليف هذا النّوع من الكتابات لرؤسائه فقد أثرت عنه رسالتان قصيرتان في التّعزية كتبهما عن مروان بن محمد (أثناء ولايته على أرمينية) إلى هشام بن عبد الملك، الأولى في امراة من حضاياه والثّانية في مولودين مات أحدهما وبقي الآخر [1].

وحاول في كلتا الرّسالتين أن يخفّف من وطأة المصيبة بأن أضفى على تعزيته لونا دينيّا غالبا : فالمفقودان نعمة وهبها الله فوجب الشّكر على نوالها ثمّ أخذ بعضها فوجب الصّبر على ذهابها [2].

ويمكن أن نعتبر رسالة عبد الحميد في وصف الصّيد [3]، من خصوصيّات البلاط إذ هدفت إلى إمتاع الخليفة [4] باستعادة رحلة صيد امتلأت بالمفاجآت وقد اعتمد فيها عبد الحميد الدّقة في الوصف والتأنّق في العبارة ممّا جعلها شبيهة بشريط سينمائيّ وثائقي يسجّل أعمال الخليفة. ويبدو أنّ هذه الرّسالة ألفت قصد منافسة قصائد الصّيد المعروفة بالطّرديات وقد اشتهر بها قبل عبد الحميد شعراء متعدّدون أخصّهم الشّمردل بن شريك اليربوعيّ (القرن الأول) الّذي كلف بالصّيد "فقال في الصّقر والكلب والقنص أراجيز كثيرة" [5] والعجّاج (القرن الأوّل أيضا) المعروف بأوصافه للحمار الوحشيّ.

وفتح عبد الحميد بهذه الرّسائل المجال للنّثر حتّى يعبّر عن مواضيع كانت من اختصاصات الشّعر كالرّثاء والوصف.

ويبدو أنّ هذا الاتّجاه الجديد في التّرسّل العربيّ تأتّى من عادات إداريّة تواجدت قبل الإسلام عند الفرس وانتقلت مع الموالي إلى الكتابة العربيّة، وهذه تتمثّل في تكليف كتّاب الإنشاء بتأليف مراسلات الملك [6].

ويعدّ عبد الحميد –إلى جانب سالم مولى هشام بن عبد الملك من أوائل الكتّاب الّذين مهّدوا لتفتّح هذا الفنّ الجديد في التّرسل.

---

[1] الرّسالتان، الدّراسة ص ص 333 و334.

[2] وقد اعتاد عبد الحميد الحديث عن الصّبر والشّكر كعلامة امتثال دائم للمشيئة الإلهيّة،
انظر مثلا : تحميد في تعظيم أمّة الإسلام، الفقرة عدد 3.
تحميد في أبي العلاء الحروريّ، الفقرة عدد 1.
رسالة إلى أخيه، الفقرة عدد 2.
وأتى في أدب الدّنيا والدّين للماورديّ، ص 294 : "وقال عبد الحميد : لم اسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيّهما ركبت".

[3] رسالة عبد الحميد في وصف الصّيد، الدّراسة ص 339 وما بعدها.

[4] EI_2, I : 67, Art. 'Abd-al-Hamid. Par H. Gibb.

[5] تاريخ آداب نالينو، ص 190.

[6] إيران في عهد السّاسانيّين : 121-122.

ولعلّ أهمّ دلالة تتبيّن من خلال اعتناء عبد الحميد بالكتابات الخاصّة للبلاط هي إدماجه لعادة إداريّة معروفة عند السّاسانيين ومتمثلة في ردّ هذه المسؤولية إلى كتّاب الإنشاء [1].

وفعلا ستتواصل هذه العادة بعد عبد الحميد الكاتب، وسوف يصير الكتّاب مختصّين بالمراسلات الخاصّة للخلفاء لا يتعدّون فيها قواعد ورسوم مألوفة.

VI- الآراء البيانيّة :

تناقلت كتب التّراجم مجموعة من الأقوال حول مسائل بيانيّة عامّة يمكن جمعها في الجدول التّالي :

جدول عدد 2 : آراء بيانيّة

عدد	الموضوع	التّعريف	المصدر : الدّراسة ص
1	البلاغة	تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام	364
2	البلاغة	ما رضيته الخاصّة وفهمته العامّة	364
3	البيان	في اللّسان والبنان	365
4	خير الكلام	ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا	365
5	الفكر	بحر لؤلؤه الحكمة والبلاغة ومنهل فيه ريّ العقول الظامئة وحديقة زهرتها الفوائد البليغة	365
6	حول الإيجاز	وليقتصد (الكاتب) في كلامه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فإن ذلك مصلحة لعقله ومجمّعة لذهنه ومدفعة للتّشاغل عن إكثاره.	231
7	حول الإطناب	وإن لم يكن الإكثار عادة ثمّ وضع موضعه في ابتداء كتاب أو جواب عند الحاجة فلا بأس.	231

هذه التّعاريف المنوّعة تندرج ضمن الأحكام البيانيّة الّتي بدأت في التّكاثر منذ العصور الأولى للأدب العربيّ على ألسنة رواة الشّعر واللغويّين. وهي أحكام لا ترتبط بسياقات نقديّة معيّنة بل أتت في شكل إشارات سريعة أسماتها المتعة الذّوقيّة والرّغبة في المفاضلة بين الشّعراء أيّهم أكثر فحولة وأبدى فصاحة وأظهر تذوّقا.

ويمكن أن نضمّ عبد الحميد إلى هؤلاء اللغويّين والرّواة بصفته مارس اللغة العربيّة ممارسة طويلة عند ما امتهن التّعليم أو أثناء عمله في دواوين الإنشاء الأمويّة

---

[1] عبد الله بن المقفع، 482 وما بعدها.

ككاتب أو كرئيس للكتّاب النّاشئين وهاتان المهنتان مكنتاه من دون شكّ من الإحاطة بفصاحة العرب ومن اكتناه أسرارها وبالتّالي من تذوّق مواطن الجمال فيها[1].

فما يعني عبد الحميد أن الهدف من كل بلاغة هو النّجاح في إبلاغ المعنى إلى القارئ (أو السّامع) بصورة تضمن فهمه.

(البلاغة تقرير المعنى في الأفهام).

(ما فهمته العامّة).

كما أن البلاغة ليست تعبيرا يتوجّه إلى العامّة دون الخاصّة أو العكس وإنّما هي خطاب يهمّ جميع الطّبقات الثّقافيّة في نفس الوقت فترضاه الخاصّة لعدم ابتذاله وتفهمه العامّة لعدم استعصائه [2].

وهذا التّصور يرتبط بمهمّة عبد الحميد كاتب إنشاء يتعامل مع مختلف الفئات مهما كان مستوى إدراكها اللغويّ.

وإذا كان الكلام الّذي تخاطب العامّة به هو "الأقرب وجها" -كما يقول- فإنّ الكلام المرضيّ عنه عند الخاصّة أو "خير الكلام" هو ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا. وهاتان الصّفتان المجازيّتان تضفيان صفات النّبل والجمال والفعاليّة على اللفظ وتشترطان أن يكون المعنى جديدا لم يسبق أحد إلى استنباطه. كما نلمس في الصّفتين إلحاح عبد الحميد على استعمال اللفظ الأقوى مناسبة والأقرب مأخذا في التّعبير عن المقاصد الجديدة.

وحرص عبد الحميد على أن تتّسم لغته بالسّهولة وأن تخلو من الابتذال حتّى تقرب من العامّة والخاصّة على حد سواء [3].

وعلى العكس نلاحظ أنّ هذه الكتابات أتت في أسلوب غلب عليه الإطناب وذلك بتقليب الفكرة الواحدة على جوانب عديدة رغبة في تقريبها من أفهام القرّاء.

فهل هو يناقض بهذا دعوته إلى الإيجاز ؟

يبدو أنّ الإيجاز الّذي يعنيه هو إدراك المعنى المقصود بلفظه المناسب دون مراوغة أو تعقيد وحيثما لم يكن الإلحاح على التّفسير زائدا على حاجة القارئ. وما نتجت إطالة عبد الحميد في أكثر ما كتب إلاّ عن اقتناع بحدّة ما أورده من معان سياسيّة وإداريّة في رسائله. "فالبلاغة – كما يقول أبو هلال العسكريّ – هي الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل ولا شكّ في أنّ الكتب الصّادرة عن السّلاطين في الأمور

---

1 التفكير البلاغيّ عند العرب، للدكتور حمّادي صمّود، ص ص 57-59.

2 يقول الجاحظ : "أما أنا فلم أرقط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوترا حوشيّا ولا ساقطا سوقيّا".
البيان والتبيين، ج 1 : 137.

3 انظر للفصل الخاصّ بلغة عبد الحميد الكاتب، ص ص 138-156 من هذه الدّراسة.

الجسيمة والفتوح الجليلة وتفخيم النّعم الحادثة والتّرغيب في الطّاعة والنّهي عن المعصية سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاه تملأ الصّدور وتأخذ بمجامع القلوب" [1].

إن هذه الآراء البيانية –وإن كان يصعب اعتبارها ناتجة عن مذهب خاصّ في البلاغة– تعدّ دلائل عن اتجاه النّثر العربيّ إبّان نشأته إلى التّعامل مع جميع الطّبقات الثّقافية وإلى الاتّصاف بصفة النفعية المباشرة من ناحية المضمون.

VII- الجانب الذّاتي :

تناول كثير من الكتّاب الأمويّين الأوائل في رسائلهم مواضيع شخصيّة كالتّعزية والشّكر والعتاب [2] ولئن قلّت هذه الرّسائل بحكم طغيان الكتابات السّياسيّة، فهي علامات تبشر بتكوّن غرض جديد من أغراض التّرسّل سيصل إلى أوج تطوّره في القرن الرّابع الهجريّ وهو الإخوانيّات [3].

وأفاد عبد الحميد التّراث العربيّ ببعض الرّسائل الإخوانيّة أهمّها [4] :

- رسالة إلى أهله.
- رسالة إلى أخيه.
- رسالة في وصف الإخاء.

ونكتشف في هذه الرّسائل جوانب قلّما درست من شخصيّة عبد الحميد وتتمثّل فيما أبداه من عواطف جيّاشة إزاء أهله وإخوانه وأصدقائه وذلك في ظروف مخصوصة من حياته.

فهو في رسالته إلى أهله يتبيّن رجلا دامي الفؤاد لكنّه صابر على المصيبة الّتي حلت به وأبعدته عن أهله : فهذه المصيبة لا تعدو أن تكون – حسب ما كتبه إليهم – نصيبا من العذاب عليه أن يعانيه بعد أن تمتّع طويلا بحلاوة الدّنيا، والإنسان مقسّم بطبيعته بين السّعادة والشّقاء. وما دام يسكن إلى السّعادة ويستزيد منها عليه كذلك أن يعرف كيف يتحمّل مرارة الشّقاء وعذاب الفرقة. لكن موقف الصّبر لا يحول دون الصّبابة إلى الأهل والوجد بالخلاّن والطمع في الخلاص وما دام في الإنسان حسّ الحياة فهو توّاق إلى الألفة والاطمئنان وسلامة الأبدان.

لقد تلاعب عبد الحميد في رسالته هذه بعواطف أهله فأمسك بقلوبهم بين يديه وهبط بها إلى قاع من التّشاؤم فإذا الأيام سواد وشدّة بعد أن كانت ضياء وفسحة، ثم سما بها في سبحة من سبحات الأمل فمنّاها باللقاء الهادئ والدّار الآمنة والحياة المطمئنّة.

---

[1] كتاب الصّناعتين : 190.

[2] انظر، جمهرة رسائل العرب، ج 1 : 100 و431-432. وعرف بهذه الرّسائل في العهد الأمويّ سالم كاتب هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب وعبد الله ابن المقفع.
وهذه الرّسائل هي غير المكاتبات التي ترسل عن الخلفاء.

[3] الإخوانيات، جمع إخوانية، نسبة إلى الإخوان، والمراد : المكاتبات الدّائرة بين الأصدقاء.
انظر صبح الأعشى، ج 8 : 126.

[4] رسالة إلى أهله، الدّراسة ص ص 353-355.
رسالة إلى أخيه، الدّراسة ص ص 351-352
رسالة في وصف الإخاء، الدّراسة ص ص 335-338.

فماذا دعا عبد الحميد إلى انتهاج هذا الأسلوب ؟

يبدو أنّه لا يرغب في الذّهاب بحيرة أهله فحسب لكنّه يبحث كذلك عن اطمئنان لنفسه وما تلاعبه بالألفاظ تكرارا وتقليبا وترصيفا إلاّ نوع من المعاناة الجديدة يستحضرها في لحظة الإبداع ويحاول أن يخلص بها من الأثقال الّتي توهن كاهله ومن الآلام الّتي ترهق نفسه الحزينة على فقدان أهله ووطنه وعلى شعوره بالنّهاية المحتومة [1].

– ويراسل عبد الحميد أخاه فرحا بمولوده الأوّل فيصفه بأنه هبة من الله وذكرى حيّة وخلافة حسنة وأنّه سيبقى بعده شافعا له عند ربّه في صلواته وأدعيته.

ويخال القارئ عبد الحميد مكتفيا من فرحته بالحمد لله والصلوات له على هبته الغالية، لكنّه ما أن يتقدّم في القراءة شوطا يسيرا حتى تتحوّل الدّعوات الرّصينة إلى رقصة جذلى مليئة بأعنف عواطف الأبوّة. وينكشف الأب السّعيد مقبلا على مسّ جسد مولوده في الظّلم وعلى معانقته وارتشافه وهو أثناء ذلك يرتعش وجلا عليه من مجاذبة المنايا وعواصف الأيام.

إنّ مفهوم الرّسالة يتجاوز عند عبد الحميد وظائفه الجماعيّة العامّة ليمسّ الذّات في أعمق حاجياتها التّعبيرية. وهذه الأغراض الذّاتية الجدية –وإن لم تفد القارئ كفرد من مجموعة– فإنها تعينه على إدراك صوت نفسه النّابضة بالأشواق والهوجس والحنين وعبد الحميد استجاب بهذه البشرى الّتي زفّها إلى أخيه إلى رغبة جامعة فيه هي التّحرر من الأغراض المفروضة عليه في الرّسالة الدّيوانية إلى أجواء تعبيريّة جديدة تحلّق فيها العواطف والأخيلة الذّاتية.

– وتعدّ رسالة عبد الحميد في وصف الإخاء مناسبة استغلها لعرض تصوّره المثاليّ لهذه العلاقة النّبيلة.

فقد اعتبر الإخاء صلة تأنس بها القلوب والهمم فتسمو عن الأخطاء العارضة والنّزاعات التّافهة. ولا تتمّ لهذه الصّلة المتانة إلاّ إذا شعر الناس بدفئها فابتهجوا لها وتكافلوا بفضلها تكافلا لا يختلف عن برّ الابن بوالديه وشفقة الأب بأبنائه ونصرة الأخ لأخيه.

وتتأكّد هذه النّظرة المثاليّة للإخاء في بعض مواقف عبد الحميد الواقعيّة فهو لم يكتف أثناء صحبته لمروان بن محمد بكلفة الخدمة وعناء الولاء بل ارتضى معه الموت حفظا للمودّة [2] كما أنّه دعا الكتّاب إلى نبذ الكبر والتفاخر وإلى التّمسك بالتّواضع والتّحلي بالتّناصر في السّرّاء والضّرّاء [3] واعتبر أنّ الأخوّة المثلى هي الّتي يكون فيها الأخ صديقا حقيقيّا [4].

وأوصى عبد الحميد في بعض مواطن من رسائله رجل السّياسة أن يتعامل مع رعيّته تعامل تعاطف شبيها بسلوك الأخ إزاء أخيه بأن دعاه إلى أن يكون "على الضّعيف رفيقا

---

[1] تناولت هذه الرّسالة بالتحليل البلاغي ضمن هذه الدّراسة، ص ص 180-182.

[2] الخبر عدد 12 الدّراسة ص ص 401-402.

[3] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 4.

[4] انظر قوله في الصّداقة، الدّراسة ص 367، القول عدد 12.

وللمظلوم منصفا فإن الخلق عيال الله وأحبّهم إليه أرفقهم بعياله"[1] ونادى بالتّأليف بين الرّعية وبالتخلّف عن إيذائها وبالرّفق بها[2]. وذكّر بضرورة تجنّب الحرب حفظا لحياة الجنود وتجنّبا لسفك الدّماء[3] ووصف ضحايا الفتن بلغة مليئة رأفة وشفقة على الرّعيّة[4].

وكذلك لم تخل أشعار عبد الحميد، وقليل ما هي، من لمسات عاطفيّة رقيقة، فهو وصف فيها صراعات نفسه بين الوفاء لمروان والموت جنبه وبين غدره والاحتفاظ بالحياة بعده[5] وتحدّث عن الموت وعن قضائه على كلّ عزيز وتفريقه بين كل حبيب وحبيب[6] كما ابتهج في أشعاره بالكتّاب واعتزّ بنشاطهم وشبّههم بالجنود أثناء غمرة نشاطهم[7]، وكذلك استدعى بهذه الأشعار نفسه إلى الفرحة بلقاء الأحبّة ووصف موقف هذا اللقاء بإحساس عميق[8].

وهذه الأشعار القليلة تدلّ – رغم ما في أسلوبها من اتزان[9]– على أن الأديب الحقّ هو من يجمع بين صناعتي الكتابة والشّعر فيتقنهما ويبلغ بهما الكمال والتقدير في مجتمعه.

VIII– النزعة الإنسانية في كتابات عبد الحميد ومساهمتها في الفكر العربي

كاتب الإنشاء مسؤول في كتاباته عن مصالح العامّة، ولذلك لا تكون رسائله الدّيوانية تعبيرا عن خوالج ونزعات ذاتيّة، وإنّما هي في الغالب عمل متواصل على إصلاح أوضاع يعيشها جميع النّاس وعل تهذيب رغبات يتوقون إليها ضمن ظروف سياسيّة واجتماعية دقيقة. وهي بهذا تعدّ وثائق أمينة تكشف عن السّبل التّي سلكتها ثقافة العصر لترسيخ القيم الأخلاقيّة والثّقافيّة المرتضاة لسير المجتمع السّليم.

وكذلك كانت رسائل عبد الحميد.

فهو جلّها متعهّد بأهواء الإنسان وبنقائصه وحريص على توجيهه إلى المثال الأعلى. والنّماذج البشريّة المبثوثة هنا وهناك في آثاره أدلّة على ذلك. والحاكم العادل والكاتب البليغ والصّديق الوفيّ وغيرهم من النّماذج يكوّنون في جملتهم الإنسان الكامل الّذي ارتآه عبد الحميد نواة وقوّة في مجتمعه.

والبحث في هذا الجانب من الرّسائل لا يعني أنّ كاتبنا نزّل تفكيره في إطار من العقلانيّات والرّوحانيات تضعه في مصاف الفلاسفة والحكماء، فما كان عبد الحميد حكيما

---

[1] رسالة إلى الكتاب، الفقرة عدد 7.
[2] رسالة إلى الكتاب، الفقرة عدد 7.
[3] رسالة إلى ولي العهد، الفقرتان عدد 40 و77.
[4] رسالة في الطّاعة، الفقرة عدد 2.
[5] المقطوعتان عدد 1 و3.
[6] المقطوعة عدد 2 و4.
[7] المقطوعة عدد 5.
[8] المقطوعة عدد 6.
[9] يقول الجاحظ : "وكان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما يذكر مثله" البيان والتبيين، ج 1 : 208.

في الأخلاق أو متطبّبا في أمراض النّفوس أو متسائلا عن أسرارها وإنما هو مجرّد موظّف في الدّيوان أقصى طموحه أن يعمل إلى جانبه موظّف ذو كفاءة مهنيّة وكفاية أخلاقية وأن ينشط مع راع سليم الطّوية إزاء رعيته وراعية راضية على سياسة راعيها.

ونهدف بتتبّع هذه النّزعة إلى تجاوز الاستنتاجات الجزئية والملاحظات الظّرفية الّتي عرضناها في الفصول السّابقة ثمّ إلى استخلاص مساهمة عبد الحميد الفعليّة الّتي استطاع أن تيجاوز بها عصره وأن يشعّ بفضلها على الفكر العربيّ بصفة عامّة.

شاهد عبد الحميد انهيار الدّولة الأمويّة وعايش أسبابها الخفيّة والمباشرة المتمثّلة في تكاثر الثّورات ضدّ الحكم القائم وفي فساد التّسيير السّياسيّ والعجز عن ردّ أعداء الدّولة. وتعدّ رسائله تصدّيا لهذا الوضع فهو حارب فيها البديهيّات المألوفة في الأخلاق والسّلوك وأعاد النّظر في مهامّ الكتّاب وصلاحيّاتهم وفي تعامل رجال الحكم مع أتباعهم ورعاياهم وكان منطلقه في كلّ ذلك تصورا جديدا للإنسان ولقدراته العقليّة والعاطفيّة.

1- مزيّة العقل في الإنسان :

فالإنسان عنده ذو عقل يقوده إلى الفضائل وإنّ "العالم الموفّق للخير المخصوص بالفضل المحبوّ بمزيّة العلم (هو من) أدركه معانا عليه بلطف بحثه وإذلال كنفه وصحّة فهمه وهجر سآمته" [1]. والسّبيل إلى العلم مليء بالأشواك وعلى الباحث أن يتحلّى فيه بالصّبر الطّويل. فللحكمة "مسالك تفضي مضايق أوائلها – بمن أمّها سالكا وركب أخطارها قاصدا – إلى سعة عاقبتها وأمن سرحها" [2]. والتّعب في إدراك الحكمة وفي التّطاول إلى ذروتها هيّن ففيها جواهر عتيقة ونبعات كريمة وذخائر نفيسة [3] تنفي عن الإنسان أخلاق أهل الجهالة وتربو به إلى موضع الفضل ودرج الشّرف.

وتتطلّب الحكمة مجموعة من الأوّليات الأساسيّة وهي مختلف العلوم الّتي يحتاج إليها الكاتب للتوصّل إلى إتقان مهنته وللبروز في المجتمع كإنسان ذي ثقافة متكاملة ومعرفة كافية بالعالم من حوله وبالتّالي ذي مكانة مرموقة في وسطه.

العقل والهوى :

وللعقل آفات تداخله من حيث تأتيه الغفلة ويغلب عليه الوهن وأولى هذه الآفات الهوي :

"ثمّ تعهّد نفسك بمجاهدة هواك فإنّه مغلاق الحسنات ومفتاح السّيئات وخصم العقل..."

"واعلم (يا ولي العهد) أنّ كلّ أهوائك لك عدوّ يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لأنّها خدع إبليس وحبائل مكره ومصايد مكيدته" [4].

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 2.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 5.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 5.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.

وللهوى زيغ على الإنسان أن يحتاط منه ليتمّ له التّوفيق، فهو –إن غلب عليه– صرفه عن الرّأي وقطعه دون المشورة [1]. ولا نجاة من مجاذبة الأهواء إلاّ بالالتجاء إلى العقل وبالرّويّة في التّفكير : "احذر تضييع رأيك وإهمال أدبك في مسالك الرّضا والغضب واعتوارهما إيّاك... وإن استد برت من أمورك بوادر جهل أو مضى زلل أو معاندة حقّ أو خطأ تدبير كان ما احتجت من رأيك عذرا لك عند نفسك وظهريّا قويّا على ردّ ما كرهت" [2].

2- رأس الهوى : العجب :

كلّ إنسان هو –بطبيعته– محبّ لنفسه مؤثر لها دون غيرها وهذا هو العجب وهو "رأس الهوى وأوّل الغواية ومقاد الهلكة" [3] فـ"لا يقل أحد منكم إنّه آدب وأعقل وأبصر بالأمور وأحمل لعبء التّدبير والعمل من موافقه في صنعته ومصاحبه في خدمته، فإنّ أعقل الرّجلين عند ذوي الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أنّ صاحبه أعقل منه وأحمد في طريقته وأحمقهما الّذي يرى أنّه أعقل من صاحبه لعجب هذا بنفسه ونبذ ذاك العجب وراء ظهره إذ كان الآفة العظمى من آفات عقله"[4].

ولذلك قدور الإنسان هو أن يحارب هذا العيب المردي به [5] ففيه روائع تستخفّه ومناظر تستهويه فتضيّع عليه رأيه وتهمل عليه أدبه [6].

يقول عبد الحميد مخاطبا الكتّاب : "ولا يدعونّ الرّجل منكم صنع الله تعالى ذكره له في أمره وتأييده إيّاه بتوفيقه إلى العجب المضر بدينه وعقله وآدبه" [7].

..."وإيّاكم والكبر والصّلف والعظمة فإنّها عداوة مجتلبة من غير أحنة" [8]. فالاحتراس من هذه الآفة يقرّب الكاتب من أقرانه في المهنة ويحول بين الحاكم وبين نزوعه إلى الإيثار والتّعالي. وبذلك يقترب كلاهما من الصّفات المنشودة للبلوغ إلى مرتبة الكمال.

3- من فضائل العقل الرّسالة :

ومن فضائل العقل تريّثه في اتّخاذ القرار ورصانته في بسط أحكامه على الآخرين ونظره الثّاقب في العواقب : "وإذا صحب أحدكم رجلا فليستشفّ خلائقه كما يستشفّ الثّوب يشتريه لنفسه" [9] والعاقل "يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه، وفضل تجربته

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 3.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 21.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 13.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 20.
[7] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 12
[8] رسالة إلى الكتاب، الفقرة عدد 3.
[9] رسالة إلى الكتاب، الفقرة عدد 8.

ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدّ لكلّ أمر عدّته وعتاده ويهيّء لكل وجه أهبته وعادته" [1]. وعلى صاحب السّلطة أن يطيل النّظر في كلّ أمر مهمّ حتى لا يكون تسرّعه سببا في جلب اللائمة والسّخط عليه [2]. وعليه إن لزم الأمر أن يلجأ إلى مشاورة كلّ ذي فقه وورع "قلّبته الفنون في أمورها وركب أطوارها عارفا بمحاسن الأمور ومواضع الرّأي وعين المشورة مأمون النّصيحة مطويّ الضّمير على الطّاعة" [3].

والرّصانة تحد من التّيه والصّلف وفساد الرّأي وتردّ أهل السّلطان عن أخلاق الخفّة المشينة بهيبتهم في نفوس رعاياهم و"منها قلّة اقتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومسايرتهم للعامّة. فمن مقلقل شخصه بكثرة الالتفات عن يمينه وشماله تزدهيه الخفّة ويبطره إجلاب الرّجال حوله، ومن مقبل في موكبه على مداعبة مسايره بالمفاكهة له، والتّضاحك إليه، وآلايجاف في السّير مهمرجا، وتحريك الجوارح مستسرعا" [4]. ولا تكتمل الرّصانة للإنسان إلاّ إذا نفى عن نفسه عجلة الرّأي ولجاجة الإقدام، وشكمها عن البطر وقيّدها عن الزّهو وحاطها من الدّهش [5].

4- اكتمال العقل بالتّجربة :

الإنسان في حداثته عرضة لكل عيب فهو غافل عن التّمييز بين محمود الأعمال ومشينها. ولا خلاص له من هذه الغفلة ما دام لم تقع عليه سمات الأمور ولم تمحضه التّجارب [6]. وعليه إذ ذاك أن لا يتقدّم في أمر إلاّ إذا مارسه وجرّب مخاطره. فإنّ "سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا اتّقاها من قبل رجلها، وإن كانت جموحا لم يهجها إذا ركبها، وإن كانت شموسا توّقاها من ناحية يدها، وإن خاف منها عضاضا توّقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونا لم يلاحها وقمع برفق هواها في طرقها، وإن استمرّت عطفها فيسلس له قيادها. وفي هذا الوصف من سائس البهيمة ورفق سياسته دليل وأدب لمن ساس النّاس وعاملهم وجرّبهم وداخلهم [7].

والتّحلي بالتّجربة شرط لا غناء عنه في اختيار قوّاد مختلف فصائل الجيش. فقائد الشّرطة يجب أن يكون "عالما بمراكز الأمور بصيرا بتقدّم المنازل مجرّبا، ذا رأي وتجربة" [8]. والمفروض في قائد العسكر أن يكون قد "حنّكته السنّ وأيّدته التّجربة وأحكمته الأمور" [9] وعلى أمير الجيش أن ينتخب لطلائعه "رجالا ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة

---

[1] رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 2.
[2] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 20.
[3] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد
[4] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 15.
[5] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.
[6] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 14.
[7] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 8.
[8] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 47.
[9] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 49.

حماة كفاة قد صلوا بالحرب وتذاوقوا سجالها وشربوا مرار كؤوسها وتجرّعوا غصص درّتها وزيّنتهم بتكرار عواطفها"[1].

وهذه التّجربة العمليّة تعدّ التّواصل الطّبيعيّ لمزيّة العلم الكامنة في العقل. واجتماع العلم النّظري بالتّجربة العمليّة يركّز الإنسان ضمن المجتمع كقوّة فعّالة فيه ويضمن له الكمال.

5- أبعاد النّزعة الإنسانية عند عبد الحميد :

إنّ هذه الفضائل الّتي عدّدها عبد الحميد لا تختصّ بالكاتب أو الحاكم أو الجنديّ وإنّما تمتدّ إلى الإنسان بصفة عامّة. فالتنصيص على السّلوك الإداري والسّياسيّ المتكرّر في الرّسائل يعدّ ترسيخا لمجموعة من القيم النّظريّة والعمليّة الّتي تعطي للإنسان الأهميّة والاعتبار أمام نفسه وأمام الآخرين فهو فسح للكاتب ولرجل السّياسة المثال لتحكيم نفسه في تقدير سلوكه وأخلاقه وتدبيره السّياسيّ بدون الاستدلال في ذلك بقيم دينيّة وسماويّة منزّلة عليه من فوق.

ورفع عبد الحميد بهذا الاتجاه من منزلة الإنسان إذ جعله مسؤولا أول في تدبير مسيرته في هذا العالم وفي تحقيق المثل العليا فيه.

وهذه النّزعة الواردة في كتابات عبد الحميد هي مساهمة منه في إعداد إنسان قويّ حريص على مغالبة عناصر الشّرّ والتّدمير المضرّة بالأمّة وبالإسلام. فلا يخفي أنّ هذه العناصر تضافرت في عهده للوصول بالدّولة الأمويّة وبالقيم الّتي حقّقتها إلى الانهيار دون أن يفلح أحد في التّصدي لها.

وتعتبر كتابات ابن المقفع ثمّ الجاحظ وغيرهما ممن اهتموا بالتّعريف بالحاكم المثاليّ والوزير المثاليّ مواصلة لمجهودات عبد الحميد. فالتّعاليم المتنوّعة الّتي أفاد بها ابن المقفّع المنصور العبّاسي في رسالة الصّحابة ونصائح الجاحظ إلى القاضي أبي الوليد ابن أبي دؤاد في رسالة المعاش والمعاد وغيرها ليست مجرّد فروض نظرية يلتزم الخليفة أو الوزير او اتباعهما بها وإنما هي أيضا نداءات ملحّة تقدّم بها أدباء شعروا بمسؤوليتهم فعملوا على تأدية واجبهم الحضاريّ.

ولئن كانت مساهمة عبد الحميد في هذا الميدان يسيرة بالمقارنة بمن بعده فتلك سنّة في التّطور حادثة في كلّ فكر.

---

[1] رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 51.

القسم الثالث : دراسة الأسلوب

I- عرض نقدي لآراء القدامى والمعاصرين في أسلوب عبد الحميد.

II- الخطوط الكبرى لدراسة الأسلوب

III- هيكل الرسالة

IV- الرصيد اللغوي للرسائل

V- الجملة عند عبد الحميد

VI- البلاغة في نثر عبد الحميد

VII- المصادر والمؤثرات الأساسية في كتابات عبد الحميد

VIII- مكانة عبد الحميد في النثر العربي

I – عرض نقدي لآراء القدامى والمعاصرين في أسلوب عبد الحميد

1- آراء القدامى

تعرّض الجاحظ في مواضع عدة من البيان والتبيين إلى عبد الحميد الكاتبّ مؤكدا على بلاغته في النثر ومشيرا إلى قوله بعض الشعر الذّي يقوم مقام الأمثال واعتبره ممّن يكون قد تأثّر باللّغة الفارسيّة [1]. وكان هذا التأثّر محور اهتمام أبي هلال العسكريّ فقد ذكر في الصّناعتين[2] وكذلك في ديوان المعاني[3] أنّ الكتابات الفارسيّة كانت الأصل الّذي آستخرج منه عبد الحميد كتاباته وحوّلها إلى العربيّة، وإذا كانت إشارات ابن قتيبة وآبن عبد ربّه تخلو من كلّ تقييم نقديّ فإنّ أبا موسى البغداديّ نقل في كتاب الكتّاب عرضا لخصائص عبد الحميد الفنيّة وذلك على لسان ابنه إسماعيل، وهذا العرض لا يتّسم فقط بالدّقّة في أحكامه بل أيضا بالرّونق في لغته وأسلوبه[4]. واكتفى كلّ من ابن النديم[5] والثّعالبيّ[6] بذكر سبق كاتبنا في الترسل وإمامته في البلاغة. وهو رأي استعاده أصحاب الموسوعات بعدهما وأكدوا عليه ببعض المقارنات والاستشهادات دونما تفسير شاف ينطلق من آثار عبد الحميد[7]، ويمكن الاستفادة بآراء بعض المؤلفين الّتي أدمجت ضمن ترجمات عبد الحميد وأشارت إلى سبقه البلاغيّ[8]. إلا أن هذه الآراء تبقى محدودة الفائدة وذلك لاقتضابها وإغراقها في المدح والإعادة.

ويصعب أن نعثر في كتب البلاغة تحديدا واضحا لمكانة عبد الحميد في النّثر العربيّ سوى ما أشار إليه ابن الأثير في المثل السّائر[9] أو ابن أبي حديد في الفلك الدّائر على المثل السّائر[10] وهي إشارات يغلب عليها الإبهام.

أما كتب الإنشاء فيكفينا منها ما ذكره القلقشنديّ في صبح الأعشى فقد نقل مجموعة من الآراء تباهي باقتدار عبد الحميد في الكتابة وفي فكّ رقاب الشّعر وتسريح مقيّده إلى النّثر وبسبقه في فنون الكتابة[11] .

ولم تخل كتب التّاريخ السّياسيّ وكذلك بعض كتب البلدان من التّذكير بهذا الاقتدار عند التعرّض إلى الأحداث الخاصّة بنهاية مروان بن محمد والدّولة الأموية[12].

---

[1] - البيان والتبيين، ج. 1 : 170 وج.2 : 50-51

[2] - الصّناعتين : 69

[3] - ديوان المعاني، ج. 2 : 89

[4] - كتاب الكتّاب : 35

[5] - الفهرست. 117

[6] - يتيمة الدّهر : 137

[7] - معجم الأدباء، ج. 3ز 228 وما بعدها

[8] - مثلا : ثمار القلوب : 155 – 156

- شرح مقامات الحريريّ، دج، 4 : 67

- سرح العيون : 130 – 131

[9] - المثل السائر، 4

[10] - الفلك الدائر على المثل السّائر : 51

[11] - صبح الأعسى، ج. 1 : 40، 85، 93، 282، 454، 461 وج. 2: 194

[12] - تاريخ الطبري، ج. 8 : 839 – مروج الذهب، ج. 3 : 236.

ومختلف هذه المصادر – وإن كانت الأحكام فيها وجيزة وعامّة تفيدنا بما عبّرت عنه من إكبار لعبد الحميد إكبارا لا شكّ أنّه كان يجول في الأوساط الفكرية القديمة وخاصّة في الأوساط الدّيوانية الّتي كان كتّاب الدّواوين ينشؤون فيها على إتقان فنّ الترسّل.

والجدير بالإشارة أن مختلف هذه المؤلّفات القديمة اهتمّت بالجانب الأسلوبيّ في الرّسائل وأهملت التّعليق على مضامينها ولعلّ مرجع هذا الإهمال هو طبيعة النّقد الأدبيّ القديم الغالب عليها الاهتمام بالجوانب الفنيّة.

ويكفي عبد الحميد فضلا أنّه لم تقل فيه كلمة نكران جيمل أو جحود فضل، وطالما استنقص أفذاذ الكتابة والبيان أمثال الجاحظ والتّوحيدي وغيرهما كثير.

2– دراسات المعاصرين:

يعتبر محمد كرد علي من أوائل كتّاب هذاالقرن الذين أبدوا اهتماما خاصّا برسائل عبد الحميد. فالمقالات الّتي نشرها في مجلّة المقتبس[1] وفي مجلّة المجمع العلميّ العربيّ[2] وخاصّة في أمراء البيان[3] كانت الدّلائل الأولى الّتي ستقرن كاتبنا بالرّوّاد الآخرين أمثال ابن المقفع وسهل ابن هارون وأحمد بن يوسف الكاتب. وقد أوضح محمد كرد علي العلاقة الوثيقة الموجودة بين الأحداث السياسيّة في آخر العصر الأمويّ وبين نشاط الموالي في الدّواوين[4] . كما ألحّ على مقدار تأثّر عبد الحميد بالتّقاليد الإدارية الفارسيّة [5] . أما طه حسين فذهب إلى أنّ التأثّر الحقيقي حصل لعبد الحميد من الثقافة اليونانيّة ورجّح أنّه كان عارفا بأساليبها[6] وأورد طه حسين نفس هذه الملاحظة في كتابه من حديث الشّعر والنّثر [7].

بعدّ أن أضاف إليها بعض التّدعيمات النصيّة المفيدة. ويبدو أنّ رأيه لم يحظ بموافقة الدكتور زكيّ مبارك في أطروحته عن النّثر الفنيّ في القرن الرّابع حيث حدّد فضل عبد الحميد فيما أضافه للرّسائل من زيادات تخصّ الفواتح والخواتيم[8].

وكان لأدب عبد لحميد حظّ لا يستهان به عند مؤرّخي الأدب العربيّ المعاصرين أشاروا إلى دوره في النّهوض بالنّثر في بداياته الأولى من عاداته الخطابيّة الشّائعة كما

- التنبيه والإشراف 338 – البداية والنّهاية ج. 10 : 55
- تاريخ ابن عساكر، ج. 6 : 55 – كتاب البلدان لابن الفقيه : 194

[1] - وأعاد محمد كرد علي نشر هذه المقالات في رسائل البلغاء ص 6 - 6

[2] - مجلة المجمع، ج. 9 : 513 – 600 – ولم أمكن من العثور على هذا العدد فيما آرتدته من مكتبات تونسيّة. وكان مرجعي في تعيين العدد والصفحات هو فهرس مجلة المجتمع العلمي العربي وضع عمر بضا كحالة، ج. 1 : 31 مطبعة الترقي دمشق 56/1375

[3] - أمراء البيان ج 1. ص 38 - 99

[4] - أمراء البيان، ج 1 ص 41 – 43

[5] - أمراء البيان، ج 1 : 44

[6] - مقدمة طه حسين لكتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر: ص.10 وعنوانها البيان العربيّ من الجاحظ إلى عبد القاهر.

[7] -من حديث الشّعر والنثر، ص 42 وما بعدها

[8] - النثر الفنيّ في القرن الرّابع، ج. 1 : صص 72 وما بعدها

لفتوا الانتباه إلى السّمات البلاغية في هذه المساهمات. ولئن اتصفت إشاراتهم بالسّرعة فهي فتحت الدّرب لمزيد العناية بهذا الأديب[1]. وفعلا صار من النّادر الآن أن تتصفّح كتابا عن النّثر العربيّ القديم دون أن نجد فقرة أو فقرات خصّت بالذّكر الميزات اللغويّة والأسلوبيّة لعبد الحميد وأحيانا المساهمات الحضاريّة في رسائله. فحسين نصّار[2] عدّ هذه الرّسائل أنموذجا للثّقافات السّائدة في عصرها فضلا عن أنّها آيات فنيّة رائعة. كما استجلبت هذه الرّسائل إعجاب المرحوم عثمان الكعّاك فخصّص لها ولصاحبها ملتقى ثقافيا جمع مناقشاته في كتيّب يستفيد قارؤه باستنتاجات رصينة حول البدايات الأولى للنّثر العربيّ[3].

واهتم عبد الحكيم بليغ في "النّثر الفنّيّ وأثر الجاحظ فيه"[4] بعناية عبد الحميد بألفاظه عناية لم تصرفه عن تحليل معانيه تحليلا منطقيّا دقيقا. وذكر أن هذه العناية جعلته نقطة تحوّل في تطور النّثر وأنّه بلغ به القمّة في عصره. وأضاف أنيس المقدسيّ في تتبّعه لـــ "تطوّر الأساليب النّثرية في الأدب العربيّ"[5] أنّ عبد الحميد يخرج عن مجرى الإنشاء العامّ لعهده بما في طريقته من الازدواج على عكس ابن المقفّع. أمّا محمّد غفراني الخراسانيّ فيرى أن ابن المقفع اقتفى آثار أستاذه عبد الحميد في فنّ الكتابة عامّة وفي فنّ الرّسالة خاصّة[6]. وجعل شوقي ضيف عبد الحميد من روّاد الصّنعة الفنيّة في النّثر العربيّ وذكر أنّه قلّد سالما كاتب هشام بن عبد الملك العارف بلغة اليونان وبأفكارهم وأساليبهم وبالفكر الفارسيّ الآتي إليه من لدن أصله[7].

وتعتبر ملاحظات الدّكتور إحسان عبّاس فيما استوضحه من ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ[8] ذات أهمية خاصّة فقد بيّن إمكانيّة تأثّر عبد الحميد بالكتابات اليونانيّة من خلال ما اقترحه من مقارنات نصيّة.

---

[1] - الأدب العربيّ، أندري ميكال. صص. 32 و 67
- من حيدث الشعر والنثر، طه حسين صص. 42 وما بعدها
- عصر المأمون لأحمد فريد رفاعي، المجلد الثاني صص. 20 وما بعدها
- تاريخ أدب فاخوري صص 302 وما بعدها
- تاريخ أدب بروكلمان: ج1 : 261
- الرائد في الأدب العربيّ لإنعام الجندي، ج1. 318 وما بعدها
- تاريخ آداب زيدانن ج. 1 : 307
- إلخ...

[2] - نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، صص 126 وما بعدها.

[3] - عبد الحميد الكاتب لعثمان الكعاك، من وحي منبر ثقافيّ أقامته جمعية الاتحاد الصّفاقسيّ الزّيتونيّ، فرع تونس، أقيم سنة 1953.

[4] - النّثر الفنّيّ وأثر الجاحظ فيه. ص 126 وما بعدها.

[5] - تطوّر الأساليب النّثرية في الأدب العربيّ ص 119 وما بعدها

[6] - عبد الله بن المقفع : 56

[7] - الفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ: صص 110 – 111

[8] - وكان ذلك في الفصل السّادس من كتابه ملامح يونانية في الأدب العربي وعنوان الفصل : استخدام الفكر السّياسيّ اليونانيّ مادّة في الرّسائل الأدبيّة واهتمّ فيه بسالم كاتب هشام وبعبد الحميد الكاتب، صص 99 – 109.
وانتفع إحسان عبّاس انتفاعا واسعا بدراسة ماريو قرينياشي الخاصّة بتأثير الرّسائل الأرسذاغاليسية في النثر العربي، وهي:
Les « Rasa'il Aristatalisa Ila – l – Iskandar » de Salim Abu – l – Ala et l'aéctivité culturelle à l'époque Omnayade par Mario Grignachi.

وكان للمستشرقين الّذين بحثوا في النّثر العربيّ أو درسوا بعض ممثّليه الكبار تعرّض لعبد الحميد لم يخل – رغم اختصاره – من صرامة في الحكم. فهذا شارل بلاّ يعتبره استوحى جزءا كبيرا من آثاره من مصادر أجنبية وليس لآثاره من العربيّة إلا اللّغة[1] وهو رأي أعاده في مقال له عن النّثر العربي في بغداد[2]. وهذا وليام مارسي يذهب مذهبا مقاربا له في تحديده لأصول النّثر الأدبي عند العرب[3] وكذلك كان موقف جيب في الفصل الخاصّ بعبد الحميد بن يحي في دائرة المعارف الإسلامية حيث نقرأ أن، معظم الرّسائل استمدت مواضيعها من العادات السّاسانية القديمة والأساليب البيزنطية[4] وزاد لوكونت هذا الرّأي وضوحا في كتابه عن ابن قتيبة وذكر أنّ لا فضل لعبد الحميد في النّثر العربيّ يتجاوز تحويله للعادات الدّيوانية الفارسيّة إلى اللغة العربيّة[5] .

وهكذا يتبيّن لنا أنّ عبد الحميد الكاتب أثار الكثير من الجدل حول طبيعة نثره وحول الأصول الّتي استمدّ منها. وهذا الجدل يعدّ انعكاسا لإشكاليّة النّثر الفنيّ العربيّ وللغموض الّذي يكتنف ظروف تفتّحه وأطوار ازدهاره الأساسية ليصير فيما بعد أداة طيّعة ونافذة في التّعبير عن آنف الآداب الإنسانية.

وهذا الجدل – وإن كان مفيدا وحافزا على المزيد من التّعمّق – يشكو من نقص أساسيّ هو قيام الكثير منه على المعياريّة والانطباعية قياما تسبّب فيه عدم اعتماد أكثر الدّارسين على منطلقات نصيّة واضحة متمثّلة في المادّة اللغويّة والنّحويّة والبلاغيّة للرسائل.

II- الخطوط الكبرى لدراسة الأسلوب

النصّ النّثري هو شكل من أشكال "الإبلاغ اللغويّ يعمل على إيصال مفاهيم معيّنة إلى القرّاء. وتتشابه ضمن هذا التّعريف مختلف أنواع الأعمال النّثريّة كالخطبة والرّسالة والسّرد التّاريخيّ والعمل الفقهيّ. فكلّها وسائل تواصل بين الكاتب والقارئ مادّتها الأولى اللغة.

وليس من المفروض أن يكون للنّص النّثريّ هدف جماليّ ليتمّ له شرط الإبلاغ. لكن يلاحظ أن أيّ نصّ – مهما بعد عن القصد الفنيّ – يحمل في ثناياه أثر العناية بشكله فيعرض عن قصد أو عن غير قصد مجموعة من السّمات الجماليّة. ولا عجب في هذا ما

B.E.O. t. XIX : pp. 7 - 77
[1] - الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء لشارل بلا. ص 205

[2] - Ch. Pellat, La prose arabe à Bagdad in Arabica IX : 408

[3] - W. Marçais, les origines de la prose littéraire arabe in Revue Africaine .LX VIII pp. 15-28

[4] - EI$_2$, I : 67 Art. « abd – al – Hamid par H. Gibb.

[5] - Iben Qutaïba. E. Lecompte p.485

دام النّص نتيجة مباشرة لتجميع آراء مبعثرة أو غامضة أو غير جاهزة في فكرة متماسكة الجوانب وواضحة المقاصد وهذا التّصرف هو نفسه ما اصطلح على تسميته بالإبداع الفنّيّ.

وعبد الحميد الكاتب يتعامل – شأن غيره من الأدباء – مع قرّائه بواسطة اللغة فيجمع بين ألفاظها ويركبّها في جمل ذات شكل معيّن يختاره هو حسب الأفكار والعواطف الّتي يريد إيصالها. وهذا النّشاط اللغوي والأسلوبيّ الّذي يقوم به الكاتب يحتاج إلى الدّراسة لا بصفته مجرد شكل ينظر في هندساته وميزاته ولكن باعتباره جزءا لا ينفصل عن الموضوع وكلّما توضّحت لنا أسرار الشكل آزداد المضمون جلاء.

وقد حاولت في الصّفحات الموالية من هذا البحث أن أدرس هذا الشّكل وقد جهدت أن أتجنّب الأحكام المعيارية والانطباعية التي لاحظتها في بعض الدّراسات الّتي تناولت عبد الحميد بالنّقد وكان سبيلي في هذا النّهج الوصفيّ فانطلقت من تجريد المادّة المدروسة ثم قمت بتبويبها واستجلاء خصائصها وانتهيت في الأخير إلى بعض الاستنتاجات الّتي فرضها هذا المنهج.

وقسّمت هذا البحث إلى الأقسام التّالية:

***هيكل الرّسالة :**

– التمهيد

–متن الرّسالة

–الختم

***الرّصيد اللغويّ في الرسائل:**

–التّعابير الدّينيّة

–التّعابير السّياسيّة

–المصطلحات الإداريّة

–التّعابير الثقافيّة

–لغة السّلوك والأخلاق

–المصطلحات العسكريّة

–لغة العواطف والانفعالات

–مسميات الطّبيعة

***الجملة** : توزيعها (جداول إحصائية)

خاصيّاتها :

–الجملة البسيطة والجملة المركّبة

–الجمل المتلازمة

-الجملة الفعليّة والجملة الاسميّة

-الجملة الإنشائيّة

***البلاغة** : الوسائل البلاغيّة المستعملة

-دراسة بلاغية لإحدى الرّسائل : رسالة إلى أهله

وختمت هذا البحث الوصفيّ[1] باستجلاء المنابع الأساسية التي استمد منها عبد الحميد أشكاله الفنيّة وبمحاولة تحديد لمكانته في تطور النّثر العربيّ.

III- هيكل الرّسالة :

يمتاز النّثر على الشّعر بما يمنحه للكاتب من تحرّر في مستوى اللغة، فهو يفتح له المجال واسعا لتفصيل أفكاره وللتوسع فيها دون قيد عروضيّ أو إيقاعيّ معيّن. فكان النّثر بذلك لغة الحضارة المعقدة و"لغة العقل ومظهرا من مظاهر التّفكير". على عكس الشّعر المتّصل بالحسّ والشّعور والذي ينبعث من الحياة الإنسانية "انبعاثا يوشك أن يشبه انبعاث الضّوء عن الشمس والعطر عن الزّهرة"[2]

واحتاج العرب – بالفعل – إلى تغيير طرائقهم في التّعبير النّثري وذلك منذ أواخر القرن الأوّل. ولم تعد الخطب المقتضبة والرّسائل القصيرة المتداولة تسع الاهتمامات المتضخّمة والمشاكل المتعدّدة.

وكانت مكاتبات عبد الحميد استجابة لبداية التّعقد في الحضارة الإسلامية فقد ألحّ فيها على التّدقيق في طرح المشاكل وعلى تنظيم عرضه لها تنظيما انعكس على الهيكل العامّ.

وقد وصلتنا مجموعة من هذه المكاتبات يمكن استغلالها كمادة بحث في الهيكل العامّ لرسالة عبد الحميد[3] .

---

[1] - أواصل بهذا المنهج الوصفيّ الذي فتحت دربه بعض البحوث في كليّة الآداب بتونس حيث نجد أنّ عمليّة الإحصاء اللغوي والنحوي والبلاغيّ المنطلقة من نصوص معيّنة توصّلت إلى نتائج مركزة وفتحت لمنهج الإحصاء مجال التفتح. واستفدت – في هذا الإطار بالأعمال التالية: (وهي شهادات تأهل للبحث)

-الجملة المركبة في نثر سهل بن هارون، مصطفى المدايني نوفمبر 1976

-الجملة من خلال كتاب البخلاء، الهادي الجطلاوي – جوان 1975

-دراسة التركيب عند ابن المقفع – منصف عاشور – أكتوبر 1975

-الجملة العربية عند ابن المقفع – الباجي القمرني – أكتوبر 1974

-لغة التفكير السّياسي في كتاب الإمتاع والمؤانسة – محمد البحري. جوان

[2] - في الأدب الجاهليّ 326

[3] - يصعب النّظر في هيكل كلّ رسالة على حدة. فقد وصلنا أكثرها منقوصا. ولهذا اعتمدت في هذا الفصل على بعض الرّسائل التي يبدو فيها التّمام وهي.

رسالتان ديوانيّتان : رسالة إلى الكتّاب

رسالة إلى وليّ العهد

رسالة سياسيّة: رسالة في الشطرنج

رسالة أدبيّة : رسالة في وصف الصيّد

رسالة شخصيّة : رسالة إلى أهله

ولعلنا بهذا البحث منتهون إلى نوعية هذا الهيكل وإمكانيّة كونه قارا أو عرضيّا في مختلف الرسائل.

1- التّمهيد:

جدول عدد 3 : موضوع التمهيد

الرسالة	رسالة إلى الكتّاب	رسالة إلى وليّ العهد	رسالة في الشّطرنج	رسالة في وصف الصّيد	رسالة إلى أهله
موضوع التّمهيد	شرف مهنة الكتابة	ظروف الرسالة والشّكر	تحديد: مهالك المعصية	مدح الخليفة	استهلال

تصدير الرّسالة بتمهيد ذي موضوع يفيد خاصية جديدة بدأت في الظهور في عهد عبد الحميد، فالكتّاب الأوائل لبني أميّة لم يعتادوه في مراسلاتهم ولم يولوه أهميّة خاصّة بل يمضون إلى الغرض مباشرة مكتفين ابتداءا بـــ : "أمّا بعد".

فما الّذي دعا بعبد الحميد إلى الاعتناء بالتّمهيد؟

الغرض من التّمهيد – أساسا – هو خلق ظرف مناسب للقراءة بإثارة انتباه القارئ وإخراجه من حالة اللامبالاة إلى حالة الاهتمام. ويرتبط نجاح العمل الأدبيّ باقتدار الكاتب على إثارة هذا الاهتمام في عمليّة التّمهيد. ولنا في مقدمات ابن قتيبة والجاحظ لتآليفهم ما يدل على عناية زائدة من المؤلفين العرب بمقدمات كتبهم. وكذلك كان الأمر مع عبد الحميد.

فقد تبين من خلال وضعيته الإدارية ونشاطاته السياسية أنه كان بمثابة المعلم لكتاب الدواوين يدربهم على أعمالهم ويكشف لهم عن خفاياها السّياسية. وهكذا طبع رسائله بطابع الجدّ والصّرامة. ولا يخفى عنّا أن هذا الطّابع – يخلّف لدى القارئ احترازا لا يمكن تجاوزه إلا بالتّدرج البطيء في عرض الموضوع وجزئياته.

فقد تقدّم – في رسالته إلى الكتّاب مثلا – بآراء جديدة على العرب وبتراتيب إداريّة غير مألوفة عندهم. كما اشترط على الكتّاب شروطا عسيرة المنال والمحمل من شأنها أن تقيّد حريّته وتفقده الكثير من صلاحياته.

وقد تصدّى عبد الحميد لهذه الجدة والغرابة فمهّد للرّسالة بحديث طويل مليء بالمدح والإغراء والأدعية اللطيفة والتّبجيل فجعل الكتابة أشرف الصّناعات والكتّاب في

أسمى المنازل وأخطرها في الدّولة. ولعله بهذه الإشادة – يبتغي الوصول بمخاطبيه إلى حالة من الدّعة والاطمئنان النّفسيّ تؤهّله لإبلاغهم مقاصده.

واعتمد عبد الحميد نفس هذه الطّريقة في رسالته إلى وليّ العهد. فقد أطنب أثناء الابتداء– في الدّعاء لعبد الله بن مروان بن محمد وفي الاعتراف له بالفضل والعلم ورفيع المحامد. فكانت دعواته ومدائحه تهيئة نفسيّة لإلقاء ما سيليها من نصائح طويلة وتعليمات دقيقة.

ونقرأ بعض فقرات التّمهيد فيتبين لنا عبد الحميد متحرّجا من عبد الله بن مروان فيحادث بلغة ملؤها الحذر ويقول "ولو كان المؤدبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ولقنوه إلهاما من تلقائهم ولم يتعلّموا شيئا من عند غيرهم لنحلناهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة خالقهم المستاثر بعلم الغيب دونهم بوحدانيته وفردانيته وإلهيّته وما سبق لا هوتيّته... لكنّ العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل المحبوّ بمزية العلم أدركه معانا عليه بلطف بحثه وإذلال كنفه وصحّة فهمه وهجر سآمته[1].

وتتأكّد قيمة التّمهيد في الرّسائل السّياسيّة. فقد جعله عبد الحميد فيها – عادة – تحميدا لله وإشادة بمزايا الإسلام على أهله وعلى الأمّة، وتذكيرا بعواقب الكفر والزّيغ عن الرّشاد. فعرض في رسالته في الشّطرنج فضائل الإسلام الّذي أخرج العرب من ضلال الجاهليّة إلى هدى الإسلام. ولعلّه – بهذا الابتداء رغب في إشعار مخاطبه – وهو أحد الولاة – بخطئه الفادح المتمثّل في تهاونه مع رعيّته تهاونا سمح لهم بالتّخاذل عن أعمالهم والاعتكاف على لعبة الشّطرنج.

وأشاد عبد الحميد – في رسالته في وصف الصّيد بالدّعاء للخليفة وفي إبراز حظّه وحظّ مرافقيه في رحلة قنص شيّقة. فكان ابتداؤه تشويقا لقارئه أن يتتبّع هذه الرّحلة في مختلف أطوارها وتقلّباتها.

أما رسالته إلى أهله فقد استهلّت بمجموعة من الأحكام عن الدّنيا وما تحطّ به من أفراح على أهلها أو ما تلقيه من مصائب عليهم. وكان هذا الاستهلال إعدادا نفسيّا لعائلته الّتي ستقرأ في بقيّة الكتاب ما سيملأ القلب حسرة والخاطر تفجّعا ولوعة.

وقد قيل الكثير عن المقدّمات الواردة في صدور رسائل عبد الحميد ومن ذلك أنّ بعض مترجميه اعتبروه أوّل من "استعمل التّحميدات في فصول الكتب"[2].

ولعل القولة الذائعة الصّيت بأنّ الرّسائل بدئت بعبد الحميد وختمت بابن العميد[3] تعني إبداع الأول في الفواتح والثّاني في الخواتم.

---

[1] - رسالة إلى ولي العهد، الفقرة عدد 5

[2] - مروج الذهب، ج. 4 : 263 ، سرح العيون : 130، شرح مقدمات الحريريّ، ج. 4 : 67، ويقول الشّريشي فيه: "وهو أوّل من أطال الرّسائلة واستعمل التّحميدات في فصول الكتب واستعملت بعده." . يذكر آخرون أن فضل عبد الحميد محدود في إطالته هذه التّحميدات. انظر صبح الأعش ج. 4 : 311

[3]- وهي للثعالبي، يتيمة الدّهر : 137

وعلى كل فإنّنا نجد في رسائل أخرى[1] معاصرة لعبد الحميد مقدّمات تشابه ما قرأناه عنده. ومقارنتها تمكّن من ملاحظة تقارب واضح:

جدول عدد 3 : مقارنة بين تمهيدي رسالتين

تمهيد رسالة الوليد بن عبد الملك إلى أهل العراق	تحميد في تعظيم أمّة الإسلام (لعبد الحميد الكاتب)
إن اللّه اختار الإسلام وارتضاه وطهّره... وجعل عدوّه الأضلّ عملا والأخسر سبيلا	فالحمد للّه الذي اصطفى الإسلام لنفسه وارتضاه دينا لملائكته وجعل من خالفه وعزب عنه وابتغى سبيل غيره أعداءه الأذلّين وأولياء الشياطين الأخسرين وأهل الضّلالة الأسفلين.

جدول عدد 4 : مقارنة بين تمهيدي رسالتين

تمهيد رسالة الوليد إلى الأمصار	تمهيد رسالة عبد الحميد في الشّطرنج
أما بعد، فإن اللّه تباركت أسماؤه، اختار الإسلام... حتّى انتهت كرامة الله في نبوّته إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه على حين دروس في العلم وعمى من النّاس وتشتيت من الهوى وتفرّق في السّبل وطموس من أعلام الحقّ. فأبان اللّه به الهدى وكشف به العمى واستنقذ به الهدى وكشف به العمى واستنقذ به الضّلالة والرّدى وأنهج به الدّين.	أمّا بعد، فإن الله شرع دينه بإنهاج سبله... ثمّ ختم بنبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم وحيه وقفّى به رسله وابتعثه لإحياء دينه الدّارس مرتضيا له على حين انطمست الأعلام مختفية وتشتّتت السّبل متفرّقة وعفت آثار الدّين دراسة.

إنّ التّشابه في اللّغة والتّقارب في الأسلوب بين نصّي عبد الحميد ونصّي الوليد بن عبد الملك يمكّنان من القول إن التّمهيد للرّسائل بدأ مذهبا جديدا في كتابة الرّسالة في أواخر العهد الأمويّ ثمّ تركّز معه ليصير عادة متّبعة يقتدي بها من بعده.

---

[1] ـ ومنها : رسالة الوليد بن عبد الملك إلى أهل العراق، رسالة الوليد إلى الأمصار، جمهرة رسائل العرب، ج. 2 : 465 و 445

ومهما يكن من أمر فإنّ فنّ الابتداء – كما رأيناه عند عبد الحميد – يعدّ من العوامل الّتي ساعدت على التّحول بالنّثر العربيّ من صورته الخطابيّة إلى شكل النّثر الفنّيّ.

2– متن الرّسالة :

اتّخذت رسائل عبد الحميد عند قرّائها– منذ القديم صفة النّص الأدبيّ المتكامل شكلا وأسلوبا[1] فكاتبها اعتمد عليها لعرض قضايا وآراء لها كيان مستقلّ فأكسبها الانتشار والدّوام بعده.

ويمكن لنا أن نلاحظ مجموعة من الخاصّيات في البناء الدّاخلي لهذه الرّسالة تتأكد بها صفة التّكامل التي ذكرنا.

فقد أتت كل رسالة عرضا لمسألة معيّنة ذات موضوع مخصوص وظرف مخصوص – فرسالته إلى الكتّاب اختصّت بمهنة الكتابة ورسالته إلى وليّ العهد اهتمّت بنصح قائد الجيش في تدبير أمور جنده وخطط حربه ورسالته في الشّطرنج نبّهت إلى بعض المخاطر الأخلاقيّة والعقائديّة في هذه اللعبة. فصّل فيه الحديث بصبر وتروّ. وهو نفسه دعا كتّابه إلى وضوح الغاية في الكتابة[2].

وأثّر استقلال الغرض على البناء الدّاخليّ للرّسالة ولعلّ أهمّ صفة شكليّة نلاحظها في هذا المجال هي تقسيم الغرض إلى مكوّناته الأساسيّة ثم ترتيب هذه المكوّنات بصورة تضمن فهمها واستيعابها دون إرهاق للقارئ واصطدام باقتناعاته (باستثناء الرّسائل التّهديدية الّتي فرضت ظروفها شدّتها)

جدول عدد5 : المكوّنات الأساسيّة لبعض رسائل عبد الحميد

الرّسالة	رسالة إلى الكتاب	رسالة إلى ولي العهد	رسالة إلى الشّطرنج	رسالة في وصف الصيد	رسالة إلى أهله
المكونات الأساسية للرسالة	الشّروط الأخلاقيّة للكاتب	أخلاق الحاكم المثاليّ وسلوكه	وصف اعتكاف الرعية على الشطرنج	الخروج إلى الصّيد	حيدث عامّ عن الدّنيا
	ثقافة الكاتب	سياسة الجيش وتنظيمه	استنكار أمير المؤمنين له	مغامرة صيد أولى	تقلب عبد الحميد في الدّنيا
	الشّروط المهنية إدارة + سياسة	طريقة لقاء العدو	الأمر بتحريم اللّعبة	مغامرة صيد ثانية	التّشوّق إلى الدّنيا

[1]- يقول إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب : "كان الكاتب قبل عبد الحميد حروفا جريدة متقطعة الأوصال من معاني التأليف... فلما أفضت الأمور – في ذلك – (إليه) استقصى المعاني من وجوهها وصنّف الأمور... "كتاب الكتّاب ص : 35، وانظر الخبر عدد 16 صص 407 – 408 من هذا البحث

[2]- رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 11

وكان تنظيم الرّسالة على الشكل الّذي رأينا أعطاها صورة الرّسالة الأدبيّة كما سنعرفها عند الجاحظ إذ هي شبيهة بعمل تحليليّ لقضيّة معيّنة معروضة على النّاس.

ولئن ارتبطت مكاتبات عبد الحميد بمناسبات مخصوصة تحول – نظريّا – دون ذيوعها أو بقائها بعد انتهاء تلك المناسبات – فإنّ الحقيقة كانت غير ذلك إذ استطاعت هذه المكاتبات أن تفرض وجودها لدى الكتّاب بعده بما حوته من تراتيب إدارية وآداب سلطانيّة جمّة ذلك أن كاتبها وعى أن الرّسالة يجب ألا تكون أداة ينتهي عملها بآنتفاء زمنها وإنما مساهمة فعليّة في الفكر المجموعيّ يستفاد منها.

ولذلك تراه لا يكتفي فيها باللمحة السّريعة والكلمة المقتضبة بل يفصّل ويطيل رغبة منه في استيفاء كلّ جوانب الموضوع. واستجلب هذا الحرص المصنّفين الأوائل الذّين كتبوا عنه فقالوا إنّه أوّل من أطال الرّسائل[1] وإنّه صبّ فيها محنّك تجاربه[2] حتّى صارت جانبا من جوانب ثقافة الكاتب والوزير والحاكم تعادل في القيمة أمثال بزوجمبهر وعهد أردشير[3].

أما الخاصيّة الثّانية الأساسيّة في البناء الدّاخليّ لرسائل عبد الحميد فهي الاستقلال بين الفقرات، أو الوحدة المعنوية لكلّ فقرة. فكلّ فقرة – وإن كانت تابعة للموضوع الجمليّ– تؤدّي فكرة دقيقة ولا تنتهي حتى تستوعب هذه الفكرة بالتّحليل البطيء.

ويكون الانتقال من فقرة إلى أخرى بتنبيه لفظيّ يعين على التّمييز وتجديد الاهتمام.

- ثم اجعـــــــــل
- واعلـــــــــم
- ثمّ إيـــــــــّاك
- وكذلـــــــــك

رسالة إلى وليّ العهد

- فتنافسوا...
- وإن (نبا الزّمان) ...
- فقد ...
- فإذا
- وإذا
- واعلموا ..

إلخ ...

رسالة إلى الكتّاب

---

1 - مروج الذهب، ج. 4 : 263

2 - مختصر كتاب البلدان لأبي بكر الهمذاني، 194. يقول : وكان أحمد بن يوسف يقول : "في رسائل عبد الحميد ألفاظ محككة وتجار بمحنكة"

3 - ذمّ أخلاق الكتّاب، ضمن رسائل الجاحظ. ج. 2 : 191

وهذه التنبيهات اللفظيّة تعين القارئ على التّفريق بين الأفكار المتقاربة والمفاهيم المتجانسة في الرّسالة الواحدة ذات الموضوع الواحد[1]. فالقارئ العربيّ – كما أسلفت – اعتاد تتبّع الخطب المثيرة والأخبار الطّريفة والرّسائل الّتي لا تكتب إلاّ لأمر عظيم جدّ. أمّا المواعظ الطّويلة والمباحث اللطيفة فتثقل يحتاج القارئ إلى تخفيف محمله.

3- خاتمة الرسالة :

يعتبر الدكتور زكي مبارك أن مساهمة عبد الحميد الكاتب في النثر العربي تمثّلت كذلك في خواتم الرّسائل[2].

والعودة إلى نصوص الرّسائل تكشف فعلا اعتماد عبد الحميد على أساليب مخصوصة في الخواتم.

جدول رقم 6 : مقارنة بين خواتم بعض الرّسائل

الرّسالة	رسالة إلى الكتاب	رسالة إلى ولي العهد	رسالة إلى الشّطرنج	رسالة في وصف الصيد	رسالة إلى أهله
محتوى الخاتمة	مثل يجمع معنى الرّسالة الدّعاء والسّلام	الدّعاء و السّلام	تحذير + طلب الرّد + السّلام	حمدلة	أدعية

يبدو أن أولى خاصّيات هذه الخواتم هي الحرص فيها على الانتهاء بخطاب دينيّ يكون سلاما أو دعاء أو حمدلة. وهي طريقة تشابه ما اعترضنا في المقدّمات من بدايات ذات صبغة إسلامية.

ويتبيّن عبد الحميد أثناء هذه الخواتم شخصا مليئا بالعطف والبشاشة إزاء من يخاطبهم أو يعينهم في نصائحه.

4- البحث عن النّموذج في رسالة عبد الحميد:

يتبين لنا من خلال هذه الملاحظات الأخيرة أنّ عبد الحميد الكاتب عرض الكثير من أفكاره عرضا مفصّلا وأنه لم يسلّم الزّمام لقلمه يكتب دون نظام وإنما حرص على أن تكون هذه الأفكار واردة في ترتيب مخصوص.

[1] يقول حنّا الفاخوري في تاريخه عن الأدب العربيّ، 336 إنّ بناء الفقرات كان كلّه "في منطق دقيق يسلسل الأفكارّ في فقر تؤدي كلّ فقرة منها معنى خاصّا . وترتبط بما قبلها وما بعدها ارتباطا وثيقا فلا اضطراب ولا إسراع بل استيعاب للمعاني وتعبير عنها بأناة وبيان رائع ومراعاة لأحوال ا

[2] - النثر الفني في القرن الرابع، ج. 1 : 72

ألفيناه مفتتحا بعض رسائله الطّويلة بمطلع كان القصد منه إثارة اهتمام القرّاء سواء بمدحهم أو بمخاطبة أحاسيسهم العاطفيّة أو الدّينية، واستنتجنا عند تتبّع المكونات الأساسية لهذه الرّسائل أنه نزع فيها إلى تفصيل المواضيع بصورة جعلتها شبيهة بأعمال أدبية متكاملة وأنه أعان القرّاء على تتبّع هذه المواضيع باستعمال أساليب معنويّة ولفظيّة للسّيطرة على تنوّعها وامتدادها.

أما الخواتم فكان فيها حريصا على إسداء السّلام إلى مخاطبيه بما ترتضيه فضائل الأخلاق الإسلامية.

فهل كان هذا التّرتيب المخصوص ناتجا عن تصوّر معيّن لهيكل ثابت للرّسالة أم كان عرضيّا؟

لئن بدا لنا هذا الترتيب قارّا في الرّسائل الخمس الّتي ذكرناها في الجداول فإنّنا نلاحظ عدم توفّره في أكثر الرّسائل الأخرى حيث يباشرنا عبد الحميد بأفكاره دون مقدّمات أو خواتم، فابتدأ في رسالته في السّلامة بكتابة المنشور السياسي دون التوجّه إلى المخاطب (وهو الوالي يوسف بن عمر) بما يدلّ على نيّة في جلب اهتمامه، وكذلك فعل في رسالته في الطّاعة ووصف الإخاء[1].

كما لا نجد في المقاطع المتبقية الأخرى من الرّسائل ما يدلّ على تجسيم خواتم واضحة لها.

وتبقى الدّلائل الأولى على إقرار هيكل ثابت للرّسالة – حسب ما سبق – مجهودا قام به عبد الحميد في مستوى عمليّ بحت قصد خدمة أغراض إدارية وسياسيّة جديدة في الحضارة وأعني بهذه الأغراض تلك الّتي يحتاج فيها إلى تفصيل القول في مسائل ما زالت لم تتضح في العقليّة العربيّة كالتّراتيب الإداريّة والنّظم العسكريّة والفروض السّلوكيّة والأخلاقيّة لرجل السّياسة.

أمّا ما لم يكن ثابت الهيكل من كتابات أخرى فنستطيع ضمّه إلى العادات الخطابيّة والكتابيّة المعروفة قبل عبد الحميد الكاتب. ولم يتأكّد الاحتياج إلى نماذج قارّة لهذه الكتابات بسبب الاختصار في نصوصها أو غلبة السّرعة والبداهة في عرضها.

ويمكن – على هذا الأساس – أن تحدّد مساهمة عبد الحميد في تقديم نموذج ثابت للرّسالة بتصوّره للعناصر الكبرى في المكاتبات الدّيوانيّة الطّويلة.

IV- الرّصيد اللّغوي للرّسائل

1- حدود البحث :

---

[1] - على أنّ هذه الرّسائل يمكن أن تكون منقوصة مما يجعل استنتاجنا محتاجا إلى مزيد التّثبت.

اللفظة هي أصغر وحدة ذات معنى، وتستقلّ اللفظة في المعجم لتحمل – بعيدا عن الاستعمال – مجموعة من الدّلالات تتنوّع حسب الصّيغ والاشتقاقات الصّرفية. وتحصل اللفظة على هذه الدّلالات عن طريق تواتر استعمالها في الإطار الحضاريّ أو الثّقافيّ. "ومن العسير أن تفهم مدنيّة من المدنيّات كلّ الفهم ما لم تعرف وسيلتها اللغويّة في التّعبير، ولا يمكن دراسة الإنسان ما لم تدرس كيفيّة تعبيره"[1]

وقد تصدّت الدّراسات اللّغويّة قديمها وحديثها للأرصدة اللغويّة تحصيها وترتّبها مستخرجة أوزانها وصيغها والرّوابط بينها وأصولها ومستكشفة أسرارها وغوامضها بحثا عمّا تخفيه من مقاصد وانتماءات وأخلاقيّات يحملها الأشخاص أو المجموعات.

واستثمرت الألسنيّة البنيوية اللغة مادّة لفهم الرّموز الفكريّة المختلفة في الوجود باعتبار أنّ هذه اللغة هي الأداة الأساسيّة الّتي تقوم بدفع العواطف والأفكار الكامنة في الوجدان وفي أعماق الذهن إلى مستوى التّعبير فتغدو جليّة وجاهزة. "فالبنية اللغوية أو التّركيب اللغوي هي الّتي تجدّد الفكر وتسيطر عليه سيطرة كاملة ولذلك فإنّ معرفة البشر بهذا العالم وتجاربهم فيه ونظرتهم إليه ومواقفهم فيه تختلف باختلاف اللغات الّتي يتكلّمونها"[2].

وكلّ كاتب يختزن في ذهنه مقدارا من المفردات اللغويّة يستعملها في إنتاجه الأدبيّ. وهذه المفردات هي محصول لمجموعة تجاربه المكتنزة لديه وهي كذلك مرآة تعكس ميوله العاطفيّة واتجاهات تفكيره .

وإذا كان من غير الميسور أن نتعرف على مقدار المفردات المختزنة عند شخص بصفته لا يستعمل رصيده دفعة واحدة فإنّه من اليسير أن نتعرّف على ما استعمله شاعر في ديوانه أو فيلسوف في بحثه أو كاتب في رسائله.

ورسائل عبد الحميد الكاتب – رغم ما فيها من نقص وتشويه بسبب عوارض الرّواية والنّسخ – تستجيب لإمكانيّات الاستقصاء فلدينا منها ما كان تامّ الرّواية أو يكاد ومتنوّع الأغراض والأساليب فيكون بذلك مادّة طيّعة للبحث وخاصّة أنّه صدر عن كاتب ذي قرابة وشيجة ومعرفة خاصّة باللغة العربيّة. فكاتبنا كان معلّما ينتقل بين البلدان في العراق شأن غيره من الموالي. ومهنة التّعليم في العصر الإسلامي الأوّل تتطلّب الإحاطة باللغّة العربيّة وبقواعدها وسمّت المصادر مجموعة كبيرة من المعلّمين اختّصوا بتنشئة أبناء الأعيان والخلفاء على إتقان هذه اللغة أو فتحوا الكتاتيب ومدارس التّعليم ومنهم الضحّاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم والحجّاج بن يوسف والطرماح بن حكيم وعبد الحميد

---

[1] ـ دلالة الألفاظ العربيّة وتطوّرها: الدّكتور مراد كامل، ص 13

[2] - E. Cassirer : Le langage et la construction du monde des objets.
أ. كاسسيرار: اللغة وتركيب عالم الأشياء.
نقلا عن : مفهوم اللغة في الألسنية البنيويّة، لموريس أبو ناظر، مجلة الفجر العربيّ المعاصر، عدد 25 مارس 1983 ص 55

الكاتب وكان المطلوب منهم أن يتّصفوا بالفصاحة والثّقافة العالية "مما حدا بالكثير من هؤلاء المعلّمين إلى التّعمّق والتوعّر حتى اشتهر أكثرهم بالإغراب، ومن الباحثين من يرى أنّهم قصدوا إلى الإغراب قصدا لغاية تعليميّة"[1]

ولا نستبعد أن تكون مهنة التّعليم سمحت لعبد الحميد من التّزوّد برصيد واسع من الألفاظ سيستعملها في مكاتباته فيما بعد، وهو نفسه نصح الكّتاب بالعلم باللغة وغريبها ليكونوا أقدر على التّعبير عن دقائق مكاتباتهم[2] وعلى التألّق في الأوساط الثّقافية والمنتديات الفكريّة.

ونتبيّن – بالفعل – أنّ مكاتبات عبد الحميد تضمّ مجموعة هائلة من الألفاظ الاصطلاحية ذات وظائف تتنوّع باختلاف الاهتمامات والأغراض الّتي عبّرت عنها مراسلاته. ولعل أخصّ أنواع هذه الألفظاك الاصطلاحيّة[3] هي:

- التّعابير الدّينية
- التّعابير السياسيّة
- المصطلحات الإداريّة
- التّعابير الثقافية
- لغة السّلوك والأخلاق
- المصطلحات العسكريّة
- لغة العواطف والانفعالات
- مسميّات الطّبيعة

وهذه المجموعات اللغويّة – أو حسب التعبير الألسنيّ المعاصر، هذه الحقول المفهوميّة champs sémantiques[4] تضمّ الكلمات [1] الّتي استغلها عبد الحميد فكوّنت تجربته المعرفيّة والحياتيّة.

---

[1] - المعجم العربيّ، نشأته وتطوّره لحسين نصّار، د. 1 : 27 - 8

[2] - رسالة إلى الكّتاب، الفقرة عدد 3

[3] - من المفترض أن تستقطب الدّراسة اللغوية لأثر ما الجوانب الصّوتيّة والإعرابيّة والصّرفيّة للألفاظ المستعملة ومن المفترض كذلك أن يفيدنا استقصاء هذه الجوانب بالخاصيّات الخلافيّة والنحويّة والاشتقاقيّة لهذا الأثر. لكنّ الإفادة المفترضة تبقى صعبة المنال لأنّ خاصيّات الكلمة وتغيّراتها الدّاخلية هي قضايا اللغة العربيّة عامّة بقطع النّظر عن الكاتب الذي يستعملها. ولذلك يحتاج فيها إلى استقراء أشمل لآثار تكون أقرب زمنيّا إلى فترة نشأة اللغة منها إلى فترة تفتحها وتكاملها. وفضلا عن هذا فدراسة عبد الحميد الكاتب إن سمحت ببعض الاستنتاجات فهي استنتاجات لا ترتبط بلغة الكاتب بقدر ارتباطها باللغة عامّة. ولهذا اكتفيت بالنّظر في الجانب المعجميّ من لغة الرّسائل وهو جانب يعين – كما سبق أن أشرت – علي الإحاطة باهتمامات عبد الحميد وعلى وضعها في إطارها العامّ.

[4] - اقترح الدّكتور ريمون طحّان في كتابه عن الألسنيّة العربيّة أشكالا معيّنة معرض فها هذه المجموعات اللغويّة أو هذه الحقول المفهوميّة عرضا يكفل لها الوضوح . وهذه الأشكال هي:
1) الشّكل الفسيفسائي: تكون فيه الكلمات كالمكعّبات التي تتصدّع كلما تعددت لها المترادفات.
2) شكل المدرج وتتابع فيه المفردات من مدلولها الأعلى إلى مدلولها الأدنى أو العكس، كالرّتب العسكرية.
3) شكل التقابل حيث تواجه كلّ كلمة نقيضتها في اللغة والتفكير.
هذا إلى جانب الشّكل الذي تنبني فيه الكلمات الواحدة تلو الأخرى بدون ترتيب دلاليّ خاصّ.
انظر، الألسينية العربيّة، لريمون طحّان، ج. 1 : 96 – 97 .
واعتمدت هذه الأشكال في عرض الألفاظ المستعملة في الرّسائل . ويجدر التنبيه إلى أنّ نفس اللفظة يمكن أن تستعمل ضمن حقول مفهوميّة متنوّعة.فكلمة العدل مثلا تعني مرّة العدل الإلهي وأخرى العدل السّياسيّ. وكلمة تدبير يمكن أن تضاف إلى الله أو إلى السّائر أو

تعاليمه – أوامره – نواهيه :

الصّلوات – الفرائض – السّنّة – الحدود – الشّرائع – الرّسالات – الوعيد – الذّكر – الطّاعة – الثّناء – الحمد – التذلّل له – الإيمان به – التّقوى – التّوكّل – اتّباع السّنّة – الشّكر – الصّبر – الكفر – المعصية – الضّلال – التّضليل – استحلال المحرّمات – البدع – الشّرك – الباطل الخ ...

صفات المخلوقين:

المؤمنون – المسلمون – أهل الإسلام – الشّهداء – المتّقون – الصّابرون – أولياء الله – أهل الشّرك الخ...

يدلّ تفرّع السّياقات الّتي وردت فيها هذه الألفاظ أنّ عبد الحميد الكاتب أحاط مختلف مراسلاته السيّاسيّة والإداريّة بجوّ تغلب عليه المفاهيم الدّينية وخاصّة منها مفهوما الثّواب والعقاب. وهذا يؤكّد تأثره بالقرآن كدليل روحيّ وأخلاقيّ للأفكار الّتي يعرضها وكمرجع لغويّ في التّعبير عن هذه الأفكار.

ويمكن تفسير هذا التّأثّر بكون عبد الحميد عاش في كنف دولة تستمدّ أحكامها وقوّتها من الإسلام وخاصّة أنّ الفترة الّتي ازداد فيها نشاطه احتاجت أكثر للدّين للحثّ على ردّ البدع والثّورات المتكاثرة في أرجاء الخلافة ولإقناع الرّعيّة بشرعيّة قمع هذه الثّورات وتبرير القضاء على رؤساء الفتنة دفاعا عن خلافة الله والحزب الأمويّ.

وقد وجد عبد الحميد الكاتب في لغة القرآن رصيدا ثريّا يستمدّ منه مقولاته وموصوفاته ذات البعد الدينيّ.

فهذه مثلا فقرة من رسالته إلى وليّ العهد تبرز مقدار اعتماده على القرآن كملهم لأفكاره ولأسلوبه وللغته.

يقول : "واللّه نسأل لك – أمير المؤمنين- حسن الإرشاد وتتابع التّزيد، وبلوغ الأمل، وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غبطة يسوّغك إيّاها.

2- التّعابير الدّينية :

وردت التّعابير الدّينيّة في رسائل عبد الحميد في سياقات متنوعة وتمحورت حول الآله وصفاته وعلاقة المخلوقين به وكانت أخصّ هذه السيّاقات:

– الرّسائل ذات الموضوع الدّيني البحت مثل التّحميد في تعظيم أمة الإسلام.

– مقدّمات الرّسائل، وهي دائما دينيّة (تحميد – ترغيب في ثواب الله أو تهديد بعقابه...)

إلى الكاتب. وتفيد في مثل هذه الحالات الكلمة بتعدّد ما تنتمي إليه من حقول.

[1] - حوّلت مختلف الأبنية المستعملة في الرّسائل إلى البناء الأسمي. وذلك تجنبا لما يحدثه تنوّع الأفعال والأوزان والأزمنة من بلبلة في مستوى استغلالها.

- النّصائح، وترتبط عادة بمقاصد وتفسيرات دينيّة.
- التّعليمات الإدارية والسّياسيّة المستمدّة من التّعاليم الإسلامية
- الأدعية

وتمثّلت هذه التّعابير في القوائم التّالية:

الله : ربّ (العالمين) – الملك

<u>**صفاته وأفعاله**</u> : الحياطة – التّوفيق – الإرشاد – العزّة – الجلال – السّلام – النّعمة – العلوّ – العدل – التألف – الرّحمة – المشيئة – العلم – البركة – الخير – الحرمة – الخالق – الوحدانية – الفردانيّة – الإلهيّة– اللاّهوتيّة – السّلطان – المشيئة – الإرادة – الرّضا – النّور – الهدى – الثّواب – المستعان – العليم – المنتصر – الناصر – الوليّ – المعين – العزيز – الهدى – التّواب – القضاء – الآذن – القويّ – الوكيل – التّأييد – السّلام – الإنذار – المتيقّن – الوهّاب – اليمن – العزّ – العظمة – النّاصر – المنير – المنّان – الواهب – الأحكام – الحول – القوّة – الرّزق – الوعد – القدرة.

<u>**الأدلّة عليه من أعماله وخلقه:**</u>

الأنبياء – المرسلون – الكتاب – العباد – الإسلام – القرآن – الشّيطان – إبليس – الدّنيا – العاجلة – الآخرة – الآجلة – الرّسالة – الجحيم – الجنّة – محمّد – النبوّة – الكلمات – الملائمة – العالمين – الدّين – الأديان – الأمّة – الوحي – السّماوات – الأرض – الحجّة – الخ ...

وعافية يحلّك أكنافها ونعمة يلهمك شكرها، فإنّه الموفّق للخير، والمعين على الإرشاد، وبه تمام الصّالحات، وهو مؤتي الحسنات، عنده مفاتيح الخير، وبيده الملك، وهو على كل شيء قدير."[1]

تحتوي هذه الفقرة على مجموعة كبيرة من الألفاظ الجاري ذكرها في القرآن مما يجعلها شبيهة بخطبة دينيّة ووعظية من خطب أئمة الدّين. فلنا أن نقرأ خلالها مجموعة من الآيات الّتي وردت بمعانيها وأحيانا بألفاظها ومنها:

- وقل ربّي زدني علما[2].
- وقال ربّي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ[3].
- واشكروا نعمة الله[4].
- ومنهم من يقول ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة[5].

---

[1] - رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة عدد 35
[2] - سورة طه، الآية 114
[3] - سورة النّمل، الآية 19
[4] - سورة النّحل، الآية 114
[5] - سورة البقرة، الآية 200

- تبارك الّذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير[1].
- وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلاّ هو[2].

ويمكننا تتبّع الرّسائل من قراءة مثل هذه التّضمينات القرآنية. وهي تبيّن استجابة لعادات الكتّاب والخطباء الّذين سبقوه والّذين أعطوا للّغة العربيّة بداية مرونتها بتحرير ألفاظها من الحوشيّة والغرابة وتمكينها من رصيد لغويّ اعتادته الأفهام وجرى على الألسنة.

3- التّعابير السّياسيّة :

كثرت التّعابير السّياسيّة في رسائل عبد الحميد وتكاثفت في سياقين أساسيين هما:

- التثقيف السّياسيّ للحاكم.
- عرض الظّروف السّياسية للمراسلات

واهتمّ عبد الحميد في هذين السّياقين بتوضيح مهامّ الخليفة إزاء أعوانه ورعيّته ووصف نشاط الحكّام ودقّق القول فيما تتعرّض له الدولة من مهالك بسبب الفتنة وأطنب في ذكر صفات الحاكم المثاليّ. ويمكن حصر التّعابير السّياسيّة كما يلي:

المناصب السياسية المختلفة :

الملك – السّلطان – الخليفة – أمير المؤمنين – الرّئيس – الوالي – السّائس – القائد – الأمير – عامل الشّرطة – الرّؤساء – الأشراف – الأصحاب – البطانة – الجلساء – الخاصّة – الرّسل – الجواسيس – الأتباع – العيون – الخ...

مهامّ الحكّام وصفاتهم:

السّياسة – التّدبير – الرّئاسة – العدل – السّطوة – الهيبة – التّقويم – القضاء – الصّرامة – القوّة – المكيدة – التّأديب – العقوبة – الرّفق (بالضّعفاء) – إنصاف (المظلومين) – التّأليف (بين الرعيّة (– توفير الفيء) – استقصاء (الحقوق) – مداراة (الأشراف).

أعداء الحكم وآفاته:

العدوّ – الأعداء (التّرك وأمم الشّرك) – المعصية – الفتنة – العداوة – الغشّ – الجور – الظّلم – الفساد – الكفر – الجهل – أهل البغي – أهل الحسد – الغواية – ذوو الجهالة – الوهن (وهن الدّولة) – الخ ...

الرعيّة تسمياتها ومهامّها:

الرّعيّة – النّاس – الخلق – أهل السّلم – العامّة – السّوقة – أهل الملّة – أهل الذّمّة – المجتمع – العبيد – الحشم – الخدم – الأحياف.

---

[1] - سورة الملك، الآية 1

[2] - سورة الأنعام، الآية 59

الطّاعة – اللّغط – الشّغب

نلمح من خلال مختلف هذه الاستعمالات الدّلائل الأولى لانطلاق الكتابات السّياسية المتمثّلة في علم الملك والأحكام السّلطانية. وكان ذلك على يد الكتّاب الفرس العاملين في الدّواوين من أمثال سالم كاتب هشام بن عبد الملك وعبد الله ابن المقفّع وعبد الحميد.

والكثير من هذه الألفاظ وارد في القرآن والكثير الآخر وارد في الخطب ومتداول في مراسلات الخلفاء الجارية في العهد الأمويّ. ولعلّ أهمّ ما أضاف إليها عبد الحميد من جدّة يتمثّل في نزوعها إلى التّدقيق في المهامّ والواجبات السّياسية مما يجعلها شبيهة بالمصطلحات القارّة. (عامل الشرطة – البطانة – الجواسيس – توفير (الفيء) – مداراة (الأشراف) – الفتنة – الخ...)

كما يلاحظ في مختلف هذه الألفاظ التّقابل الدّائم بين الحالتين المعروفتين لأيّ حكم أي حالة الاستقرار والقوّة وحالة الفتنة والوهن وبين ما يرافقهما من ممارسات سياسيّة متخالفة (عدل ≠ ظلم ، لين ≠ صرامة، صلاح ≠ فساد، الخ...)

وهذا التقابل اللغوي هو انعكاس للتقلقل الحاصل في السّياسة الأمويّة والغالب على اهتمام ممثّليها ومنهم عبد الحميد الكاتب.

4- المصطلحات الإدارية :

المهمّة الأساسية الّتي اختص بها عبد الحميد الكاتب ضمن السّياسة الأموية هي العمل الإداريّ في دواوين الخلافة. فهو – كما تقدّم أن ذكرنا – عمل في دواوين هشام بن عبد الملك ومروان بن محمد. ورجّحت – فيما تقدّم أيضا – أنّه تولّى رئاسة ديوان الإنشاء في خلافة مروان[1] وتدعوه هذه المهمّة إلى المعرفة بالتّراتيب الدّيوانية المختلفة كما تفرض عليه التحنّك بالمشاكل الجديدة الحادثة والخاصة بالتّنسيق الإداري.

وتضمّنت النّصائح الّتي تقدّم بها عبد الحميد إلى الكتّاب على بعض المصطلحات الإدارية[2] الدّالة على نوعية النّشاطات الّتي يقومون بها. ومها :

الأعمال الإداريّة :

الكتابة – صناعة الكتابة – حفظ الأموال – استقضاء الخراج – توفير الفيء

مصطلحات فنيّة مختلفة :

الخطّ – الكتب – الخراج – الفيء – الحقوق – الحساب – الخطاب – الجواب – الابتداء – الإيجاز – الحجج – الانثار – الدواوين – بيوت الأموال – الخزانة – ديوان أمير المؤمنين –

---

[1] - انظر في هذا الفصل الخاصّ بعمله الإداري صص 23-25 من هذا البحث

[2] - أشرط عبد الحميد على موظف الدّيوان معارف أدمجت تسمياتها ضمن قسم المصطلحات الثقافية ما فرض عليه مجموعة من الفضائل يجب أن يتمسك بها أو ينتهي عنها وقد أضفت التسميات الخاصّة بها ضمن القسم الخاصّ بالتّعابير الأخلاقيّة

الطّرح (≠ الإلحاق) – العهد – السّلام – الأمان – المجلس. (سجلاّت الخراج أو تسجيل الخراج)

أصناف الموظفين وتسمياتهم :

أهل صناعة الكتابة – الكتّاب – كتّاب الخراج – الخزّان – أرباب الآداب – الطّلبة – الكتبة – الأعوان

واستعمال هذه التّسميات يعدّ مواصلة للخطوات الأولى الّتي خطتها الدّواوين إثر تعريبها وخاصّة أنّ هذا التّعريب استوجب استغلال الإمكانيّات المتوفرة في اللغة العربيّة قصد تعريب الكثير من العادات الفارسيّة المتطوّرة في أمور الدّيوان.

وتبقى التّسميات الخاصّة بالمصطلح الإداري – قليلة جدا – في الرّسائل إذا وضعناها في إطارها المخصوص بها أعني فترة تعريب الدّواوين آنذاك عرّبت وفرّعت حسب الاختصاصات الكبرى فتجد ديوان الرّسائل وديوان البريد وديوان الجند وديوان الصّدقات وديوان الخراج وديوان المستغلاّت ، ولكلّ منها تراتيب وصلاحيات خاصة[1]

وقلّة هذه المصطلحات الإداريّة في الرّسائل لا تعني بالضّرورة بعدّ عبد الحميد عن "تقنيات" الدّيوان. فنصوص الرّسائل هي نصائح عامة قبل أن تكون مراجع يعتمد عليها في الأمور الفنّية.

5- التّعابير التّعليمية والثّقافية:

وهذا الاتجاه النصحيّ طبع كتابته بطابع تعلميّ واضح فقد أتت أوامره ونواهيه "في أسلوب ليّن لعلّ الدّاعي إليه هو موقف التّجربة والرّئاسة والمسؤولية الّتي انطلق منه عبد الحميد في مخاطبة قرّائه وكتّابه. ويتمثّل هذا اللّين في التّعابير التّعليمية الّتي استعملها:

تعابير تعليميّة :

اعرفوا – أرووا – أجيدوا – تنافسوا – شاوروا – وفقكم الله – ارشدوا – الإرشاد – تعهّد – حط – تعلّم – افهم – ارغبوا عن ...

وعرض عبد الحميد في رسالته إلى الكتاب تصوّره للمعارف اللاّزمة للكاتب وللصّفات العلميّة اللاّزم اتصافه بها. ووردت في عرضه ذاك مجموعة من الألفاظ الثّقافية.

حول مرحلة الكتابة واصطلاحاتها:

ثقافة الكاتب :

---

[1] - EI_2, II. P. 332 art Diwan

الأحكام – الأدب – الفرائض – العربيّة – الأشعار – الغريب – معاني الشّعر – أيّام العرب – أيّام العجم – الأحاديث – السّير – الحساب – الأخبار – الخ ...

الصّفات العلميّة للكاتب :

فقيه بالأحكام، عالم بالفرائض، إجادة الخطّ، رواية الشعر، معرفة أيّام العرب، إحكام العلم.

وهذه الألفاظ – رغم قلّتها – انعكاس لبداية الاهتمام بما اصطلح على تسميته فيما بعد بأدب الكتّاب والّذي ستتضح معالمه مع إبراهيم بن المدبّر في الرّسالة العذراء (في موازين البلاغة وأدوات الكتابة) وعند أبي العبّاس الصّولي في أدب الكتّاب وابن قتيبة في أدب الكاتب.

ويلاحظ في هذه الألفاظ كذلك وجود بعض الاصطلاحات النّقدية والبيانيّة مثل الاقتصاد (وهو الإيجاز) والوصف والابتداء والحجج وفض الكلام والرّواية. وهي من الاصطلاحات الّتي تستعمل عند علماء البيان العربيّ بعد عبد الحميد في تقييمهم للآثار الأدبية نثرا وشعرا.

6–لغة السلوك والأخلاق :

انصبّ القسط الأوفر من نصائح عبد الحميد إلى كتّابه أو إلى وليّ العهد عبد اللّه بن مروان على الجانبين الأخلاقيّ والسّلوكيّ. وكذلك كانت رسائله السّياسيّة أو تحميداته معتمدة على الحث على الحميد من الصّفات وطيّب المعاملة.

الصّفات الذّاتية للحاكم :

الصّلاح – الكرم – الصّدق – الحنكة – الوقار – الفطنة – الصّبر – الورع – التّقوى – الشّهامة – البرّ.

علاقة الحاكم بأعوانه وخاصة بالكاتب :

الصنيعة – المودّة – المياحة – المنالة – المحاباة – الصّلابة.

علاقة الحاكم بالرّعية :

الرّفق – الإنصاف – التّأليف – الحزم – الإحسان – الحلم – الشكيمة – العفو – الصّفح – الرّأفة – الصرامة.

الصّفات الذّاتية للكاتب :

الأدب – المروءة – الحلم – الرّويّة – الكرم – العفاف – الشّرف – الخير – الفضل – الأمانة – التّقوى

علاقة الكاتب بالحاكم :

الإحجام – الإقدام – كتمان السّر – المداراة – الحيلة – الاتقاء – الحدب – الطّاعة – الوفاء – النّصيحة – الاحتمال – الشّكر

علاقة الكاتب بالكاتب :

التّواضع – المواساة – الرّفق – التّقديم – المشاورة – التّعاطف – التّنافس

السّلوك والخلق السّلبي للحاكم :

الفساد – الكفر – الجهل – الجور – الغواية – الضّلالة – استحلال (الدّماء) – التّسكّع – الملال – التّهاون – الجهالة – آتباع الهوى – الجفوة – العجب – الغفلة – الإثيار – السّآمة – الزّهو – العجلة – اللّجاجة – البذاءة – الإغفال – البغي – التّيه – الصّلف – الخ ...

التنخّم – التّبصق – التنخع – الثّوباء – التمطّي – الجشاء – الخ...

السّلوك والخلق السلبي للكاتب :

التضييع – التّبذير – العجب – التّرف – الطمع – السّعاية – النميمة – الكبر – الصّلف – العظمة – السّقطة – الزلّة – الغضب – الغيّ – الحسد – الضّياع – الخ...

تدل هذه التدقيقات على مقدار اهتمام عبد الحميد الكاتب بالجانبين الأخلاقي والسلوكيّ في النّشاط الإداري والعمل السّياسيّ، ويصير هذا الاهتمام عاديّا إذا ما وضعناه في إطاره الحضاريّ – فقد عاصر عبد الحميد فترة وهن في الحكم كان للفساد الأخلاقيّ دور فيه وتمثّل في تكاثر السّعايات والمؤامرات وفي فساد التّسيير الإداريّ الّذي يتحمّل فيه بعض الموالي مسؤوليّة كبرى[1]

ونلمس في هذه التّدقيقات الأخلاقية تأثّرا بالقيم الإسلاميّة من جهة والتّراث الساسانيّ من جهة ثانية: فقد عرفت في هذا التّراث آثارا جليلة في موصوع السّياسة اعتبر بعض المهتمّين بالحضارة الفارسية أنها كانت مرجعا في تركيز الفكر الأخلاقيّ والسّياسي عند العرب. وأضاف أن هذه الآثار زادت في تقوية التّراث الإسلامي القليل في الموضوع[2]

ولعلّ أهمّ ما يستجلب النّظر في لغة عبد الحميد الأخلاقيّة ونزوعها إلى المثاليّة في تصوّرها لرجل السّياسية ولعلاقاته بأعوانه ورعيّته.

7- المصطلحات العسكريّة :

اقترن اسم عبد الحميد الكاتب برسالته إلى وليّ العهد عبد الله بن مروان بن محمّد وتمتاز هذه الرّسالة بثراء محتواها في موضوع سياسة الجند وطريقة تعبئته وأسلوب ملاقاته للعدو.

وتتبّع المادّة اللّغويّة لهذه الرّسالة يمكّن من الحصول على مجموعة من المصطلحات الحربيّة تخصّ بعض الرّتب والأسلحة والنّشاطات العسكريّة :

الرّتب والألقاب العسكريّة :

---

[1] - تاريخ خربوطلي صص 171 - 172

[2] - وهو أرثور كرستنسن في كتابه إيران في عهد الساسانيين، 418 والقول بأن التّراث العربيّ كان قليلا في الموضوع قول يدعو إلى الاضطراب . إن لم يكن القرآن والحديث النبويّ والخطب السّياسيّة مصادر أخلاقية وسياسيّة لا للكتّاب فقط وإنما أيضا لرجال الحكم أنفسهم

أمير الجند – أمراء الأجناد – القوّاد – صاحب الشرطة – صاحب الخيل – الحرس – الجند – الفرسان – الأعوان – الكماة – الثّقاة – الشّجعان – الجواسيس.

الأسلحة والعتاد :

العتاد – الوفر – العدد – المادّة – الآلة – الكراخ – الحديد – النّسخ – الحلق – المسامير – الركب – الطّبع – الصّوغ – المعاطف– البيض – الجنن – الشّفرات – المشحذ – الضّرائب – الجواهر – الصّفائح – القنا – الأسنان – النّبل – القسيّ – النّصول – الدّروع – الأسلحة – البنود – الأعلام – الرّماح – التّراس – الشّعار – الألوية – الجبب – الكنائن – المؤونة – العدّة – الجنّة – الدوابّ – الخيل – البراذين.

تنظيم الجند :

الفريق – الفئة – المراكز – المسلك –الطّلائع – الدّعامة – الحصن – السّيّارة – الدّرّاجة – الدّبّابة – المصافّ – الصّفوف – المقدّمة – الميمنة – الميسرة – السّاقة – الكردوس – القلب – الكمين – الكتيبة – الجريدة – الجمع – الجيش.

السّلوك العسكري وأعمال الحرب :

الحيلة – المكيدة – الحرب – الإنذار – اللّجوء – الأمان – الصّلح – المباعدة – المباغتة – الإطماع – الحذر – الغرّة – المسير – النّزول – الحملة – الكرّة – الاحتراس – الأهمية – اللقاء – الأمن – القوّة – الكمون – الرّصد – المقارعة – الأخبار – الاستخبار – الممالأة – الظّفر – القتال – الفرصة – الانتشار – الاضطراب – التقدّم المخاتلة – الفجآت – البغتة – المناجزة – الرّحيل – المواقعة –النّزال – الطّعان.

تشكّل هذه الألفاظ رصيدا لغويّا في موضوع السّياسة الحربيّة واجتماعها في رسالة عبد الحميد إلى وليّ العهد يدلّ على معرفته بخصوصيّات الجيش وتنظيم الجند وعلى اطلاعه الواسع باللغة العربيّة الّتي تكثر فيها المصطلحات الحربيّة وخاصّة في شعر الحماسة الجاهليّ والإسلاميّ وفي قصص أيام العرب والأمثال.

ويوحي تجمّع هذه الألفاظ في كتابات عبد الحميد بأنّ أدبا أو فكرا جديدا بدأ في التكوّن وهو النّظرية الحربيّة وستأخذ هذه النّظرية خطّها من الاهتمام بعد عبد الحميد الكاتب مع ابن قتيبة (كتاب الحرب من عيون الأخبار وفي فصول متعددة من أحكام الماوردي وسراج الملوك للكركوشي[1].

8– لغة العواطف والانفعالات :

[1] - يرى إحسان عباس في كتابه : ملامح يونانية في الأدب العربي صص 105 أن كثرة المصطلحات العسكرية لرسالة إلى وليّ العهد يمكن أن تغسّر بملازمة عبد الحميد لمروان بن محمد المعروف بجهوده في تنظيم الجيوش وفي سياسة الحروب. وفعلا أشار بعض المؤرخين إلى اهتمام مروان ابن محمد بأمور الحرب فيذكر المسعودي (مروج الذهب ج. 3 : 256) أنه "كان على ما هو فيه (من نكد بسبب هجوم جحافل العباسيين) يديم قراءة سير الملوك وأخبارها في حروبها من الفرس وغيرها من ملوك الأمم". ويقول طه حسين إن معرفة عبد الحميد بالسّياسية الحربيّة تعود إلى تأثره بوسائل الحرب اليوانيّة، انظر من حديث الشّعر والنّثر : 45 كما أورد القاضي سعدي أبو جيب في كتابه عن مروان بن محمد فصلا خاصّا بمعرفة مروان بن محمد لأمور الحرب وتعبئة الجيوش صص 84 – 106.

عاش عبد الحميد الكاتب حالات انفعالية عبّر عنها في رسائله. وتمثّلت هذه الحالات في تحمّسه للمواقف السّياسيّة الّتي اتخذها وفيما أضفاه من مشاعر تلقائية في مواعظه أو في رسائله الشخصيّة.

المواقف والحالات الانفعاليّة :

الوجد السّرور – الوحشة – الانس – الجدل – النّفقة – الكره – السرور – السّكن – الرّضا – الذمّ السّخط – الشّكوى الصّبابة – الغضب – الهوى (≠ العقل) – الخفّة – الخجل – المودّة – الوفاء – الطّيب (طيب النفس) – الفسحة (فسحة النفس) – الغيظ – الرّأفة – الإخاء – التّواصل – العشرة – المقّة – الصّفا – الطّرب – المرح – الفرح – الرّجاء – الرّقّة – الوجدان.

تعابير أخرى :

العناق – الرّشف – الأوطان – الإخوان – الولد – الصّاحب – العشير – الوالد – الأمّ – الطّفل – الصّبيّة – الحميم – الأنيسة – القرينة

ووجود هذه التّعابير في رسائل عبد الحميد يدرجها ضمن المساهمات الأولى في نشأة الإخوانيات. ويلاحظ أنّ هذه التّعابير مشحونة عاطفة بتقابلها من النقيض إلى النقيض بالحالات الوجدانية العميقة.

مسمّيات الطّبيعة :

تعدّ رسالة وصف الصّيد احتفالا لغويّا عرض فيه عبد الحميد صورا من الطّبيعة الحيّة. ونستمد من هذا الوصف بعض المسمّيات عن الحيوان والنّبات وبعض عناصر الطّبيعة الأخرى.

الحيوان وما تعلّق به :

الجوارح – الدواب – الخيل – البرذون – البغل – البزاة – الظباء – الثّعالب – الأرانب – الوحش – الآرام – الكلب – الصّقور – الشّواهين – حمير الوحش – البهيمة – البزّل – الضّواري – الأظفار – الأنياب – الكلكل – النّملة – الجناح – الخ...

النّبات :

الحبّة – الحنظل – الزّهرة – البقل – الأشجار – النوّار – الرّياض – الحبّة – الورقة...

الإنسان وما تعلق به :

اللّسان – الرّقاب – البدن – الوجه – القلب.

عناصر أخرى :

البرّ– البحر – الحرّة – الجونة – الرّعلة – الحزون – الوعر – الجدوب – القفر – الدكادك – الخناذيذ – الأحفار – الواد.

الصّباح – الإشراق – الشّمس – النّور – اللّيل – النّهار – السّماء – المطر – الأرض – الأعاصير – السّحاب – التّراب – الضّبابة – الغدير.

هذه المسميات – وخاصّة منها ما تعلّق بالحيوان والجماد – تذكر بلغة القصائد الخاصّة بوصف الصّيد والمعروفة بالطّرديات.

ولعلّ عبد الحميد استمد لغته الطّرديّة من الأرجاز الّتي ازدهرت في العصر الأويّ واهتمّت بوصف ملاهي الصّيد.

ونلاحظ تنوّعا في هذه المسمّيات لعلّ الهدف منه الوصول بالقارئ إلى المتعة البصريّة والحسيّة بدرجة تضاهي القصائد الشّعرية في الغرض – وهذا يؤول بنا إلى قول بعض النّقاد القدامى أنّ نثر عبد الحميد استطاع أن يفكّ رقاب الشّعر وأن يحرّر مقيّده إلى النّثر [1]

10- خاصّيات الرّصيد اللغويّ عند عبد الحميد :

إن تعديد هذه القوائم اللغوية في الصّفحات السّابقة لا يعني أن عبدّ الحميد كان الرائد في استنباط ما عرضناه من مصطلحات ومسميّات فاستقراء آثار الشّعراء والخطباء والأخبار يمكّن من استخراج أرصدة لغويّة مماثلة وثريّة. وما أردناه من تعديدنا هو قبل كلّ شيء لفت الانتباه إلى الجانب الوظيفيّ من كتاباته. فطالما نظر إليها النقّاد من زاوية أسلوبية بحتة فأشادوا بفنّياتها البلاغيّة وأهملوا مضمونها الفكريّ. فتحوّل عبد الحميد بهذا الاتجاه إلى كاتب في هموم بيانيّة بحتة[2]

إنّ هذه الأرصدة اللغويّة – مهما كانت مادّتها قليلة – تدلّ على عناية عبد الحميد بالوظيفة العمليّة لرسائله والمتمثّلة في خدماتها السياسيّة والإدارية. وكان اعتماده على المترادفات المتكاثرة دليلا على رغبته في إبلاغ معلومات كانت غير واضحة الوضوح الكافي لدى قرّائه.

والجدير بالذّكر أنّنا لا نجد ضمن هذه المصطلحات والمسمّيات اللفظ الحوشيّ أو الدّخيل – (ديوان) – فعبد الحميد رغم أصله الفارسيّ – كما أكّدت بعض المصادر – أصرّ على عرض أفكاره في لغة عربيّة المنشأ سهلة التّداول وقريبة من الأفهام. ويكون استجاب بهذا إلى شرطه في البلاغة القائل أنّها ما رضيته الخاصة وفهمته العامّة وإلى شرطه في الكلام بأنه ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا.

وكانت أرصدة هذه المصطلحات متنوّعة المصادر فمنها ما كان مستمدّا من الشّعر العربيّ ومنها ما كان إلى القرآن أقرب ومنها ما تداولته أخبار الحروب والغزوات أو مواعظ الخطباء والرّسائل السّياسيّة[3]. ولا نعتبر أنّ ردّ كلّ استعمال إلى أصوله الدّقيقة عمل يجب أن نخضعه للإحصائيات الدّقيقة والقوائم المفصّلة فألفاظ اللغة أوسع من أن تنضوي ضمن عمليات حسابيّة.

V- الجملة عند عبد الحميد

[1] - صبح الأعشى، ج. 1 : 282

[2] - يقول مثلا عمر فرّوخ في تاريخ الأدب العربي، ج. 1 : 12
"ومضى عبد الحميد يدبّج رسائل أدبيّة لا يقصد بها إلى سياسة إنّما يقصد بها إلى الأدب من حيث هو فنّ جميل"

[3] - انظر الفصل الخاصّ بالمصادر والمؤثرات الأساسيّة في كتّابات عبد الحميد ص 184 – 201 من هذا البحث

1- منطلقات البحث :

اعتبرت الاتّجاهات المعاصرة في دراسة الأدب أنّ من أولى المبادئ الّتي يجب الالتزام بها في علم اللغة الحديث هو أن تتّخذ الجملة أساس كلّ بحث نحويّ وأن تكون بداية كلّ وصف لغويّ ونهايته[1].

وتجاوز العناية باللفظ المفرد إلى الاهتمام به مركّبا يرمي إلى إدراك العلاقة الّتي تربط بين عناصر الكلام المفيد وإلى فهم التغيّرات الّتي تلحقه في المعنى عند تغير أشكال تركيبه.

واتخذت بعض البحوث النقدية الجملة منطلقا لتحديد الهندسة الشّكلية للنّص الأدبية ولفهم خاصّيّاته اللغويّة. ونفذت – من هذه الزّاوية – إلى استنتاجات كثيرة تمسّ بالمقاصد الفكريّة والنّوازع العاطفيّة في هذه النّصوص[2].

واتجه المنظّرون الألسنيّون المعاصرون إلى تأكيد قيمة الوحدة الجمليّة Unité Syntaxique كدلالة قائمة الذات ومستقلّة لمدلول هو بدوره متكامل. لذلك يسمح وصف هذه الوحدة بالتخلّص من الذّوقيّة والانطباعيّة في فهم المدلول ونقده وتأويل معانيه، ويمكّن هذا الوصف بالتّالي من الوصول إلى ملاحظات وآراء لها صفة الاستنتاج المركّز. فترتيب الكلمات داخل الجملة على صورة ما هو تشكيل مخصوص للجزئيّات المعنويّة الصّغرى أملاه حرص الكاتب على الوصول بالقارئ إلى مقصد مميّز في النّوع.

ونجد – في هذا المجال – أنّ الغرض من افتتاح الجملة بفعل يختلف عن توسّطه فيها أو انتهائها أو خلوّها تماما منه. وكذلك يغاير بناؤها على التّركيب التّلازمي بناءها على الاستفهام أو التعجّب.

وهذا الفصل والفصل الموالي هو محاولة نظر في خاصيّات الجملة ومساهمته في تطوير النثر العربيّ. والبحث في رسائله من هذه الزّاوية يندرج ضمن الاهتمام بالتغيّرات الشكليّة للنّثر العربيّ وخاصّة منها تغيّره من الخطابة إلى الكتابة ومن الرّواية إلى التّدوين ومن بداهة الارتجال إلى استغراق الإعداد ومن البساطة إلى التّعمّق.

واعتمدت في هذا الفصل على مجموعة من فقرات الرّسائل[3] فتّتتها إلى مكوّناتها الجمليّة الأساسيّة ثم حاولت أن أحدّد الخاصيّات الغالبة في هذه الجمل وأن أتبيّن ما إذا كانت هذه الخاصيّات تكشف عن خفايا في مستوى المعاني.

---

[1] - عن مقال : الجملة في نظر النحاة العرب، للدكتور عبد القادر المهيري. حوليّات الجامعة التونسية عدد 3 ص 35.
-وعدّ الأستاذ البشير بن سلامة أن الكتاب الغرس المولدين ومنهم عبد الحميد الكاتب أدخلوا تطويرا على الجملة العربيّة يحتاج إلى دراسة مقارنة – جذية – انظر

[2] - من ذلك مثلا تحليل نصّي للفصل الأول من كتاب طه حسين، الأيّام بقلم أستاذة التاريخ الاجتماعي للإسلام في المعهد الفرنسيّ collège de France أوديت بيتي، ترجمها بدر الدينعردوكي، ونشرت بمجلة المعرفة (السورية)، عدد 182. 1977 وربط التّحليل المذكور بين نفسيّة المؤلف المتشائمة وبين نوعيّة الجمل البسيطة والأزمنة المستعملة

[3] - اعتمدت على الرّسائل والفقرات الواردة في الجدول التّالي:

وتتبّعت الجمل معتبرا الفروق فيما بينها من حيث التركيب ومن حيث المقصد.

* فمن حيث التّركيب قسّمت هذه الجمل إلى :

- جملة بسيطة
- جملة مركّبة
- جملة متلازمة : شرطية أو ظرفية أو شرطية ظرفيّة

* من حيث المقصد : قسّمتها إلى

- جملة إخبارية عن حالة ثابتة وهي عادّة اسميّة.
- جملة إخبارية عن حدث وهي عادة فعليّة [1]
- جملة إنشائية دالّة على أمر أو نهي واستفهام أو دعاء الخ...

2- التوزيع الإحصائيّ للجمل:

جدول عدد 7 المادة النّصيّة لإحصاء الجمل

ع/ر	الرسائـــــــــــــــل	الفقرات	الصّفحات
1	رسالة إلى الكتّاب	4 – 5 – 6 - - 7 - 8	227-225
2	رسالة إلى وليّ العهد	29- 30- 31- 32- 33	265-262
3	رسالة في الشطرنج	2 – 3	316-315
4	رسالة في الطّاعة	2 – 3	321-320
5	رسالة في الإخاء	2 – 3	338-337
6	رسالة ف وصف الصيد	3 – 4	343-342
7	تحميد في تعظيم أمة الإسلام	1	344
8	تحميد في فتح	فقرة وحيدة	347
9	رسالة إلى أخيه	فقرتان وحيدتان	352-351
10	رسالة إلى مروان في حاجة	فقرة وحيدة	360
11	رسالة إلى أهله	فقرتان وحيدتان	355-353
	الجملة	25 فقرة	

[1] ـ لا يخلو تقسيم الكلام العربيّ على جمل فعليّة وأخرى اسميّة من صبغة شكليّة فمن الجمل المبتدئة باسم- أو الاسمية حسب الاصطلاح النّحوي – ما يدلّ على الفعل والحدث المتجدّد (الولد أتى – الولد آتٍ) كما عدّ الكثير من دارسيّ اللغة في عصرنا أن الجملة الفعليّة ليست ما تصدّرها الفعل ولكن ما كان فيها الفعل طرفا في الإسناد تقدّم أو تأخّر.
أنظر : إبراهيم السّامرائي، فقه اللغة المقارن ص 54.
-مهدي مخزومي، في النّحو العربيّ ص 93 وما بعدها
-عبد القادر المهيري في مقاله : مساهمة ف تحديد الجملة الاسمية, حوليّات الجامعة التونسية عدد 5//1968 ص.7 وما بعدها.
وقد عاني هذا إلى أن أضمّ إلى الجمل الفعليّة تلك التي عبّرت عن فعل جديد وإلى الاسميّة تلك التي دلت على حدث ثابت.

جدول عدد 8 التّركيب

تركيب الجملة	تواترها	نسبتها
جملة بسيطة : ذات شق واحد	62	40%
جملة مركّبة : ذات شقّين وأكثر	72	46%
جملة متلازمة	22	14%
الجملة العامّة	156	100%

جدول عدد 9 : المقصد

الغرض	تواترها	نسبتها
جملة إخباريّة عن حالة ثابتة	24	16%
جملة إخباريّة عن حدث متغيّر	91	58%
جملة إنشائيّة	41	26%
الجملة العامّة	156	100%

جدول عدد 10 : العناصر الثّانية للجمل المركّبة

نوع العنصر الثّاني	التّواتر	النّسبة
عنصر لازم	21	29%
عنصر فضلة	51	71%
الجملة العامّة	72	100%

جدول عدد 11 : وظائف العناصر الثّانية اللاّزمة في الجملة المركّبة

الوظائف	التواتر	النسبة
فاعل	8	38%
مفعول به	7	33%
مبتدأ	2	10%
خبر	4	19%
الجملة العامّة	21	100%

جدول عدد 12 : وظائف العناصر الثّانية الفضلة في الجمل المركّبة

الوظائف	التّواتر	النّسبة
النّعت	2	4%
الحال	34	66%
الجملة المقترنة بحرف جرّ	4	8%
الواقعة موقع مضاف إليه	3	6%
الجملة الموصولة	8	16%
الجملة العامّة	51	100%

جدول عدد 13 : توزيع الجمل المتلازمة

نوع الجمل المتلازمة	التّواتر	النّسبة
الجمل الشّرطيّة	12	55%
الجمل الظّرفيّة	6	27%
جمل شرطية ظرفيّة	4	18%
الجملة العامّة	22	100%

جدول عدد 14 : توزيع الجمل الإنشائية

الغرض الإنشائي	التّواتر	النّسبة
الأمر	21	51%
النّهي	12	30%
الدّعاء	7	17%
الاستفهام	1	2%
نداء / تمني / رجاء / ...	0	0%
الجملة العامة	41	100%

3- الجملة البسيطة والجملة المركّبة :

يتبيّن من الجدول الأوّل أنّ الجمل المركّبة هي الأكثر استعمالا ولعلّ السّبب في هذا هو تعقّد للمضمون الّذي عمل عبد الحميد إلى إبلاغه فتركيب الجملة من فرعين أو أكثر يمكّن من تفسير فكرة غامضة أومن تعليلها أو من تحديد نواحي وصفيّة معينة. والمعروف عن عبد الحميد

أنّه خاطب – برسائله – أشخاصا عاينهم يوميّا بصفته رئيسا للدّيوان أو كاتبا للخليفة. فكان خطابه خطاب معلّم يعرض ما جدّ من التّراتيب الدّيوانية أو ما تشعّب من الآداب السلطانية.

ويمكن القول إن تركيب الجملة المركّبة فيما أحصيناه كان على شكلين أساسيين:

أ– **شكل عموديّ** : وفيه يرتبط أصل الجملة بمجموعة من الجمل الفرعيّة المعطوف بعضها على بعض. وفي هذا الشّكل يمكن الاكتفاء بجملة فرعيّة واحدة بدون أن يختلّ التّركيب (وما ينقص هو التّدقيقات المعنويّة الإضافية التّابعة للفرع الأول إذ عادة ما تكون الجمل المتفرّعة عن الأصل متشابهة أو متقاربة المقصد أو عارضة للمعنى من جوانبه المختلفة)

مثال أوّل :

1) اعلم :

2) أنّ كلّ أهوائك لك عدوّ

3) يحاول هلكتك

4) ويعترض غفلتك

فالفرعان (3) و (4) يؤدّيان نفس الوظيفة النّحوية ويعرضان معنى واحدا من جانبين مختلفين (3) = مآل اتّباع الهوى / و (4) عمل الهوى في الإنسان) ...

مثال ثان :

1) فإن أولى

(2) ما اعتزم عليه ذوو الإخاء

(3) وتواصل عليه أهل المودّات

(4) ما دعا أسبابه صدق الهوى

(5) ودعّمت دعائمه على أساس البرّ

(6) ثم انهد البناء عزيز التّواصل

(7) وشيّده مستعذب العشرة

الفرعان (2) و (3) جملتان واقعتان موقع مضاف إليه وتؤدّيان معنى واحدا. فالاستغناء عن إحديهما لا يؤثّر في المعنى الجملي.

والفروع (4) و (5) و (6) و (7) – وهي أخبار إن معطوفة على بعضها البعض تؤدّي كذلك معنى وحيدا تقريبا وهو السّريرة الطيّبة الّتي يقوم عليها الإخاء.

ولا بأس من الاكتفاء بأحدها فإنّ تكاثرها لا يعدو أن يكون تلوينا وتجنيسا معنويّا.

مثال ثالث :

(1) الحمد لله الّذي :

(2) اصطفى الإسلام دينا

(3) ورضي شرائعه

(4) وبيّن أحكامه

(5) ونوّر هداه

(6) ثم كنفه بالعزّ المؤيّد

(7) وأيّده بالظّفر القاهر

(8) وآزره بالسّعادة المنتجبة

تكرّرت صلة الموصول في الجملة السّابقة سبع مرات- ووضّح عبد الحميد بهذا التّكرار الأطوار الّتي مرّ بها الدّين الإسلامي في تركيزه وهي الدّعوة والتشريع والانتصار إلخ...

ويكفي في الحقيقة ذكر طور واحد منها لحمد الله عليه. إلاّ أن عبد الحميد استغل إمكانيات هذا التركيب الأفقي لعديد مواطن حمد أخرى نستطيع نحن – بدورنا – أن نضيف إليها مالا يقف عند نهاية. والاكتفاء بإحدى هذه الصّلات لا يمسّ الصحّة النّحوية للتّركيب.

ب- **شكل أفقي:** وتكون أجزاء الجملة ضمن هذا الشّكل عناصر مترابطة ببعضها البعض. وتتكاثر هذه الأجزاء متفرّعة الواحد عن الآخر فتطول الجملة الكبرى إلى ما يشاء لها الكاتب من الطّول. فالأصل يتفرّع عنه فرع. وهذا الفرع يستحيل، إلى أصل لفرع ثان... ويتوالى تولّد الفروع عن بعضها البعض كأغصان الشّجرة. ويمكن أن تكون هذه الفروع عناصر لازمة لسابقاتها كما يمكن أن تكون عناصر متمّمة لها.

جملة ذات شكل أفقي:

وليكن	أول	ما	يتقدم به في التهيء لعـدوك والاستعداد للقائـــــه	انتخابك من فرسان عسكرك وحماة جندك	ذي البأس والقوة والحنكة والجلد والصرامة	ممن	قد اعتاد طراد الكماة وكثير من ناذجه في الحرب وقام على ساق في منازلة الأقران	مستجمع القوة مستحصد امريرة صبوراً على أهوال الليل عارفا بمناه الفرس لم تمهنه الحنكة ضعفا ولا بلغت به السن كلالا ولا أسكرته غرة الحداثة جهلا ولا أبطرته نجدة الإغمار صلفا جريئا على مخاطرة التلف مقدما على ادراع الموت راكبا لمرهوب الهول متقحما مخشي الحتوف خائضا غمرات المهالك	برأي ونية	يؤيده الحزم لا يخالجها الشك
خبر كان				اسم كان : مؤخر						
	جملة موصولة، مضاف إليه									
			صلة الموصول							
						جملة موصولة، مفعول به للمصدر، انتخابك				
							صلة الموصول			
								جملة حالية		
										جملة نعتيّة

ويتبيّن من الجدولين عدد11 و 12 أنّ تعد يد الجمل الفرعيّة كان معتمدا أساسا على عرض المعاني المتجزّئة.

وكانت أكثر الجمل الفرعيّة تواترا الجمل الواقعة موقع الحال (وكان الأمر شبيها بالنّسبة للكلمات الواقعة حالا)

مثال أول :

"ثمّ ملنا يا أمير المؤمنين بهداية دليل قد أحكمته التّجارب، وخبر أعلام المذانب إلى غدير أفيح وروضة خضرة، مملوءة من أنواع الطّير لم يذعرهنّ صائد، ولا اقتنصهنّ قانص، فخفق لها بالطّبول، ثم آنبرت البزاة لها صائدة، والصّقور كاسرة، والشّواهين ضارية، يرفعهن الطّلب لها، ويخفضهن الظّفر بها"

مثال ثان :

انظر الأحوال المفردة والجمل الفرعيّة الحاليّة الواردة في الصّفحة السابقة وفيها: 9 أحوال مفردة و4 جمل حاليّة معطوفة كلّها على بعضها البعض (ما فوق السهم)

مثال ثالث (أحوال مفردة خاصّة)

وابدأ بالإعذار إلى عدوّك ... آخذا بالحجّة عليهم

متقدما بالإنذار لهم

باسطا أمانك لمن لجأ إليك منهم

داعيا لهم إليه بألين لفظك..

متعطّفا برأفتك عليهم

مترفّقا بهم في دعائك

مشفقا عليهم من غلبة الغواية لهم..

منذرا رسلك إليهم

تعدهم اطاء كل رغبة يهشّ

إليها طمعهم... وبسط كل أمان سألوه لأنفسهم

موطنا نفسك فيما تبسط لهم...

قابلا توبة نازعهم إلى الضلالة إلخ...

إنّ تكاثر هذه الاستعمالات يؤكّد تفضيل عبد الحميد لاستعمال الحال كطريقة يصل بها إلى تفصيل المقاصد وتقليب المعنى الواحد على وجوهه المختلفة. وهي طريقة غير مألوفة في النّثر العربيّ المعروف باقتضاب جمله واعتمادها على اللمحة السّريعة والمؤثّرة كما يتبيّن في الخطب والرّسائل الإسلاميّة الأولى.

وأثارت هذه الطّريقة اهتمام الدّكتور طه حسين فاعتبرها خاصّية عند عبد الحميد "فهو إذا كتب أسرف في استعمال الحال، والحال معروفة في العربيّة، وهو لا يقتصد في استعمال الحال وإنما هو يعتمد عليها في تحديد فكرته وتوضيحها وتقييدها، وتجميل الكلام وإظهار الموسيقى."[1]

ولعلّه تأثر في هذا بكتابات صهره سالم مولى هشام ابن عبد الملك الّذي أثرت له كتابات فيها إكثاره استعمال الحال جملة أو مفردا كطريقة في التّعبير عن المعاني الدّقيقة.

يقول سالم في بعض رسائله: "أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم ما ذكرت من تسليط (خالد)عليك لسانه في مجلس العامّة مستحقرا لقدرك، ومستصغرا لقرابتك بأمير المؤمنين... فكاتب أمير المؤمنين فيما بدا لك مبتدئا ومجيبا ومحادثا وطالبا... مستمنحا ومسترفدا وطالبا مستزيدا، تجد أمير المؤمنين إليك سريعا بالبرّ"[2].

وأضاف الدكتور طه حسين أنّ "استعمال الحال على هذا النّحو من خصائص اللغة اليونانيّة ومن الأسباب الّتي يعتمد عليها اليونان في تحديد معانيهم"[3] واستنتج كذلك أنّ عبد الحميد "كان شديد الاتّصال باليونانية ذلك لأنّ مدارس الأدب اليونانيّة كانت منبثّة في الشّرق كلّه.

ولم يقتصر عبد الحميد الكاتب على استعمال الحال أو الجملة الحاليّة في بناء الجملة المركّبة[4] فقد لجأ إلى الجمل النّعتيّة والموصولة والمقترنة بحرف جرّ وإلى الجمل الواقعة فاعلا ومفعولا به وخبرا لاسم أو لناسخ. وهي كلّها عمليّات استغلال للإمكانيّات المختلفة للغة العربية في مستوى التّركيب تهدف إلى تنويع المحتوى المعنويّ للنّص.

يقول الأستاذ عثمان الكعّاك واصفا تركيب إحدى فقرات رسائله ـ:"تولّت الجملة البسيطة الأصليّة من فعل وفاعل ومفعول به إلى جملة مركبة ابتدائية، مؤلفة من عدّة جمل مرتبطة بالبدليّة وهي تتألّف هي نفسها من جمل قصيرة مرتبطة بالعطفيّة، ثم هو ربط بين القسم الصّاعد من الجملة والقسم الحادر منها بواسطة المفعول المطلق لكن تلاعب في تصرّفه هذا فجعل القسم الأوّل طويلا مركّبا متشعّبا، ثم بلباقة ربطه بالقسم الثّاني بواسطة المفعول المطلق الّذي بدا لنا خفيف الظّل.[5]

---

[1] ـ من حديث الشعر والنثر ص 42

[2] ـ كتاب هشام إلى ابن هعمرو، جمهرة رسائل العرب. ج. 2 : 412 – 413. ولم يذكر أحمد زكي صفوت كاتبها ويقول الدكتور إحسان عباس في ملامح يونانية في الأدب العربي"، ص : 102. "وجاءت هذه الرّسالة مقترنة باسم سالم مولى هشام بن عبد الملك في كتاب العطاء الجزيل في كشف غطاء التّرسيل لمحمّد بن أحمد البليّ الأنجلسي، وهو يضم مجموعة من رسائل المشارقة والمغاربة موزعة على أبواب مختلفة. وهذا الكتاب موجود بالخزانة الملكية بالرباط (رقم 6148) ... (مخطوط)

[3] ـ من حيدث الشّعر والنّثر، ص: 44.
واستبعد عبد الحكيم بلبع (النّشر الفنيّ وأثر الجاحظ فيه، ص : 129) . أن يكون استعمال الحال تأتى من اليونانية أو غيرها من اللغات. وقال إنه يمكن أن يعلل بإيثار عبد الحميد للوصف والموسيقى الصّوتيّة المتوفّرة معه.

[4] ـ يقول الدّكتور حسين نصار ك (نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربيّ. ص 104 " ولكننا لا نحب أن نعطي لهذه الظاهرة أكثر مما تستحق فإنّ عبد الحميد لا يكثر منها وحدها بل لعله يأتي ببعض الصّيغ الأخرى أكثر مما يأتي بها. فتراه يكثر من التّفضيل والتّمييز والمفعول المطلق، والمفعول لأجله وأساليب العلة ومما لا شكّ فيه أن صيغة التّفضيل مع التمييز أكثر دورانا في كتاباته من الحال" والواضح أنه يعني بالوظائف المذكورة للمفردات لا للجمل)

[5] ـ عبد الحميد الكاتب، عثمان الكعّاك: ص 22

ووصف الدكتور إحسان عباس هذا الإكثار من الجمل الفرعيّة داخل الجملة الكبرى الواحدة بأسلوب الأناة الفكرية حيث يعمد الكاتب إلى الامتداد بالجملة قبل أن يبلغها غايتها"[1].

ويبقى تكثيف المعنى وتعديد جوانبه وشرح غوامضة اعتمادا على الجملة المركّبة من جمل متعدّدة وسيلة قلّما تواترت في نصّ نثريّ كما تواترت في رسائل عبد الحميد. ولعلّ أكثر دواعي هذا المذهب هو رغبة كاتبنا في السيّطرة على الكميّة الهائلة من المعارف والتّراتيب الّتي عمل على إبلاغها .

الجمل المتلازمة :

وردت الجمل المتلازمة في مناسبات متعدّدة. وهذا النّوع من الجمل يؤدي أيضا وظيفة تعليميّة. واستعملها عبد الحميد عند عرضه لما كان يرتئيه من نتائج تلحق بأسباب افترضها أو بأسباب فرضها العصر والأوضاع:

(1) وإن نبا الزّمان بأحد منكم – فأعطفوا عليه وواسوه

(2) وإن أقعد الكبر أحدكم – فزوروه

(3) فإن تتمّ البليّة إلى أقصى مدّتها – يكن آخر العهد بكم وبنا

(4) وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم

– نرجع إليكم بذلّ الإسار

– وكثيرا ما يلجأ عبد الحميد إلى الإكثار من جمل الجزاء لشرط واحد بغية الوصول بقرائه إلى استكمال جميع النّتائج الممكنة للافتراض الواحد.

(1) إن كان أحد من أعوانك ... تأمنه على مشورتك

– فإيّاك والإقبال عليه في كلّ حادث يرد عليك. وأن تريه أنّ بك إليه حاجة.

هذه الجوامع خصال قد لخّصها لك أمير المؤمنين مفسّرا

(1) فقف عند أوامرها

(2) وتناء عن زواجرها

(3) وتثبّت في مجامعها

(4) وخذ بوثائق عُراها

(5) تسلم من معاطب الرّدى

(6) وتنل أنفس الحظوظ ومزيّة الشّرف وألمع درج الذّكر

(7) وتوتل سطوة العزّ

فجمل الجزاء (5) و (6) و (7) كلاها جواب واحد للشرط المتكرّر في الجمـــل (1) و (2) و (3) و (4)...

---

[1] - ملامح يونانية في الأدب العربي 103

5- الجملة الفعليّة والجملة الاسميّة :

* كانت الجمل الفعليّة المعبّرة عن أحداث متغيّرة في الزّمن هي الأكثر نسبة إذا قارناها بالجمل الّتي تصف حالات ثابتة (91 مقابل 24) ولئن فسّر بعض الباحثين كثرة الجمل الفعليّة بميل العربيّ على الاهتمام بالحدث[1] فإن مضامين رسائل عبد الحميد تستدعي بحكم مواقعها هذه الجمل أكثر من غيرها وذلك بصفتها تبسط للقرّاء سلوكا جديدا في العمل والأخلاق وتعرض عليهم تجارب لم يعهدوا عمقها وخطرها في السّياسة.

أمثلة :

(1) فأكبر أمير المؤمنين ذلك

وأعظمه،

وكرهه

واستكبره (رسالة في الشطرنج)

(2) ولا تبدرن منك فرطة في عقوبة

ولا تعجل بسوء الظنّ

واستنزل نصائحهم

وابسط من آمالهم (رسالة إلى ولي العهد)

(3) ثمّ اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكرك

ثم اكشف مع الجمع

وأيّده بالقوّة

وقوّه بالظّهر

وأعنه بالأموال

واعمده بالسّلاح

ومره بالعطف على ذوي الضّعف. (رسالة إلى ولي العهد)

ولجأ إلى الجمل الفعليّة في وصفه للأحداث السّريعة.

أمثلة :

(1) ثم قادونا يا أمير المؤمنين إلى أرض وهف لنا صيدها بالكثرة...

---

[1] - يرى علي الجارم "أن العقليّة العربيّة تقتضي أن تكون الجملة الفعليّة الأصل والغالب الكثير في التعبير لأنّ العربيّ جرت سليقته ودفته فطرته إلى الاهتمام بالحدث في الأحوال العاديّة الكثيرة..."
مجلة مجتمع اللغة العربية بالقاهرة ج. 7 : 317 . ذ
نقلا عن : في النّهو العربيّ لمهدي مخزومي : 101.
ويرى إبراهيم السّامرائي أن طريقة الإحصائيات الحديثة تؤكد هذه الكفرة. فقه اللغة المقارن. ص 55.
وكان البلاغيّون يذهبون هذا المذهب في التفريق بين الجملة الفعليّة والجملة الاسميّة. انظر مثلا فصل: "في الخطاب بالجملة الفعليّة والخطاب بالجملة الاسميّة المؤكدة بأن المشدّدة: وذلك في كتاب : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور. ص 224 وما بعدها.

فزلّ واصفها عن الطّريقة، واعتمد على غير الحقيقة، فأتيناها. ولم نر صيدا ولا عشبا، فجعلنا نسلك منها حزونا

(رسالة في وصف الصّيد)

(2) إذا تدانى الصفّان وتواقف الجمعان واحتضرت الحرب وعبّأت أصحابك لقتال عدوّهم فأكثر من قول : "لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العليّ العظيم"

(رسالة إلى ولي العهد)

* واستعمل عبد الحميد الجمل الاسمية أثناء تأكيده على مسائل سلوكيّة وأخلاقيّة ثابتة القيمة أو عند الإدلاء بأحكام عامّة وحقائق قارّة شبيهة في ثباتها بالحكم والأمثال المرسلة[1]

أمثلة :

(1) وأناتك فوقها الملال وفوت العمل،
ومضائتك درعها رويّة النّظر واكتنفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة
وصمتك فانسف عنه عيّ اللفظ

(رسالة إلى ولي العهد)

(2) الشكر على النّعمة
والصّبر على النّكبة
وتأدية الحقّ... من استعمله كان شكر الله أولى به من صبره

(من رسالته في التعزية)

(3) إن الكتّاب قليل،
والمتسمّون بالكتّاب كثير،
والعلم معين على نفسه من أخذه

(4) الحمد لله، العليّ مكانه
المنير برهانه
العزيز سلطانه
الثابتة كلماته
الشّافية آياته
النّافذ قضاؤه
الصّادق وعده

---

[1] - يرى علي الجارم أن العربيّ قد يلتجأ إلى الجملة الاسمية لمجرد التأكيد على الاسم المبتدأ به.
نقلا عن، فقه اللغة المقارن ص 55
ويذهب أميل بنفنيست Emile Benveniste إلى انّ الجملة الاسمية هي التي تسلد إلى موضوع الكلام صفة لا تخصّص بزمان... ويفسّر استعمالها للاحتجاج وتقديم الأدلة لا لسرد الأخبار واستعراض الأحداث.
نقلا عن مقال : "مساهمة في تحديد الجملة الاسمية، للدكتور عبد القادر المهيري، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد 5 : 7 - 8

الّذي قدر على خلقه بملكه

6- الجمل الإنشائيّة

أقام عبد الحميد جانبا كبيرا من مراسلاته على الأمر والنّهي. فلا نكاد نقرأ القليل منها من غير أن يعترضنا ناهيا عن خلق أو آمرا بفضيلة أو داعيا بدعوة لطيفة. فهو حاضر معنا يخاطبنا خطاب الأب النصوح الّذي لا يصبر على أخطاء بنيه فيتعهّدهم بتصويب جديد بدر منهم الخطأ أو لم يبدر.

وكانت الأوامر هي الأكثر تواترا ولعلّ هذا يرجع إلى الطّبيعة التّعليميّة للكثير من رسائله وخاصّة إلى الكتّاب وإلى وليّ العهد. كما أنه يتوجّه إلى مخاطبيه – في رسائله الدّيوانية والسّياسيّة من موقف الرّئيس والموجّه فتراه يرشد ويخيّر ويهدّد وينفّر...

أمثلة :

(1) فتنافسوا يا معشر الكتّاب في صنوف العلم والأدب

وتفقّهوا في الدّين،

وابدأوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ

ثمّ أجيدوا الخطّ

وآرووا الأشعار

وآعرفوا غريبها

(رسالة إلى الكتّاب)

(2) احذر تضييع رأيك وإهمال أدبك

– فلا يزد هينّك إفراط عجب

– وليكن لك من نفسك ظهريّ صدق تتحرّز به من آفات الرّدى (رسالة إلى وليّ العهد)

(3) فآذن بذلك، (بمنع لعبة الشطرنج) فيهم

وانشده في أسواقهم.

وأوعز إليهم فيه

وأعظمهم عمّا لهجوا به.

(رسالة في الشّطرنج)

وكانت النّواهي شبيهة بالأوامر في طريقتها وكثرتها وكذلك في غايتها. فقد عمل عبد الحميد على إصلاح أخطاء كثيرة اعتمدها أهل الإدارة والحكّام في عصره أو هو حذّر من عادات أخلاقيّة سيّئة اعتادها النّاس في أمورهم العامّة ولكنّها لا تحتمل ولا تحمد عند أولي الأمر. ولم تخل هذه النّواهي من الشّدّة بحكم مركز القوّة الّذي يكتب عبد الحميد من منطلقه:

أمثلة:

(1) ولا يجاوزنّ الرّجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه قدر حقّه...
ولا يدعونّ الرّجل منكم صنع الله له ذكره في أمره... إلى العجب ولا يقل أحد منكم أنه آدب وأعقل...
(رسالة إلى الكتّاب)
(2) وإيّاك أن يغمز فيك أحد من حامتك بضعفة...
ثم إياك أن يفاض عندك بشيء من الفكاهات...
ثم إياك أن يصل إليك أحد من جندك بمسألة...
(رسالة إلى وليّ العهد)

7- ملاحظات من جملة عبد الحميد :

نتبين من مجموعة الأمثلة والملاحظات السّابقة أنّ عبد الحميد الكاتب حرص دوما على التريّث في بسط أفكاره وعلى تفصيل التّوصيات والمعلومات الّتي مدّ بها مخاطبيه. فالجملة الواحدة تتمدّد من أوّل الفقرة إلى آخرها أحيانا وذلك في جمل صغرى متفرّعة عن بعضها البعض الواحدة تلو الأخرى فنجهد النّفس أن نتتبّعها وأن لا ننسى نقطة الإنطلاق.

والرّجوع إلى النّثر قبل عبد الحميد لا يمكّن من العثور على مثل هذا المذهب في تركيب الجملة – القرآن – وخاصة منه ما نزل قبل الهجرة كان مقتضب الجمل، سريعا في عرض الأوامر والنّواهي. وكذلك الخطب السّياسية في السّنين الأولى للإسلام تميّزت بدقّة المقاصد والعجلة في عرضها والقوّة في إبلاغها إلى المستمع.

ولعلّ أقوى الأسباب الّتي دعت بعبد الحميد إلى الإغراق في إطالة الجملة هو رغبته في التّعبير عن مسائل أجنبية عن الفكر العربيّ وحرصه على إيصالها إلى القارئ العربيّ مهما كانت درجة تعقّدها ودقّتها. ولعلّ عبد الحميد كان متأثّرا في مذهبه النّثري هذا بسالم مولى هشام وبما عرف في النّثر الفارسي من إطناب في مستوى تكرار الأفعال والألفاظ والجمل[1]

وعبد الحميد نفسه سمح بالإطناب عند الحاجة[2]

وكم كانت حاجة عبد لحميد إليه كثيرة

[1] - ابن المقفع، لمحمّد غفراني الخراسانيّ : 487
وانظر الفصل الخاصّ بالمصادر والمؤثرات الأساسيّة في كتابات عبد الحميد، البحث صص 184-201
[2] - رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 11

VI- البلاغة في نثر عبد الحميد

1- نظرة القدامى والمعاصرين لبلاغة عبد الحميد ومحاولة تأطير البحث

يفرض العمل في ديوان الإنشاء على الكاتب قيودا مهنيّة متعدّدة لها تأثيرها في نوعيّة كتابته. فهو مختصّ بالسّكان ومرتبط بتقاليد في العمل ومنفّذ لتعاليم دقيقة تمليها مصالح الأمّة. وأقصى حريّة كاتب الإنشاء هي أن يغيّر الصّورة اللفظيّة للمعاني المسؤول عن إبلاغها وعلى هذا الأساس، لا بدّ من التّفريق بين مهمّة الكاتب الدّيوانية وبين مساهمته كأديب أو بين كاتب الإنشاء ومنشئ الكتابة فالأوّل مطالب بالاتّباع، أمّا الثّاني فدوره – على العكس – هو الإبداع.

*ويبدو أنّ عبد الحميد الكاتب قد شعر بهذه القيود شعورا عميقا فعمل على التخلّص منها بتخليص كتاباته من أثقال العادة وإكسابها بعض الخصوصيّات البلاغيّة الجديدة. ولنا في أخباره إشارات تنمّ عن رغبته في التّحرّر من وضعيّته المهنيّة الّتي لم تكن تسمح له بأكثر من تنفيذ الأوامر.

يقول ابن عبد ربّه[1]:"وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قوّاده بغلام أسود. فأمر عبد الحميد أن يكتب إليه يلحاه ويعنّفه فكتب وأكثر فاستكثر ذلك مروان وأخذ الكتاب وقّع في أسفله:"لو وجدت لونا شرّا من السّواد وعددا أقلّ من الواحد لأهديته والسّلام".

فعبد الحميد حاول إذن أن يتفنّن في لومه وتعنيفه بما يزيد في خزي هذا القائد الثّقيل الظّلّ. ولا شكّ أنّه صبّ في إطنابه عصارة من إبداعه. ولكنّ ذلك ما كان مألوفا عند قرّاء اعتادوا الكلمة الجارحة الشّبيهة بطعنة السّيف الحادّ ولعلّ ما أغرق عبد الحميد في توليده من معاني التّقريع البعيدة الغور أن يأخذ حظّه من القراءة- فلئن كان للعرب مقدرة خاصة على التّقريع فهي بالشّعر ألصق. ولم يصبر مروان على طول الكتاب فأخذه ووقّع في أسفله ملخّصا مقاصد الحاجة وحاذفا الفضول.

ولا يقلّ خبر ثان عن الأوّل دلالة على إلحاح عبد الحميد على الاعتناء ببلاغة رسائله. فقد أتى في بعض المصادر أنه كتب عن مروان بن محمد كتابا "إن أنجع فذاك وإلاّ فالهلاك وكان نفث فيه حواشي صدره وضمّنه غرائب عجره وبجره... وقال لمروان: أنا ضامن أنّه متى قرأ الرّسول على المستكفين حول أبي مسلم يشهد منهم أنّهم يختلفون، فإذا اختلفوا كلّ حدّهم وذلّ جدّهم... وإن قرأه خاليا نحب قلبه، وإن قرأه في ملإ من أصحابه ثبّطهم وخذلهم..."[2]

ويبدو أنّ أبا مسلم آنتبه إلى الخطر المحدّق به من بلاغة هذا الكتاب. فأحرقه قبل ذيوعه، وردّ على مروان شعرا يستخفّ فيه من البلاغة ويشيد بعمل السّيف.

*كما ورد ذكر كثير لبلاغة عبد الحميد في المصادر القديمة.

وضرب المصنّفون بها الأمثال :

---

[1] - العقد الفريد، ج. 4 : 156

[2] - رسالة إلى أبي مسلم الخراساني، الدّراسة صص 329 - 330

جدول عدد 15 : آراء القدامى في بلاغة عبد الحميد

الحكم النقدي	المصدر
(وهو) أول من فكّ رقاب الشعر وسرّح مقيّده إلى النثر	صبح الأعشى.1 : 282
وهو الّذي سهّل سبيل البلاغة	الفهرست : 117
وله رسائل بليغة	وفيات الأعيان:3: 232
وكان عبد لحميد في البلاغة في مكان مكين	تاريخ الطّبري:8 : 839
ومما ينسب إلى الكتّاب، بلاغة عبد الحميد	ثمار القلوب : 155
وكان إماما في الكتابة وجميع فنونها وهو القدوة فيها	البداية والنّهاية.10 : 55
وكان عبد الحميد أوّل من فتق أكمام البلاغة وفك رقاب الشّعر	العقد الفريد . 4: 165
وكان مفوّها بليغا	التّنبيه والإشراف: 228

إن هذا الإجماع على الرّفع من شأن عبد الحميد الكاتب – وإن غلب عليه التّعميم والتّناول الذّوقيّ – يدعونا إلى التّساؤل عن دواعيه الحقيقيّة وإلى الرّجوع إلى نصوص الرّسائل قصد التّعرف على خاصيّاتها البلاغيّة الّتي حوّلتها من مكاتبات إداريّة وسياسيّة ذات طابع عملي وآنيّ بحث إلى نصوص فنّيّة تجلب التّقدير والإعجاب والاستساغة الفنّية.

تنوعت التّعاريف الأساسيّة للبلاغة، ومن العبث استعراضها أوالبحث عن تعريف نرتضيه لها، فلا المقام مقام هذا ولا المقال مقاله. ولعلّه من الكافي أن أشير إلى أنّ عبد الحميد عاش في عصر مازال فيه النّاس بمختلف طبقاتهم أو مستوى ثقافتهم يستجيبون لسحر الكلمة تأخذهم وتنفرهم تقيمهم وتقعدهم. وهؤلاء لم يتبنّوا الكلمة من حيث أبعادها النّفعيّة في حياتهم اليوميّة بقدر ما وزنوها – أو قدّروا نفعيّتها – بميزان من التّذوّق الجمّاليّ فتبنّوها أو هجروها بقدر إثارتها أو ابتذالها. فالقرآن وصل إلى القلوب بسحرها والخطباء استنهضوا الهمم الخامدة بدفعها.

فالكلمة – إذ ذاك– لم توظّف توظيفها العاديّ والمألوف في الكلام اليوميّ والشائع بين النّاس وإنما استعملت بطريقة مخالفة أخرجتها عن الحد(La norme) فصار النّصّ المبدع – بهذا – استعمالا خاصا للّغة [1] فإذا كان للّغة والتّركيب حدّ أدنى من الإيصال المعنويّ يضمنه الكلام العاديّ فيكون بذلك غير بليغ، فإنّ الكلام البليغ يحصل عن طريق "تحوير جزئي للاستعمال العاديّ"[2] يثري المعنى ويطبعه بالطّرافة ويسمه بالجمال والبتّالي بالبلاغة.

---

[1] - البلاغة العامّة. فوج Mu Rhétorique générale Ed. Larousse 1970. صص 14 و 16
واستفدت خاصّة في هذا المجال بعرض هذا الكتاب، وخاصّة بمقدّمته. وقد انجزه الدّكتور عبد القادر المهيري. حوليات الجامعة التّونسية، 1971 . عدد8 ص 207 وما بعدها

[2] - المصدر السابق ص 94

*وقد حدّد بعض الدّارسين بعض مواطن الطّرافة والجمال في كتاباتَ عبد الحميد. ويمكن إجمال هذه التحديدات في الجدول الموالي:

جدول عدد 16 : آراء المعاصرين في بلاغة عبد الحميد

تحديد مواطن البلاغة ومظاهرها	المصدر
استعمال السّجع	النّثر الفنّي في القرن الرّابع.1 : 84
العناية بالألفاظ واستعمال السّجع	نشأة الكتابة الفنّية في الأدب العربيّ : 131
الأطناب والمنطق والموسيقى والتّصوير	تاريخ الأدب العربيّ للفاخوري 336
الازدواج والتّبسّط	تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي: 199
وكان أسلوبه معتمدا على الصّور والتّبغية والاستعارات الواردة في الشّعر وفي البلاغة العربيّة.	EI2, Iil : 67. art. „Abd-al-Hamid“ par. H. Gibb
الفخامة والطلاوة، الطّباق والمقابلة	الفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ155 و199
الإطالة واستعمال السّجع والتّرصيع	أمراء البيان 1. : 97
كثرة الوصف (باستعمال الحال)	النّثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه 128
الإسراف في استعمال الحال والفصل بين الفقرات	من حديث الشّعر والنّثر 42 و 45

كل هذه المظاهر البلاغيّة تشابه في مذهبها الآراء النقديّة القديمة الّتي قيلت في عبد الحميد، وهي لا تنقصها تعميما وأحيانا ارتجالا في إلقاء الحكم.

*إنّ البحث في بلاغة عبد الحميد يستلزم – كما أسلفت – استقراء الرّسائل لتحديد مختلف الفنون "البلاغية. لكنّ التّعديد وإن أفادنا بصفته يشعرنا ببعض سمات النّثر القديم فإنّه لا يخلو من عيب الفصل بين الجانب الفنّي للنّص ودلالته الوظيفية أو بين الدالّ والمدلول. وكال بلاغة توصف بدون أن تعين إضافاتها البيانيّة للمعنى تبقى بلاغة باهتة لا ترجع إلى أصل.

إنّها كمثل فرس نفور يمتنع عن سيّده، ويتركه بعد طول العشرة وبعد أن يرمحه بعنف. والدّنيا عند عبد الحميد جمعت كذلك صفات الطّبيعة الّتي تلاقت فيها العذوبة بالملوحة والحلاوة بالمرارة واللين بالخشونة.

وكل هذه الصّور ترمي إلى الإيحاء للقارئ بمجموعة من الأخيلة الجديدة المستمدة ممّا ترسّب في وجدانه وتفكيره وثقافته. وهذا التّخييل أعطى للكلمات المستعملة علاقات طريفة تجاوزت المألوف من الأفعال والصّفات المنسوبة إلى الدّنيا.

والحقّ أنه ليست من مهمّة الفنّان – كما يقول أرسطو – أن يحكي الواقع كما هو وأن يكرّر الطّبيعة، وإنّما دوره هو أن يحاكيهما محاكاة تقوم على تبديل الواقع وتعديله وتنقيحه[1] . وهذه المحاكاة المخيّلة هي بالذّات ما تفرّع في البيان والمعاني والبديع.

– وكان استعراض المتناقضات شكلا من أشكالا التّعبير الفنّيّ في الرّسالة: الكره ≠ السّرور، درّ الحلاوة ≠ نشب الأظفار، استحليناها ≠ شمست عنّا، ملح ≠ عذبها، أخذت ≠ أعطت، تباعدت ≠ تقرّبت.

وهذه الطّباقات والمقابلات تركّز لدى القارئ مقدار ما يعانيه عبد الحميد من عذاب بسبب تغير حاله من عزة الرئاسة ونخوة الشّرف إلى ذل الهرب وخوف الموت.

–وهذه المتناقضات المتكاثرة لا تعدو في الحقيقة أن تكون تكرارا لمعان متقاربة فالمعنى اللاّحق لا يزيد المعنى السّابق توضيحا أو تعميقا ولا يضفي عليه ظلالا، وإنّما يكتفي بتغيير مظهره دون جوهره:

–من درّت له بحلاوتها = ساعده الحظّ فيها = سكن إليها.

–قرصته بأظافرها = عضته بأنيابها = تواطأته بثقلها

–قلاها نافرا عنها = ذمّها ساخطا عليها = شكاها مستزيدا مها

–أذاقتنا من حلاوتها ≠ أذاقتنا من درّها أفاويق ≠ استحليناها

–شمست عنّا نافرة = أعرضت عنّا متنكرة = رمحتنا موليّة

–ملح عذبها = أمرّ حلوها – خشن ليّنها

وهذا التّكرار يجعل النّص شبيها بمجموعة من الفواصل الموسيقيّة المستعادة، فكأن الرّسالة أنّات متواصلة وزفرات متلاحقة صادرة من الأعماق أودعها صاحبها آلام نفسه وقلقه على نفسه وعلى أهاليه.

–ولم تخل هذه الرّسالة من أسجاع محتشمة ومن موازنات لفظيّة أعطتها مشابهة بالقصيدة الشّعرية في إيقاع كلماتها

–فمن السّجع قوله :

منفيين عن الأولياء = مقطوعين عن الأحياء

كتبت إليكم والأيام تزيدنا منكم بعدا – وإليكم صبابة ووجدا

ترجع إليكم بذلّ الآسار والصّغار = والذلّ شرّ دار – والأم جار

فإنه ربّ العالمين = وأرحم الرّاحمين

–ومن الموازنة اللفظية قوله :

أعقبت بالرّاحة نصبا

وبالجذل همّا

---

[1] ـ مشكلة الفنّ، زكريا إبراهيم. طبعة مصر 1976 ص 186

وبالأمن خوفا
وبالعز ذلاّ
وبالجدّة حاجة
وبالسّرّاء ضرّاء
وبالحياة موتا...

3- مساهمة عبد الحميد البلاغيّة :

إن هذه الرسائل البلاغيّة الواردة في رسالة عبد الحميد إلى أهله وفي غيرها من الرّسائل تبرز أن النّثر العربيّ بدأ يدخل منذ أوائل القرن الثّاني مرحلة جديدة قائمة على التفنّن في التّعبير وذلك بعد أن تجاوز طور البداهة والارتجال.

ولعل هذه الرسائل البلاغيّة المكثّفة في الرّسائل تعود إلى رغبة من عبد الحميد في تأسيس فنّ تعبيريّ جديد يضاهي الشّعر جمالا وزخرفا ممّا انتهى بهذا الفنّ إلى أن يكون نثرا في هيكل نصوصه وبناء فقراته وتقسيماتها وشعرا في اعتماده الصّور والنّغم والإيقاع والمحاكاة والتّخييل.

وهذا لا يعني أن نثر عبد الحميد نثر هجين وخال من الأصالة فهو – على العكس – توصّل إلى استيعاب تجارب أدبية متنوعة المشارب ففتح المجال بذلك إلى نشأة النّثر الفنّيّ.

وبلاغة عبد الحميد تناثرت في مختلف رسائله بما في ذلك الرّسائل الدّيوانيّة والسّياسيّة ذات الطّابع العمليّ البحت. ولا أظنّ أنّ في عرض الأوامر السّياسيّة والتّعليمات الإداريّة والعسكريّة بأسلوب بلاغيّ تناقضا أو نشازا إذا ما ربطناه بعصرها.

فالمخاطبون مازالوا آنذاك رهينين للتّقاليد الفنّية المعروفة في الشّعر والغالب عليها التأنّق في العبارة وفي الأسلوب. ولذلك فالخطاب المناسب الموجّه إليهم لا بدّ أن يتضمن نصيبا من هذا التأنّق حتّى يصل إلى هدفه.

ويمكن أن نضيف سببا آخر يبرّر اعتناء عبد الحميد الخاصّ بأساليبه وهو اقتداؤه بالتّقاليد الدّيوانيّة الفارسيّة. فالإيرانيّون كانوا دائما يعنون بالشّكل والوثائق الرّسمية ومراسلات الأفراد ينبغي أن تصاغ صوغا أنيقا فتختلط بها نبذ من أخلاق الحكماء والحكم الخلقيّة والدّينية والأعشار والألغاز الرائقة لكي تكون الّرسالة أو الوثيقة قطعة جميلة. كما أن الطّريقة الّتي يصاغ بها الكتاب ويوجّه يراعى فيها الفوارق بين رتبتي المرسل والمرسل إليه مراعاة دقيقة[1].

---

[1] - إيران في عهد السّاسانيين 121-122

VII- المصادر والمؤثرات الأساسية في كتابات عبد الحميد

التّسابق إلى العلم في العصور الإسلامية الأولى عنوان كمال الأديب في صنعته. وقد كان الجاحظ وصف لنا جوّ التّنافس الثّقافي بين الكتاب فقال إن "النّاشئ" منهم إذا وطئ مقعد الرئاسة وورّك مشورة الخلافة وحجزت السّلة دونه وصارت الدّواة أمامه وحفظ من الكلام فتيقه ومن العلم ملحه وروى لبزرجمهر أمثاله ولأردشير عهده ولعبد الحميد رسائله ولابن المقفع أدبه وصيّر كتاب مزدك معدن علمه ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته ظن أنه الفاروق الأكبر في التّدبير وابن عبّاس في العلم بالتأويل[1].

إن هذا القول – بما يحمل من تهكّم – يعرض العناصر الأساسية للثّقافة السّائدة عند كتّاب الدواوين والّتي فرضتها عليهم حاجيات مهنتهم.

ويلاحظ أن هذه الثّقافة متنوّعة المصادر. فهي تمدّ جذورها في الأدب والعلم والسّياسة والدّين وتستمدّ عناصرها من العرب والفرس والهند. ويتأكّد هذا التنوّع من عصر إلى عصر بعد الجاحظ حتّى أنّنا نجد القلقشنديّ في القرن التّاسع الهجريّ يشترط على الكاب المعرفة باللغات العربيّة والأعجميّة وبآدابها وعلومها ليتمكّن من إتقان فنّ الإنشاء[2].

وإذا كانت للأمور أشباه، وبعضها دليل على بعض – كما أتى في رسالة إلى وليّ العهد – فإنّ الثّقافات الّتي استوحى منها عبد الحميد تفكيره وفنون كتابته هي أيضا متعدّدة ومتنوّعة الموارد.

والتّعرف على هذه الثّقافات ومصادرها يمكّن من تبيّن الموادّ الأولى الّتي اجتمعت وتفاعلت في كتاباته.

إنّ استقراء الرّسائل – بمختلف مواضيعها – يسمح بالوقوف لدى عبد الحميد عند دلائل من التّراث العربيّ الإسلامي ومن الثّقافتين الفارسيّة واليونانية[3]

فما هي هذه الدلائل وما هو مقدار حضورها في رسائله وما هي أبعادها؟

1- الثّقافة العربيّة :

قد يتبادر إلى الذّهن أن تأثير الثّقافة العربيّة في رسائل عربيّة اللغة والمضمون ولكاتب عربي النّشأة واللّسان أمر لا يتعدى البداهة. نعم إنّ هذا التأثير بديهيّ إذا حدّدناه في الألفاظ اللغوية المستعملة وفي التّراكيب الّتي صيغت فيها الجمل وتكوّنت منها الفقرات. لكنّ التأثير الّذي نعنيه أبعد غورا من ذينك المستويين اللفظيّ والتّركيبيّ فهو يتجاوزهما إلى التشبّع بالفكر العربيّ المترامي الجذور في الصّحراء الواسعة بما تحويه من أشعار وأمثال وخطب وقيم أخلاقيّة وسياسيّة ودينيّة.

---

1 - ذمّ أخلاق الكتاب، ضمن رسائل الجاحظ ج. 2 : 191 - 192

2 - صبح الأعشى، ج.1 : 165

3 - تناولت آراء المترجمين والدّارسين في ثقافة عبد الحميد الكاتب في هذه الدّراسة صص 20- 21

وفعلا، لم يتوصل عبد الحميد إلى ترسيخ قدمه في التوصّل داخل مجتمع بأصالته العربيّة لأنّه ردّد في كتاباته ألفاظا أو جملا عربيّة المنطق وإنّما تمّ له ذلك بفضل ما أضفاه على هذه الكتابات من سمات متينة الصّلة بالعقل العربيّ والرّوح الإسلاميّة.

ويمكن أن نردّ بعض هذه السّمات إلى :

أ- الأمثال العربيّة القديمة

ب- الخطب والرّسائل

ج- الأشعار

د- القرآن

هـ - لغة الصّحراء

أ- الأمثال :

ضمّن عبد الحميد بعض الأمثال السّائرة عند العرب كتاباته واستغل ما تحتويه. من تأثير قويّ وإيحاء نافذ واكتناز بالمعاني:

- من لزم الصحّة يلزمه العمل.[1]

- أقلّ من واحد ومن أوحد ومن تبنة في لبنة ومن لا شيء[2] في العدد وفي اللفظ من لا

-النّاس أخياف[3].

-من لي بالسانح بعد البارح[4].

-لا تبطر صاحبك ذرعه[5].

-القوم إخوان وشتّى في الشّيم وكلّهم يجمعهم نبت الأدم[6].

وذكر هذه الأمثال في الرّسائل تقوّي من آنتمائها إلى الثّقافة العربيّة ويضفي على أسلوبها مسحة من الجمال. وسوف يعدّ القلقشندي فيما بعد أنّ من شروط كاتب الإنشاء الإكثار من حفظ الأمثال والنّظر في كتبها لأنّها "وشي الكلام وجوهر اللفظ وحليّ المعاني"[7]

ب- الخطب والرّسائل :

وتعدّ الخطب والرّسائل الجاهليّة والإسلاميّة مصدرا ثانيا من مصادر عبد الحميد الثّقافيّة[8] فهو في رسالة له إلى بعض الخوارج يستعيد مراسلة بين المنذر بن المنذر بن ماء السّماء والحارث الغسّاني تبادلا فيها التّهديد العنيف.

---

[1] - أتى هذا المثل في رسالة عبد الحميد إلى الكتاب الفقرة 14. كما نصّ عليه ابن أبي حديد في الفلك الدائر على المثل السّائر ص 155. وقال الجاحظ في البيان والتبيين ج1: ص 43 إنه من كلام الأحنف بن قيس وأورده الميداني على الصّورة التّالية: آلزم الشّحة يلزمك العمل. مجمع الأمثال ج.2 ص 273

[2] - لم ينقل عبد الحميد هذا المثل بنصّه وإنّما اقتبس منه بضع أجزائه وجعلها دمّا لأحد العمّال الثقلاء. انظر رسالة في ذمّ عامل، الدّارسة ص 231 – 232 وانظر أيضا مجمع الامثال ج2 ص 128

[3] - استعمل عبدب الحميد هذا التعبير في رسالته في النّاس وفي بعض أشعاره. انظر رسالة في النّاس ، الدّراسة ص 361-362 وشعره ص 376. وأتى هذا المثل في كتاب الأمثال لابن سلاّم (المثل عدد 362) ص 133

[4] - رسالة في وصف الصيد، الدّارسة، الفقرة 2 ص 340. وأتى في كتاب الأمثال لابن سلام المثل عدد 778 ص 264

[5] - أي لا تحمّله ما لا يطيق. وأتي هذا التّعبير في رسالة إلى ولي العهد الفقرة عـ2ـدد وفي كتاب الأمثال لابن سلام المثل عدد 943 ص 289

[6] - يبيدو أنّ هذا الشّعر من تأليف عبد الحميد الكاتب نفسه فقد نقله أبو حيان التوحيدّ (الصّداقة والصديق.78) إثر رسالة عبد الحميد

[7] - صبح الأعشى ج. 1 : 295 - 296

[8] - عبّر عبد الحميد صراحة عن هذا عندما أشار إلى تأثره بعليّ ابن أبي طالب يقول في بعض أقواله: "حفظت سبعين خطبة من خطب

يقول عبد الحميد مخاطبا الثائر الخارجيّ: "وأمّا قولك في كتابك: سيرد عليك الجرد على المرد. فسيرد عليك من أولياء الله المقرّبين وحزبه الغالبين الكهول على الخيل الفحول، كأنها الوعول طوال السّبال، كأنه أشربت وجوههم الجريال"[1]

ويلاحظ في هذا الخطاب اقتباس من مراسلة واردة في بعض أخبار أيّام العرب الجاهليّة. ففي إحدى الرّوايات أنه "لمّا تولّى المنذر بن المنذر بن ماء السّماء ملك الحيرة واستقرّ في ملكه سار إلى الحارث الغسّاني طالبا بثأر أبيه عنده، وبعث إليه : إني قد أعددت لك الكهول على الفحول، فأجابه الحارث قد أعددت لك المرد على الجرد..."[2].

ونكتشف في التّحميدات الّتي يمهّد بها عبد الحميد لرسائله أو يؤلّفها قصد نشرها بين العامّة في مناسبات مخصوصة تشابها في اللغة وفي الفكرة بمراسلات سّابقة صدرت عن بعض الخلفاء أو الكتاب:

الجدول عدد 17 : تأثر عبد الحميد برسائل سابقيه

تمهيد لرسالة الوليد إلى الأمصار[3]	تمهيد رسالة عبد الحميد في الشّطرنج[4]
أمّا بعد، فإنّ الله تباركت أسماؤه.. اختار الإسلام، حتّى انتهت كرامة الله في نبوّته إلى محمد صلوات الله عليه على حين دروس في العلم وعمى من النّاس وتشتيت من الهوى، وتفرّق في السّبل، وطموس من أعلام الحقّ، فأبان الله له الهدى وكشف له العمى، واستنقذ له الضّلالة والرّدى وأنهج به الدّين	أما بعد... فإنّ الله شرّع دينه بإنهاج سبله... ثم ختم بنبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم وحيه، وقّى به رسله، وابتعثه لإحياء دينه الدّارس، مرتضيا له على حين انطمست الأعلام مختفية، وتشتتت السّبل متفرّقة، وعفت آثار الدّين دراسة.

ويتمثّل التّشابه بين هذيه النّصين في التّناسق بين العناصر والتّشابه بين الألفاظ. ففي كليهما ذكر الله ورسوله وبيان لظروف الدّعوة الإسلامية. وفي كليهما أيضا إستعمال لنفس الكلمات.

الأصلع ففاضت ثم فاضت". وأكد كذلك أن هذا الحفظ مكنه من البلاغة وخرّجه فيها. انظر أقواله ص 366 من الدراسة

[1] - رسالة إلى بعض الخوارج، الدّراسة ص 325
[2] - أيام العربي في الجاهلية، يوم حليمة، ص 54
[3] - رسالة في الشّرنج. الدّراسة صص 313
[4] - رسالة الوليد إلى الأمصار، جمهرة رسائل العربيج. 2 : 445

الجدول عدد 18 : تأثّر عبد الحميد برسائل سابقيه

أنهـــــــــج الدّيـــن	←	إنهاج السّبل
انتهت كرامة الله في نبوتـــــــــه	←	ختم بنبيّه
على حين دروس في العلــــــم	← ←	ابتعثه لإحياء دينه الدّارس
وتشتيت من الهوى وتفرّق في السبل	←	وتشتّتت السّبل متفرّقة
وطموس من أعلام الحــــــق		انطمست الأعلام مختفية

ويورد أبو العباس الصولي لعبد الحميد مكاتبة قال إنه أخذها عن معاوية بن أبي سفيان، وفيها قوله "جعلت فداك من السّوء كلّه"[1]

ولعلّ أقوى الكتّاب تأثيرا في عبد الحميد هو صهرُه سالم مولى هشام بن عبد الملك. فالرّسائل القليلة المتبقيّة لسالم تركّزت على استعمال الجمل الكثيرة الفروع وعلى الإسراف في استعمال الحال، وهي طرائق جديدة في الكتابة العربيّة يبدو أن عبد الحميد استفادها منه ثم استغلها استغلال واسعا حتى صارت تعرف به وتنسب إليه.

ج- الأشعار :

قال الدّكتور طه حسين عن عبد الحميد إنه لمّا أراد أن يصف الأسلحة (أثناء تعديده لها في رسالته إلى وليّ العهد) أخذ من الشّعر وصف الدّرع والسّيف والرّمح والقوس على نحو ما كان يصفها الشّعراء فنثر في رسالته كثيرا من الأوصاف الّتي ذكرها أوس بن حجر[2] في بعض قصائده[3] . ونجد فعلا بين الرّسالة والقصيدة الّتي ذكرها طه حسين تقاربا في بعض مسمّيات السّلاح وأوصافه.

ويبدو كذلك أنّ في إلحاح عبد الحميد على تنويع الأسلحة وتلوين أوصافها رغبة في منافسة القصائد الجاهليّة في الحماسة والحروب.

ويمكن أن تقرأ في مواضع مختلفة من الرّسائل تضمينات من الشّعر العربيّ:

يقول في رسالة في عتاب بعض أصدقائه "نظرت في الأمر الّذي أعاتبك عليه، والتمسه عندك، فإذا هو خفيف المحمل، يسير المؤونة، سواد أنقاس في بياض قرطاس"[4]

ونقرأ في مطلع قصيدة للمرّار العدويّ [5].

عفت المنازل غير مثل الأنقس   بعد الزّمان عرفته بالقرطس[6].

---

1 - رسالة عبد الحميد إلى صديق، الدراسة ص 356. أدب الكتاب 51
2 - أوس بن حجر التّميمي، من فحول شعراء الجاهلية، كان غزّالا ومغرما بالنساء ومن أوصف الشعراء للقوس والسّحاب وسابقا إلى دقيق المعاني فهما. أنظر الشّعر والشعراء 99-102
3 - من حديث الشعر والنّثر : 64 وأورد القصيدة صص 64 - 65
4 - رسالة في العتاب، الدّراسة ص 357
5 - شاعر إسلامي عرف بوصف الخيل والنّخيل، عاصر جريرا. انظر الشّعر والشّعراء 439
6 - ورد هذا البيت في لسان العرب، مادة نقس

ونسب القلقشندي إلى عبد الحميد رسالة كتبها عن هشام ابن عبد الملك إلى خالد القسري يذمّه. وأتى فيها قوله: "ومن ذلك ذكرك زمزم وهي سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحيّ من قريش، تسميّها أمّ جعار، فلا سقاك الله من حوض رسوله وجعل شرّكما لخيركما الفداء...".[1]

ويقول حسّان بن ثابت في الردّ على أبي سفيان بن حرب، (وافر) أتهجوه ولست له بكفء فشرّكما لخيركما الفداء[2]

د- القرآن :

تأثّر عبد الحميد بالقرآن يتّضح من جانبين : أولهما غلبة القيم الإسلاميّة على ما أسداه من نصائح للكتّاب وما عرضه من أفكار سياسيّة وقيم أخلاقيّة[3]، وثانيهما يتمثّل في استشهاده بالقرآن أو اقتباسه منه.

جدول عدد 19 : التأثّر بالقرآن

الرّسالة والفقرة	النصّ الوارد في الرّسالة	النّص القرآني
رسالة إلى وليّ العهد. الفقرة عدد7	فإن في القرآن شفاء القلوب من أمراضها وجلاء وساوس الشيطان وسفاسفه، ضياء معالم النور، وتبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يومنون	وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم الّذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" سورة النحل (16) ، الآية(64)
رسالة إلى ولي العهد، الفقرة 37	وكفى بالله وليا وناصرا ومعينا وهو القوي العزيز	والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليّا وكفى بالله نصيرا سورة النساء (04) الآية 45)
رسالة إلى ولي العهد، الفقرة 38	ساء ما كسبت يداه وما اللّه بظلّام للعبيد وساء ما سوّلت له نفسه الأمّارة بالسّوء واللّه من ورائه بالمرصاد، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون	عن سورة الحج (22) الآيــة (10) وسورة الشعراء (26) الآية (226) وسورة الفجــر (89) الآية (14)
رسالة في السلامة، الفقرة 2	فإن زيادة الله تعلو وتشكر الشاكرين	لئن شكرتم لأزيدنّكم سورة إبراهيم(14) الآية 7

[1] - رسالة إلى خالد القسريّ (وهي من الرّسائل المشكوك في نسبتها لعبد الحميد) انظر الدراسة صص 380 - 388
[2] - ديوان حسان بن ثابت، المطبعة الرّحمانية، مصر 1929 ص 7
[3] - تناولت هذا التأثّر في الدّراسة صص 143-144

رسالة في التعزية	فيوجب له الشكر وعلى النعمة المزيد	
تحميد في تعظيم أمة الإسلام. الفقرة3	الحمد لله... حمدا يزيد به من رضا شكره	
رسالة إلى أخيه الفقرة 1	وإشراكه إياي في دعائه شافعا لي إلى ربه عند خلواته	ربّ اغفر لي ولوالديّ سوؤة نوح (71) الآية 28 سورة إبراهيم (14) الآية 47

وتكشف هذه الاستشهادات النّصيّة أنّ القرآن كان بالنّسبة لعبد الحميد موردا غزيرا وقريبا من الأفهام أكّد به بعض معانية الذّهنيّة المتعلّقة بالخير والشّرّ والشّكر والصّبر والثّواب والعقاب – والاعتماد على القرآن في هذا المجال يزيد المعاني جلاء ويلونها بصبغة دينيّة.

التّعابير الغريبة:

ولعلّ أقوى الدّلائل على رسوخ قدم عبد الحميد في الثّقافة العربيّة هو ما نلاحظه في الرّسائل من إلحاح على استغلال البيئة الصّحراوية أثناء التّعبير عن آرائه المختلفة أو عرض الموضوعات الماديّة .

جدول عدد 20 : لغة الصّحراء في رسائل عبد الحميد

الرّسالة والفقرة	التعبير المستعمل	التعليق والشرح
وليّ العهد 8	سوء المثافنة	ويعني به سوء العشرة. من ثفنة البعير أو الناقة، وهي الرّكبة أو ما مسّ الأرض من كركرته ومعداناته وأصول أفخاذه
ولي العهد 10	حنّكته السّنّ وخبطته فصالها بين فراسن البزّل	الفصال : ولد النّاقة أو البقرة إذا فصل عن أمّه ويكون أثناء ذلك شديد المراس الفراسن: ج. فرسن. والفرسن من البعير بمنزلة الحافر من الدّابة البزّل: ج. بازل : وهو البعير عندما يطلع نابه.
وليّ العهد 51	إياك أن تقبل من دوابّهم إلاّ الإناث من الخيل المهلوبة	المهلوبة : المجزروة الصّلب، وهو شعر العينين أو الذنب يجزر في الأمور المهمة كالحرب والسّباق
	يلق البيض	جنن الرّأس البيضاء واليلق : الأبيض من البقر

	كتريك النّعام في الصّنعة	تريك النّعام : بيضها بعد أن يخرج منها الفرخ
وليّ العهد 51	قسيّ الشّوحط	القسيّ المصنوعة من الشّوحط والشّوحط شجرة صحراويّ متين العود
ولي العهد 74	قسيّ الشّريان والنّبع	الشّريان والنّبع:شجر صحراويّ تصنع منه القسيّ.
رسالة الشّطرنج 1	آقمطرت سلهب الفتنة	السّلهب : الطّويل من الخيل والشّديد المراس
من رسالة في البحث على لزوم الطّاعة	ونفر بهم شماسها	المعاندة والامتناع وتنسب إلى الخيل والإبل
رسالة إلى بعض الخوارج 3	يضربون ضرب الأسود ويثبون وثب الفهود وليس منهم إلا بازل يتخطّل قد برك على كلكله كأنما أشربت وجههم نقيع الحنظل	البازل : الجمل في السّنة التّاسعة ويعني به الرّجل في أتمّ تجربته. الكلكل : أعلى صدر البعير الحنظل : نبات صحراوي مرّ الثّمر
رسالة في وصف الصيد 2	وبكلّ حرّة جونة متفرّقون	الحرّة الجونة: الأرض ذات الحجارة النّخرة السّود
	فإذا نحن برعلة من ظباء وخلفة آرام	الرّعلة : القطيع، الآرام: ج. رئم: الظّبي الأبيض الخلفة: البقيّة من القطيع تتأخّر عنه
رسالة إلى أهله	أرضعنا من درّها أفاويق استحلبناها	الأفاويق ج الجمع : فيقة ومفردها : فواق وهواللّبن المجتمع بين الحلمتين. وفي المثل : مهلا فواق النّاقة (عن مجمع الأمثال،ج.2: 306)

هذه التّعابير المستمدّة من حياة الصّحراء تؤكّد معرفة عبد الحميد باللّغة الفصيحة، ولعلّه تمكّن من هذه الفصاحة أثناء قيامه بمهنة التّعليم منتقلا بين البلدان.

وتعكس هذه الاستعمالات – رغم قلّتها – ميل المثقّفين في العهد-الأمويّ إلى الغريب. ولا يخفى عنّا أنّ عبد الحميد نصح الكتّاب الناشئين بمعرفة غريب اللغة والشّعر.

إن هذه العناصر المتنوّعة من الثّقافة العربيّة تدلّ على أنّ عبد الحميد الكاتب حاول أن يؤصّل كتاباته ضمن البيئة الّتي نشط فيها وأنّه لم يتنكّر إلى هذه البيئة رغم ما قيل عن أعجميّته وإمكانية تعصّبه إلى الجنس الفارسيّ.

وهذا الترسّب في ثقافة العرب لم يمنع كاتبا من الانتفاع من الثّقافة الفارسيّة.

2- الثّقافة الفارسيّة :

قال أبو هلال العسكريّ إن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة الّتي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسيّ فحوّلها إلى اللسان العربيّ[1] وتواجدت – حسب الجاحظ – منذ أوائل القرن الثّاني رسائل متداولة بين النّاس يبدو أنّها تتعلّق بسير الملوك كان ألّفها أو ترجمها كتّاب فرس[2].

ولنا أن نتساءل في هذا المجال عن حظّ رسائل عبد الحميد من الكتابة والآداب السّلطانية الفارسيّة.

-اعتمد عبد الحميد بالكتّاب كفاءة عليا لا يضاهيها غير الملوك رفعة وخطر شأن وأولاهم صلاحيّات واسعة لم تكن لديهم قبله[3]. ويبدوأنّ هذا المذهب مأخوذ من العادات الفارسيّة. فقد كان الكتّاب السّاسانيّون يتمتّعون بجاه كبير وكانت الكتابة لديهم صناعة محفوفة بالإجلال والتّقدير الكبير[4].

– كما تعتبر الشّروط الأخلاقيّة والمعرفيّة الّتي أوجبها عبد الحميد على الكتّاب صورة طبق الأصل لما كان جاريا عند الفرس "فينبغي أن يكون الكاتب (منهم) كريم الأصل، شريف العرض دقيق النّظر، عميق الفكر، ثاقب الرّأي، وأن ينال الحظّ الأوفر والنّصيب الأكبر من الأدب وثمراته، وينبغي أن لا يكون بعيدا عن القياسات المنطقيّة غريبا عنها، وأن يعرف مراتب أبناء الزّمان، ومقادير أهل العصر وألاّ يشغل بحكام الدّنيا وزخارفها ولا يلتفت إلى التّحسين والتّقبيح من الإغراض وأولى الإغماض ولا يفتر بهم... وينبغي بعد هذا أن يكون حسن الخطّ..."[5].

–ويطالعنا الجمشياري في الوزراء والكتاب [6] بنصائح وجّهها أحد أعيان الفرس (كشاتسب) لكتابة شبيهة بما نقرأه في رسالة عبد الحميد إلى الكتاب[7].

---

1 - الصّناعتين، 69 . – ديوان المعاني ج.2 : 89

2 - البيان والتّبيين، ج.3 : 50-51

يقول الجاحظ "ونحن لا نستطيع أن نعلم أنّ الرّسائ التي بأيدي النذاس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة إن كان مثل أبن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرّسائل ويصيغوا مثل تلك السّير. وذكر المسعوديّ في التنبيه والإشراف، ص 106 : أنه رأى عام 303 (هـ) كتابا باصطخر يشتمل على علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وابنيتهم وسياستهم وأن ذلك كان ممّا ترجم لهشام بن عبد الملك سنة 731/113.

3 - انظر الدراسة ص 67

4 - إيران في عهد الساسانيين : 122

5 - إيران في عهد الساسانيين : 123

6 - الوزراء والكتاب ص8 وما بعدها

7 - رسالة إلى الكتاب، الفرة 10

جدول عدد 21 : مقارنة بين نصّ لعبد الحميد ونصّ فارسيّ

نصّ عبد الحميد	نصّ كشاتسب
استعينوا على عفافكم بالقصد في كلّ ما عدّدت لكم فنعم العون عونكم على صيانة دينكم وحفظ أمانتكم وصلاح معاشكم. واحذروا متالف الشرف وسوء عاقبة التّرف فإنهما يعقبان الفقر يذلاّن الرّقاب ويفضحان أهلهما ولا سيّما الكتّاب وأرباب الآداب.	الزموا العفاف وأدّوا الأمانة في كل ما يفوّض إليكم واجمعوا على غرائزكم وعقولكم سماع الأدب بما طبعت عليه عقولكم وليكن اجتباوكم بالقسط والمعدلة ولا تزينوا لنا بما لا تليق بنا الأحدوثة به.

– وشبيه بهذا أيضا ما رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار من صفات مفروضة على الكتّاب[1] . فهذه الصّفات شاكلت بعض ما أتى في الرّسالة إلى الكتّاب[2].

جدول عدد 22 : مقارنة بين نصّ لعبد الحميد ونصّ فارسيّ

نصّ عبد الحميد	رواية ابن قتيبة
لا يستغني عنكم (الكتّاب) منهم (الملوك) أحد، ولا يوجد كاف إلاّ منكم فموقعكم منهم موقع أسماعهم الّتي بها يسمعون وأبصارهم الّتي بها يبصرون وألسنتهم الّتي بها ينطقون وأيديهم الّتي بها يبطشون، أنتم إذا آلت الأمور إلى موائلها وصارت إلى محاصلها ثقاتهم دون أهليهم وأولادهم وقراباتهم ونصحائهم.	كتّاب الملوك عينهم المصونة وآذانهم الواعية وألسنتهم الشّاهدة، لأنّه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، فترفع التّهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم لأنفسهم.

وعمل عبد الحميد على تأثيل عادات جديدة في السّلوك السّياسيّ لم نعهدها في التّراث العربيّ والأقرب أنّها دخلت المجتمع العربيّ بتأثير الثّقافة الفارسيّة. ولعلّ أهمّ هذه العادات الإغراق في تبجيل وإجلال شخص الملك من طرف أعوانه ورعيّته. وهذا الإجلال يدعو بالكاتب إلى اعتبار نفسه كالعبد المسخّر لمولاه يتحمّل بدله ودونه كل مكروه ويجهد نفسه قصد الحصول على مرضاته. وتطالعنا هذه الوضعيّة في تصوّر عبد الحميد وكذلك في التّقاليد الفارسيّة. يحدث القلقشندي أنّ الكتّاب الفرس كانوا يعملون دوما على استرضاء أسيادهم فتراهم: "يتبارون على اقتناء الفضيلة ويترفّعون عن أن يعلق بهم

[1] - عيون الأخبار، باب السّلطان.ج. 1 : 47 ، وقال ابن قتيبة إنه نقله عن بعض كتب العجم
[2] - رسالة إلى الكتّاب، الفقرة عدد 1

من الجهل أدنى رذيلة ويجهدون في معرفة ما يحسّن ألفاظهم ويزيّن مكاتباتهم لينالوا بذلك أرفع مرتبة ويفوزوا بأعظم منزلة"[1]. ويوصي عبد الحميد الكاتب الالتزام بالصّبر والاحتمال والوفاء والشّكر في صحبة رئيسه وبأن يبذل له من نفسه "في حال الرّخاء والشّدّة والحرمان والمواساة والإحسان والإساءة والغضب والرّضا والسّرّاء والضرّاء"[2]. ويجسّم هذا البذل في خطابه إلى وليّ العهد قائلا: "وإن كرهت قضاء حاجة (قاصدك) وأحببت ردّه عن طلبته، وثقل عليك إجابته وإسعافه بها، أمرت كاتبك فصفحه عنها، ومنعه من مواجهتك فخفّت في ذلك عليك المؤونة وحسن لك الذّكر، ولم ينشر عنك تجهّم الرّد ولم ينلك سوء القالة في المنع وحمل على كاتبك في ذلك لائمة أنت منها بريء السّاحة[3].

ويبدو أنّ التغيير الحاصل في الكتابة الدّيوانية مع عبد الحميد والمتمثّل في التخطّي بها من حدودها وأهدافها الوظيفيّة البحتة إلى أشكالها الفنّيّة قد تأتّى أيضا بتأثير العادات الدّيوانيّة الفارسيّة. فقد "كان الفرس يعنون بتدبيج رسائلهم اليونانيّة ولا سيّما مقدّماتها لأنّها تنسب إلى الملك وكبار المسؤولين في الدّولة فكانوا يتأنّقون في أسلوبها"[4] ويعمدون إلى تكرار الأفعال والألفاظ والجمل وإلى الإكثار من التّبجيل والدّعاء[5].

3- الثّقافة اليونانيّة :

اعتبر الدكتور إحسان عبّاس "إن من أوّل ضروب اللّقاءات بين الفكر والإغريقي والأدب العربيّ اقتباس عبد الحميد الكاتب المعارف اليونانيّة في السّياسة "[6] فقد كان ختنا لسالم مولى وكاتب هشام بن عبد الملك المعروف بنقله لبعض رسائل أرسطاطاليس[7]. وقام المستشرق ماريو قرينياشي بمقارنة نصيّة بين ما جاء في رسائل أرسطاطاليس ورسالة عبد الحميد إلى وليّ العهد فلمّح بينهما بعض التّشابه في المحتوى السّياسي[8].

وقد أفادنا الدّكتور إحسان عباس ببعض جوانب نهذا التّشابه في بحثه المقارن المتعلّق باستخدام الفكر السّياسي اليونانيّ مادّة في الرّسائل الأدبية[9] وبإعادة صوغ هذا الفكر في أسلوب أدبيّ[10]. واهتم الدّكتور طه حسين بهذه المسألة في مقدّمته الّتي وضعها لكتّاب نقد النّثر (المنسوب) لقدامة بن جعفر[11] وفي كتابه "من حديث الشّعر والنّثر"[12].

---

1 - صبح الأعشى، ج. 1 : 50
2 - رسالة إلى الكتّاب، الفقرتان عدد 5و6.
3 - رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة 19
4 - ابن المقفع ص : 416
5 - ابن المقفع : ص : 487
6 - ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ : 99
7 - الفهرست 177
8 - Grignachi, « Les rasa'il «Aristatalisa ilà-l-Iskandar » in B.E.O. T. XIX p.p. 7-77.
9 -ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ صص 99 وما بعدها.
10 -ملامح يونانية في الأدب العربي صص 125 وما بعدها
11 -نقد النّثر صص 10 وما بعدها
12 - من حديث الشّعر والنّثر صص 42 وما بعدها

جدول عدد 23 : مقارنة بين بعض نصائح عبد الحميد لوليّ العهد وبعض أقوال أرسطو إلى الاسكندر

نصائح أسداها عبد الحميد إلى وليّ العهد	أقوال تقابلها في الفكر السياسي اليوناني[1]
اعلم أن الظّفر ظفران، أحدهما وهو أتمّ منفعة... ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة. رسالة إلى ولي العهد، الفقرة 40	واجعل الحرب آخر أمرك أرسطاطاليس ملامح يونانية في الأدب العربيّ ص 106
وكاتب رؤساءهم وقادتهم وعدهم المنالات.. ولا عليك أن تطرح إلى بعضهم كتبا كأنّها جوابات كتبت لهم، وتكتب على ألسنتهم كتبا تدفعها إليهم وتحمل بها صاحبهم عليهم عندهم منزلة التّهمة أو محلّ الظّنة رسالة إلى ولي العهد، الفقرة 77	كاتب أشدّ قوّاد عدوّك بأسا وأوفرهم نصيحة لعدوّك لتوقع وهما في قلب عدوك على صاحبه النّاصح له، واعمل على أن يقع كتابك بين حرّاس عدوّك. أرسطاطاليس ملامح يوانانية في الأدب العربي.ص107
مغظما أمر عدوك لأعظم مما بلغك حذرا يكاد يفرط لتعدّ له من الاحتراس عظيما والميكدة قويّا. رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة 42	ضع أمر عدوك على أنه في الدّرجة العليا من القوّة ثم عامله بقدر ذلك واقصده من قبل أن يطول، وارتق الفتق قبل أن يتمكن من فاتقه. أرسطاطاليس ملامح يونانية في الأدب العربي، ص108
اعلم أن المشورة، مواضع الخلوة انفراد النّظر رسالة إلى وليّ العهد، الفقرة 27	صيّر استشارتك باللّيل فإنّ الفكر فيه أجلى وأجمع أرسطاطاليس ملامح يونانية في الأدب العربي، ص128

ويعود الفضل إلى الدكتور طه حسين في التنبيه إلى جوانب أخرى من انتفاع عبد الحميد بالتّراث اليونانيّ، وهذه الجوانب هي:

[1] - أخذت هذه الأقوال من ملامح يونانية في الأدب العربيّ صص 106-108 و 128 واورد المستشرق ماريو قرينسياشي بعض رسائل أرسطاطاليس التي ترجمها سالم مولى هشام بن عبد الملك إلى العربيّة. وهذه المترجمات يمكن أن تكون مصدرا لعبد الحميد لاستغلال الفكر السياسي اليوناني. أنظر، التعليق عدد 5. الصفحة السابقة

1- الاعتماد على الفصول أو تجزئة المقاصد حسب فقرات كما هو الشأن عند علماء البيان اليونانيّن[1].

2- الإسراف في استعمال الحال في تحديد المعاني[2]

3- تأليف الرّسائل الخاصّة بفن الحرب وتنظيم الجيش على نحو ما كان شائعا في العصر اليوناني الرّوماني[3]

4- تقسيم الجيش إلى وحدات (تحتوي كل وحدة على مائة رجل)[4]

إن التّثبّت من هذا الانتفاع يتطلّب مبدئيّا المعرفة باللّغة اليونانيّة وبنظمها العسكريّة القديمة ويتطلّب أيضا التّيقّن من أنّ عبد الحميد اتّصل فعلا بالثّقافة اليونانيّة سواء عن طريق الاطّلاع المباشر أو بواسطة الغير.

ولعلّ ما يمكن قوله في خصوص الجانبين الأوّلين هو أن عبد الحميد يمكن أن يكون استفاد بطريقة صهره سالم مولى هشام بن عبد الملك في إنشاء الّرسائل. فقد كان سالم يعتمد هو أيضا على الفصول التجزيئية للمعنى ويستعمل الحال في تحديد معانيه[5] فضلا عن أنه مطلع على اليونانية أو على ما ترجم منها آنذاك[6]

أما تأليف الرّسائل الخاصّة بفنّ الحرب وتقسيم الجيش إلى وحدات فلا يستبعد أن يكون عبد الحميد آخذهما عن مروان بن محمد المعروف بدرايته الواسعة بقيادة الجيوش وتجربته الطّويلة في ممارسة الحرب، وإضافة إلى هذا فإن تقسيم المحاربين إلى وحدات تعدّ الواحدة مائة جندي تنظيم معروف عند العرب أنفسهم منذ العهود الأولى للفتح[7].

وعلى كلّ فإن المقارنات التي عرضناها بين بعض كتابات عبد الحميد وبعض الأقوال اليونانية لا تعني بالضرورة أن كاتبنا أخذ آراء أرسطاطاليس وصاغها من جديد في رسائله كما لا تثبت أنّه استوحاها من تراث اليونانيين دون الفرس أو العزب أو الهند، فالتّشابه بين أمّة وأخرى في الأساليب العسكريّة أو غيرها أمر حادث وعادي، مادام عمق النّظرة والتّجربة يويّده.

وتبقى أهم إفادات استقصاء هذه المؤثرات اليونانية هي أن عبد الحميد تبيّن تراث الشّعوب وهو بهذا شارك في إثراء الحضارة العربيّة الناشئة بموادّ جديدة.

أبعاد المؤثّرات الثقافيّة في كتابات عبد الحميد:

---

[1] - نقد النثر، توطئة الدكتور طه حسين: 10 من حديث الشّعر والنثر : 45-46

[2] - من حديث الشّعر والنثر . 42 – 44. واعتبر الدكتور طه حسين أن هذه الخاصيّة المعروفة في اللغة اليونانيّة والواردة بكثرة في كتابات عبد الحميد تقوى من فرضية اتصاله بمدارس الفكر اليوناني المنتشرة بالجزيرة الفراتيّة والشام ولعله كان تعلم فيها اليونانية وأحسنها.

[3] - من حديث الشّعر والنثر44 - 45

[4] - من حديث الشّعر والنثر 45

[5] - الفنّ ومذاهبه في النثر العربيّ : 110

[6] - الفهرست : 117

[7] - حللت هذه المسائل بتفصيل أكثر في الدراسة ص 99 وانظر التعليق 5 في نفس الصفحة

إنّ الهدف الذي قصدناه من محاولة تحديد هذه المؤثّرات الثّقافية ليس أن نرد عبد الحميد إلى ثقافة دون أخرى أو أن ندافع على انتماء حضاريّ فيه. فهذا المذهب في الاستنتاج لا يعنينا لأنّه يعني بالشّخص دون أن يوضّح أدبه. وإنّما هدفنا كان محاولة في فهم هذا الأدب من خلال استجماع بعض مكوّناته الأصيلة أو الأجنبية.

فهذه الظاهرة المسمّاة بعبد الحميد الكاتب والّتي جلبت إعجاب الكثير من القدامى والمعاصرين فأشادوا بسبقها وامتدحوا فضلها، تتبيّن إزاء هذا البحث في روافدها الثقافية مزيجا من تجارب عريقة وراسخة في ميادين الكتابة والإدارة والسياسة والحرب. وهذا التّمازج يؤكد تمكّن الفكر العربيّ من احتواء الفكر الأجنبيّ ومن استيعاب اختلافهما ضمن وحدة متناسقة ودونما سقوط في التّبعية إلى الغير. فنحن العرب – كما يقول الدكتور طه حسين "قد تأثّرنا من غير شكّ باليونان والرّومان والهندوس والفرس ولكن من المستحيل أن يزعم زاعم أننا مقلّدون ليس غير، فشخصيّة العرب ظهرت قويّة في الشّعر والنّثر والعلم، لا يقال عنّا إننا مقلّدون أخذنا عن غيرنا ولكنّنا لم نكد نأخذ من غيرنا حتى أسغنا ما أخذناه أوّلا وهضمناه ثم محوناه"[1].

VIII– مكانة عبد الحميد في النّثر العربيّ

الكتابة الدّيوانية مهمّة إدارية دقيقة تتمثّل في إنشاء وثائق رسميّة تخدم مصالح سياسيّة مخصوصة والوثيقة الديوانيّة ترمي إلى غاية آنية وعمليّة. ولا يشترط على كاتبها أن يعرض فيها براعته الفنّيّة. وفعلا لم ينزو عبد الحميد الكاتب في مكتب أودكان ورّاق ليصوغ أعمالا أدبية يتأمّل لا حقوه في جمالها ويتذاكرون حسن إنشائها وإنما عمل في دواوين غزيرة النّشاط وضاجّة الحركة يؤلّف العهود والمناشير ورسائل الحمد والتّهديد والتّهاني والتّعازي الرسمية. ومآل ذلك كلّه المراقبة والنّسخ والختم والتّنفيذ. وبالتّالي، لم تكن رسائله – في عصرها – نصوص أدب تروق السّمع ويستسيغها الذوق بقدر ما هي وثائق سياسة، يحتاج إليها الخليفة في سياسة خلافته والوالي في تدبير أمور ولايته[2].

فهل يصح إزاء هذا أن نعد عبد الحميد مساهما في تطوّر النّثر العربيّ؟

يدعونا الجواب على هذا السؤال إلى التّفريق أولا بين النّثر في مفهومه العامّ وبين النّثر الفنّيّ.

قيل عن النّثر إنه الكلام المرسل الّذي لم ينتظم شعرا، وهو تفسير ارتضته المعاجم[3] بصفته يوضّح معنى النّثر بمقارنته بفنّ أدبيّ آخر معروف ومتطور في مختلف الآداب الإنسانية. والبيّن من هذا التّعريف أن النّثر أداة تعبير عن مقاصد معيّنة تكون فيها

---

[1] - من حديث الشعر والنثر ص : 17

[2] - ولعلّ هذا يفسّر عدم ثبت المصنفين الأوائل من أمثال الجاحظ وابن قتيبة والمبرّد لهذه الرّسائل في مختاراتهم الأدبية. كما يفسّر إهمال ياقوت الحمويّ لشخصيّة عبد الحميد في معجم الأدباء.

[3] - أتى في لسان العرب (مادة نثر) "رجل نثر أي كثير الكلام، وفي حديث ابن مسعود وحذيفة في القراءة: هذا (اتطاع) كهذا الشعر ونثرا كنثر الدقل، أي كما يتساقط الرطب اليابس من ال إذا هزّ". وأعى في معجم : Quillet : Proose : discours, langage qui n'est pas soumis aux lois de la versification, au rythme et à la rime

اللّغة غير مرتّبة حسب نظام صارم شبيه بما هو في الشّعر، وإذا قورن النّثر بالشّعر فالمفروض أن لا يعني به الكلام اليومي المتبادل بين النّاس. فليس في هذا الكلام من مزايا العناية به أو الدوام له ما برّر هذه المقارنة. فالنّثر إذن هو الكلام الّذي قصد به إلىغاية تتجاوز الإبلاغ البسيط إلى الإفادة بقضايا لا يمكن أن تنضوي تحت لواء الشّعر. وقد تبين حضاريا أنّ هذه القضايا تتعلّق التّاريخ والدّين والسّياسة والفلسفة وغيرها من وسائل الفكر.

أما النّثر الفنّيّ فهو ككل عمل آخر ذي سمات فنّية، إبداع يتجاوز وظيفته الأدائيّة إلى تقمّص طابع فنّي يثير في القارئ الحساسيّة بالجمال ويكمن في اللّفظة ونوعيّة التّركيب وفي العلاقة بين الجمل والفقرات. وهذا هو النّثر الّذي "يعنى به مؤرّخ الأداب والّذي يمكن أن يعد أدبا، والّذي يمكن أن يقال إنّه فنّ، فيه مظهر من مظاهر الجمال وفيه قصد إلى التّأثير في النّفس من أي ناحية من أنحائها"[1].

والفرق بين "النّثر الأدائي" والنثر الفنّيّ يشابه الفرق بين كتابة الإنشاء وإنشاء الكتابة. فكتابة الإنشاء وظيفة يكون فيها الكاتب تابعا ومطيعا ويتحدّد دوره في الإبانة عن المقاصد بتحويلها من صورتها الذهنيّة إلى شكلها الكتابيّ فيمكن نشرها والانتفاع بها وتنفيذها. وهذه المقاصد ليست من شأن الكاتب وإنما هي من شأن سلطة تتجاوزه فليس عليه أن يقتطع شيئا من نفسه يضيفه إليها بل يعرضها في أبسط صورها اللغوية. أمّا إنشاء الكتابة فخلق يكون الكاتب أثناءه مشدودا برغبة جامحة إلى الإبداع. وهذا الإبداع يصل إلى القارئ فيعمّق لديه المقاصد ويزيدها رسوخا بصفته لا يخاطب العقل فحسب بل يلامس أيضا العاطفة والإحساس.

وقد تمّ لعبد الحميد أن يكون من الكتّاب الأوائل الّذين تمادوا في تأليف الرّسائل بصورة مستمرّة. فوظيفته حتّمت عليه أن يجعله أداة تواصل بينه وبين جميع من يتعامل معهم في إطار نشاطه الدّيوانيّ. ويمكن– على هذا الأساس – أن نعتبره من النّاثرين الّذين تعهّدوا بترسيخ فنّ النّثر وفي استخدامه لأداء أغراض متنوّعة تمسّ بالسّياسة والإدارة والأخلاق والأدب. وإذا كان البعض من أغراضه مألوفا في الشّعر (كالأخوانيات) فهو، بحكم مهنته، مطالب بتجاوز العادة وتدارك الموقف للتّغلب على القصور الّذي لحق بالنّثر بسبب تصلّبه في أشكاله الجاهليّة كالأسجاع والخطب والأمثال والرّسائل السّياسيّة القصيرة وكلّ هذا قصد الوصول به إلى مستوى المؤونة اللغويّة والأسلوبيّة الّتي تؤهّله لأن يكون "وسيلة إعلام وتواصل" ذائعة بين الجميع.

وبالفعل وظّف عبد الحميد نثره لإنشاء مكاتبات ذات مساس بالحياة المجموعيّة، فجعله تعبيرا عن واقع مشترك ومعقّد في مشاكله ومتشابك في حاجيّاته. وهذا النّثر لم يتوجّه إلى الآخرين توجّها مباشرا كما هو الشّأن في الخطب. فلم ينعم ببساطة الخطبة ولم

---

[1] - في الأدب الجاهلي، 326

يتصّف باقتضابها والارتجال في صياغتها وإنما تجشّم مشقّة التفصيل والتحّليل والدّقة في عرض الأغراض المقصودة.

ولعلّ الرّسالتين إلى الكتّاب وإلى وليّ العهد هما أبلغ دليل على هذا، فإننا نلمس فيهما ميلا غير معهود إلى "تقرير المسائل على جليتها لا يعتورها لبس ولا إشكال" إذ صاغهما عبد الحميد في هيكل تتوالى الأفكار ضمنه بوضوح وتدرّج رغم كثرتها وتنوّع مشاربها ومقاصدها (أخلاق – سلوك – ثقافة – ممارسات سياسيّة – تنظيم عسكريّ – إلخ ...) كما حرص على إحاطة كل فكرة جديدة بما تستلزمه من تفصيل الكلام قصد تقليبها من وجوهما المختلفة فتبدو على أتمّ الجلاء لقرائها وتسفر عن لطائف معانيها. لجأ من أجل ذلك إلى الجملة المركّبة المتفرقة خاصة عن الجمل الحاليّة كما استعمل الّصفات المفردة النّعت والحال استعمالا مكثّفا.

وأضفت بعض الرّسائل البلاغية المنتهجة كالسّجع والمقابلات والجناس اللّفظي والمعنوّي الرّواء على معانيه. وكذلك لم تخل لغته رغم تنوّع أرصدتها من صفات السّهولة والألفة والوضوح فتمّت لها بذلك قابليّة الفهم السّريع لمقاصدها الجديدة على الفكر العربيّ آنذاك.

ولئن شابهت كتابات عبد الحميد الأخرى رسائل العصر في بعض محتوياتها السّياسيّة والإخوانيّة والأدبيّة فإنّها تمتاز عليها بتخلّص طريقتها من صفات البداوة والغرابة في اللغة والإيجاز في العرض. ولعلّ هذا يعود إلى أنّ أكثر كتّاب الرّسائل آنذاك كانوا كذلك خطباء متأثرين بالأساليب الجارية في الخطابة[1].

أمّا عبد الحميد فهو – على العكس – مكلّف بالكتابة تكليفا ودوره أن يكفيها حقّها من العناية والدّقة. وبالفعل تجسّمت هذه العناية في الميزات الّتي رأيناها كالإطناب والاسترسال في العرض أو توليد التّراكيب بعضها من بعض أو تبسيط اللغة قصد تقريبها من كلّ الأفهام.

ولم يكتف عبد الحميد في ترسّله بأداء وظيفته ككاتب إنشاء وإنما تجاوز هذه المهمّة إلى ما هو أبعد منها فجعل المعنى ذريعة لإظهار براعته الإنشائية (رسالة في الصّيد – وصف الأسلحة في رسالته إلى وليّ العهد – رسالة إلى أهله). فتراه أحيانا مبتهجا بالوصف والتّلوين فكأنّه قاصد إلى معارضة القصائد والأرجاز الجاهليّة والإسلاميّة الخاصّة بالحروب ومغامرات الصّيد. ففتح بهذا النّوع من التّرسّل أفقا جديدا للكتابة العربيّة ومغامرات الصّيد . ففتح بهذا النّوع من التّرسّل أفقا جديدا للكتابة العربيّة وهو الرّسالة الأدبية الّتي ستكون منطلقا أوّل في ازدهار النّثر الفنيّ. يقول الدّكتور طه حسين : "إن تقسيم الكلام إلى شعر ونثر ليس يكفي بل يجب أن يقسم الكلام إلى شعر وخطابة وكتابة، وهي الّتي تعوّدنا أن نعبّر عنها أحيانا بالنّثر الفنّي في الكتب والرّسائل.

---

[1] - الفنّ ومذاهبه في النثر العربيّ 102-103

ربّما كان من الحقّ أن أوّل من أحدث في نفوسنا لذّة الكتابة الفنّيّة في العصر الإسلاميّ في القرن الثاني للهجرة هو عبد الحميد وابن المقفّع[1].

لكن يؤخذ على عبد الحميد – في هذا المجال – أنّ ترسّله كان أقرب ما يكون شبها بالشّعر. فقد حاول أثناءه أن يروّض القصيدة ترويضا ليخرج منها نثرا غلبت عليه وسائل بلاغة مكثّفة كالإسراف في الاستعارات وفي التّعبير عن المعنى الواحد بوجوه كثيرة مقابلته بأضداد وضمّه إلى نظائره بصورة تجعل القارئ أحيانا ينساب مع الأسلوب بدل أن يركّز على الموضوع.

ومهما يكن هذا المأخذ ثقيلا على عبد الحميد فإننا نعتبره الانتفاظة الأولى "التي مكنت النّثر العربي من التّحرر من بوتقة الرّسالة الدّيوانية ذات المواضيع والأساليب الرّسمية إلى فسحة واسعة يتمكّن فيها من أن يجول متفنّنا في القول مشعّبا للمعاني على قدر الوسع.

إن مختلف هذه التّغيرات الحادثة مع عبد الحميد تعدّ نتائج طبيعيّة لأسباب حضاريّة. فقد عاش فترة تحوّل تجسّمت في تنوّع وتعقّد القيم الدّينية والسّياسية والاقتصادية للدّولة الإسلامية. ولم يعد هذا التعقد يسمح بالإعلام الشّفوي فالنّاس بدأوا يفكّرون في الأوضاع بعد أن كانوا مكتفين بعيشها. واندثرت الفطرة الجاهليّة في الإبلاغ الخطابيّ والشّعريّ وصارت الرّسالة المكتوبة تعوّض الخطبة الملقاة – وتحوّل الخطيب إلى مترسّل يسمح لنفسه أن يكتب وأن يراجع ما كتب وأن يسترشد الكتب فيستشهد بما شاء من الأمثال والقرآن والأشعار. ويستطيع كذلك أن يطيل التفكير فيما رسمه لا يمنعه من ذلك من ينتقدون عيّ لسانه أثناء تفكيره أو يترقّبون ما انتهى إليه تدبيره وتعبيره. وكذلك صار تحوّل الرّسالة من أسلوبها الخطابيّ إلى أسلوبها الكتابيّ أمرا محتوما مع دخول الموالي الفرس في الدّواوين. فهؤلاء لم يتصفوا ببداهة التّعبير ولم يتشبّعوا ببداوة اللغة وصفائها بقدر ما قصدوا إلى تعميق المعاني وتفصيل المواضيع وتنسيق طرق العرض بحكم وضعيّاتهم المهنيّة وانتمائهم الحضاري.

ويعدّ عبد الحميد أحد هؤلاء الموالي الذّين ساهموا في انطلاقة النّثر. فبعد أن كان قبله "حروفا جريدة متقطّعة الأوصاف عن معاني التّأليف منقوصة القوى من مذاهب المعاني..." صار معه كلاما موصولا" ألفّه تأليفا ألبسه حليته واستنبط (له) الرّأي من خزائنه استنباطا قويّا واستقصى المعاني من وجوهها استقصاء شافيا"[2] و"ربما كان (بذلك) الأستاذ المباشر للكتّاب المترسّلين وبنوع خاصّ للجاحظ".[3].

---

[1] - من حديث الشعر والنثر، 41 - 42

[2] - انظر رأي إسماعيل بن عبد الحميد في كتابة أبيه، الدراسة ص 407-408

[3] - من حديث الشعر والنثر : 49

الخاتمة

قصدنا من هذا البحث إلى التّعريف بعلم من أعلام الأدب اعتبره القدامى سبّاقا في صياغة الرّسالة الدّيوانية وعدّه المعاصرون رائدا في تأسيس النّثر الفنّي. وشجّعنا على الاعتناء به دون غيره افتقاد دراسة شاملة خاصّة به رغم حضوره الدّائم في كتب التّراجم والأدب أو الدراسات المهتمّة بالنّثر في بدايات تطوّره.

ورأينا أن يفتتح بحثنا بتتبّع أطوار حياته نشأة وثقافة ونشاطا قدّرنا أن العلاقة بين بيئة الشّخص وإبداع الأديب لا تخلو من تواصل قوّته الأوضاع الاجتماعية والظّروف السّياسيّة الّتي عاشها بصفته أحد الموالي العاملين بالدّواوين وملازما للخليفة عاين مشاكل الحكم ومارس صعوباته.

واستقصينا بعد ذلك آثاره فتبيّن لنا أن ما حظي منها بإطراء القدامى والمعاصرين ليس إلا غيضا من فيض فاستقرأنا مصنّفات الأدب والإنشاء والتّاريخ القديمة محاولين الكشف عن المغمور من رسائله وضمّ شتاتها وانتهينا بعد جهد لا نخاله إلا منقوصا إلى أنه خلّف لنا تراثا متنوّعا في مواضيعه وأساليبه وصالحا لأن يكون أرضيّة بحث في فكره وبلاغته.

وأثبتنا عند عرض هذا التّراث أن ما بقي منه كان انعكاسا وإثراء للمكاتبات الجارية في عصره في صورتيها الرّسمية والإخوانية.

وتصدّينا لدراسة المضامين المختلفة لهذه الرّسائل فاستوقفنا لدى صاحبها إدراك واسع لما يلزم كاتب الدّيوان من شروط معرفيّة وصفات أخلاقية ومواهب ذاتيّة فرضتها دقة مهنته وخطورة مهمّته. واستوقفنا أيضا عمق نظرته في أمور السّياسة واكتشفناه حريصا على قوّة السّلطة الحاكمة كسبيل إلى رسوخها وموصيا ممثّليها بالعدل بين الناس والرفق بهم كضمان لشرعيتها وكذلك تبيّناه عارفا بالكثير من فنّيات الحرب وتراتيب قيادة الجيش ممّا يضفي على معارفه وتعاليمه صفة الشّمول .

وانتهينا إلى أن الشّروط المتتابعة في الرّسائل والخاصّة بالكاتب أو الحاكم أو القائد أو غيرهم تشكّل في مجموعها صورة للإنسان الكامل الّذي يقدر على تجاوز نقائص نفسه وأخطائها قصد ترسيخ القيم الإيجابية في هذا الكون. واعتبرنا أن هذا التّرسيخ هو المساهمة التي يصحّ أن نستفيدها من رسائله وأن نستبقيها من تفكيره.

وتتبّعنا إثر هذا الأساليب المعتمدة في الرّسائل هادفين إلى تبيّن الأسباب الدّاعية إلى القول بسبق هذا الأديب في فنّ النّثر فلفت رصيده اللغويّ انتباهنا بثراء مأتيه فحلّلناه إلى مواضيع. ولم نشكّ عندئذ أنّه وظّف اللغة العربيّة توظيفا جديدا بأن فتح لها آفاقا فسيحة في التّعبير.

ودرسنا الجملة الّتي يستعملها فوجدناه يطيلها ويحمّلها ما لم تعتد ضمّه من المقاصد الكثيرة فتفوز بالدّلالة البيانيّة حينا وتثقل بالمعاني المتراكمة حينا آخر. وفسرنا اتّجاهه إلى

الإكثار من فروعها بأنّه لم يكن ناثرا ذا اهتمامات أدبية بحتة وإنّما كاتبا ذا وظيفة ديوانيّة وسياسيّة دقيقة فرضت عليه اعتماد النّثر كوسيلة جديدة أو تكاد في التّعبير.

وواصلنا البحث في الأساليب بتعديد الوسائل البلاغيّة الواردة خاصّة في المكاتبات الإخوانية ثم بمعارضة بعض الرّسائل ببعض من حيث الهيكل مما مكّننا من الاهتداء إلى بداية تشكّل الرّسالة على نموذج ستستقرّ عليه فيما بعد.

وأفادنا استكشاف المؤثّرات والمصادر الأساسيّة للرّسائل أن عبد الحميد استطاع أن يمزج بين ثقافات متنوّعة وأن يولّد من ذلك فكرا جديدا وغير ذي تبعيّة.

وختمنا هذا البحث بتحديد مكانته في النّثر العربي وكان رأينا في ذلك أنه ساهم في تحرير الكتابة من قيودها الخطابية الموروثة وفي تمكينها من التّعبير عن قيم وحاجيات معقدة كثيرة.

وألحقنا هذه الدّراسة بنصوص الرّسائل والآراء والأشعار والأخبار المنسوبة إليه وذلك بعد أن أثبتنا الاختلاف بين رواياتها وأضفنا إليها ما تستلزمه من شروح وتعاليق. وكان هدفنا من ذلك الحصول على مادّة نصّية تصلح لأن تكون مرجعا قريبا لقارئ هذا البحث أولا وللراغب في التّعرف على شخصيّة عبد الحميد وعلى أدبه ثانيا. وعسانا أن نكون بهذا اعترفنا بفضل أديب طالما تشتّتت آثاره كل مشتّت فما نالت حظّها من الاهتمام ولا حصلت على كفايتها من البحث والتّمحيص.[1]

[1] - تشكل الآثار الباب الثالث من هذا البحث، وأوردته في كتاب مستقل هو جزؤه الثاني.

الباب الثالث : جمع الآثار

توطئة

هذا الجزء من البحث، وهو الباب الثّالث منه، محاولة استقصاء وتجميع لمختلف آثار عبد الحميد المتمثّلة في رسائله وأقواله المأثورة والأشعار المنسوبة إليه والأخبار المتعلّقة به.

وهدفت بتحقيق هذه المدوّنة، إلى أن أسدّد نقصا مازال لاحقا بآثار عبد الحميد إلى اليوم ويتمثّل في تشتّتها في المصادر وفي الاختلاف في رواياتها.
وقد كلّفها هذا النّقص -كما لا يخفى- عدم الاهتمام بها بكفاية من طرف النّقّاد وتسبّب لصاحبها في الاختفاء وراء أعلام آخرين لعلّه لا يقلّ عنهم مساهمة في تطوير النّثر العربيّ.

وعساني أن أكون بهذه المحاولة أغنيت القارئ عن عناء الرّجوع إلى المصادر وجنّبته مشقّة التّوفيق بين رواياتها.

كتب الأدب والمختارات

في حين أن الجاحظ لم يحفظ لنا من آثار عبد الحميد شيئا يستحق الذّكر[1] نجد أن المبرّد ضبط في الكامل رسالة طويلة[2] نسبها هو إلى عبد الله بن سالم[3] ونسبها غيره[4] إلى عبد الحميد.

ولولا كتاب اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور[5] لما وصل إلينا من رسائل عبد الحميد إلاّ النّزر اليسير. ويثير هذا الكتـــاب مشاكــل عديـــدة من حيث مخطوطاته ورواياته لآثار عبد الحميد، فهو أقدم المصادر الّتي جمعت رسائل عبد الحميد وأغزرها[6]. وجمع فيه مصنّفه ما اعتبره أداة لثقافة الكاتب والأديب في القرن الثّالث، ولعلّه قصد أن يستعين به على تعليم الكتّاب. فقد كان معلّم كتّأب في سوق الورّاقين ببغداد[7]. ولسنا ندري -على وجه التّحقيق- من أين استقى ابن طيفور الرسّائل الأموية والعبّاسية[8] الّتي ملأ بها يباع في دكاكين الورّاقين من النّفائس الأدبية والوثائق السّياسية الّتي كان الورّاقون ببغداد يعنون يجمعها ونسخها وإذاعتها[9]. ولم تكن لهذا الكاتب شهرة تتناسب مع أصالة مختاراته. ولعلّ ذلك يرجع إلى عدم اشتهار ابن طيفور من جهة وإلى ما يحكى عنه من كثرة التّصحيف وبلادة العلم من جهة ثانية. وجملة القول في هذا الكتاب أنه احتفظ لنا باثنتي عشرة رسالة لعبد الحميد -دون المشكوك في نسبتها- وانفرد برواية إحدى عشرة منها.

والغريب أن محقّقيه لم يجدوا فيه رسالة عبد الحميد إلى الكتّاب[10].

---

[1] لم ينقل الجاحظ من هذه الآثار سوى جملتين من رسالة عبد الحميد إلى أهله ضمن رسالته في الحنين إلى الأوطان، ضمن رسائل الجاحظ : 389.

[2] وهي رسالة إلى خالد القسريّ، الآثار ص ص 380-388.

[3] ترجمته في التّعليق (ب) ص 380 من الآثار.

[4] وهو القلقشنديّ في الصّبح، ج 8 : 350.

[5] هو أبو الفضل أحمد ابن أبي طاهر الملقب بطيفور أو ابن طيفور، ولد ببغداد سنة 819/204 وتوفي بها سنة 893/280، فارسيّ الأصل. قال عنه أحد معاصريه : "كان مؤدّب كتّأب عاملا ثم تخصّص وجلس في سوق الورّاقين في الجانب الشّرقي (من بغداد) ولم أر ممن تشهّر بالعلم بمثل ما تشهّر به من تصنيف الكتب وقول الشعر أكثر تصحيفا منه ولا أبلد علما". عدّ له ابن النديم 43 كتابا أهمّها : تاريخ بغداد (إلى عصر المأمون) (مطبوع). واختيار المنظوم والمنثور (أكثره مازال مخطوط ترجمته في الفهرست صص 209-210، معجم الأدباء، ج 1 : صص 152-157 تاريخ آداب زيدان، ج 1 : صص 504-505، دراسات عن المؤرّخين العرب لمارجليوت ترجمة حسين نصار، طبعة بيروت، ب. ت.، صص 128-129

[6] وهو في 14 جزءا، ولم يبق منه -على ما يبدو- إلا الأجزاء الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر : - الجزء 11 : في بلاغات النّساء وجوابا تهن وأخبار ذوات الرّأي منهن. طبعة أحمد الألفي بمصر سنة 1908. - الجزء 12 : في كلّ قصيدة ورسالة لا يوجد لشيء منها مثل ومنها المعلقات السّبع (مخطوط).- الجزء 13 : في فصول من رسائل مختارة في كل فنّ كتب بها الكتّاب المتقدّمون (مخطوط أيضا). - ولهذا الكتاب في دار الكتب المصريّة نسختان : - الأولى : عدد 587 (ادب). - الثّانية : عدد 1861 (ادب). ويبدو أ،ها منسوخة عن الأولى وتوجد معلومات قيّمة وأوصاف عن هذا الكتاب في : - رسائل البلغاء صص 4-5. - جمهرة رسائل العرب، ج 2 : صص ج. د. وج. 3 ص 5. - فهرس المخطوطات المصوّرة، تصنيف فؤاد سيّد، القاهرة 1954، ج. 1 : 421.

[7] انظر الصفحة السّابقة، التّعليق (5).

[8] حقق أحمد زكي صفوت من هذه الرّسائل أكثر من مائتي وثلاثين (230) رسالة منها تسعة (9) لعبد الحميد ونشرها ضمن الأجزاء الثّاني والثّالث والرّابع من جمهرة رسائل العرب.

[9] الجاحظ، حياته وآثاره : 428.

[10] لم يتسنّ لي الاطلاع المباشر على هذا الكتاب المخطوط. فاعتمدت على تحقيق الأستاذين محمد كرد علي وأحمد زكيّ صفوت له، مع العلم أن دار الكتب المصرية تحتفظ بنسختين خطيّتين من هذا الكتاب (انظر التعليق عدد (1)، الصفحة السابقة). - أولاهما (عدد 587

وحظيت رسالة عبد الحميد في العتاب باهتمام أبي حيّان التّوحيدي فانفرد بإثباتها في البصائر والذّخائر.

ويبدو أنّ رواية ابن خلدون لرسالة عبد الحميد إلى الكتّاب يختلف عما سبقه من روايات لها في المصادر الّتي سبقته أو لحقته زمنيّا.

وتجلى منقولات القلقشندي في صبح الأعشى لبعض الرّسائل السّياسية والدّيوانية بعض الغموض اللاّحق بروايات اختيار المنظوم والمنثور ومقدّمة ابن خلدون.

كتب الكتّاب

نالت آثار عبد الحميد مكانة هامّة في كتب الكتّاب. ومن أقدم هذه الكتب مؤلّف صغير لم يطبع بعد مستقلا لأبي موسى عبد الله بن عبد العزيز الضّرير البغداديّ (ت. بعد 869/255)[1]. وهو كتاب الكتّاب وصفة الدّواة والقلم وتعريفها. ويقول الأستاذ دومينيك سوردال ناشر هذا الأثر في مجلة الأبحاث الشّرقية[2] إن هذا المؤلّف فريد من نوعه برغم صلته بالمؤلفات الخاصّة بكتّاب الدواوين إذ أنه ليس رسالة أدبية (...) كما أنه ليس مصنّفا للاخبار أو مقنّنا لصور الرّسائل المثاليّة وإنما هو مفكّرة تلخّص أهمّ ما يجب على الكاتب معرفته عن مهنته وتقدّم له بعض الأمثلة المشهورة عن الأسلوب الرّائق لبعض الكتّاب.

(...) وهو مصدر أوّليّ يبسط بعض تقاليد الكتابة ونستلطف فيه بعض الفقراتّ المستطرفة من النّثر القديم. وبالفعل تعدّ "الخطبة" الّتي ألقاها إسماعيل[3] بن عبد الحميد الكاتب على الكتّاب من النقد الأصيل لأنّها تعرّف بآثاره كما كان يتصوّرها أدباء القرن الثّالث. ويفيدنا البغدادي بثلاث رسائل لعبد الحميد انفرد برواية اثنتين منها[4].

ويعتبر كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري (ت 942/331) أقدم مصدر روى رسالتي عبد الحميد إلى الكتّاب وإلى أهله.

كتب التّراجم

ادب) رديئة جدا غلب عليها التّحريف والبياض واعتمدها محمد كرد علي في تحقيق رسائل عبد الحميد التي نشرها في رسائل البلغاء. وقد حاول أن يكون أمينا في هذا التّحقيق فاضطرّ مرة إلى حذف جملّ برمّتها والإشارة إليها. ومرّة أخرى إلى إبقائها على علاتها والإشارة إليها بعلامة استفهام إذا كان يفهم مع التّحريف حاصل المعنى. (انظر حول هذا مقدمتي رسائل البلغاء صص 2-5). - امّا الثانية (عدد 1861 ادب) فمنفرجة السّطور ونقل منها المحقق أحمد زكيّ صفوت بعض رسائل عبد الحميد بيده. وقد عارضها بالنّسخة الأولى وببعض المصادر الأخرى. ولم تخل هذه النسخة من بعض التّصحيف والبياض الذي جعلها "كالغادة الحسناء في خلق الرّداء" كما يقول محققها. (انظر جمهرة رسائل العرب، ج 2 : ص د). - واعتمد أحمد فريد رفاعي على كلتا النسختين في طبع بعض رسائل عبد الحميد. ولعله استعان في هذا بنشرتي رسائل البلغاء وجمهرة رسائل العرب (انظر عصر المامون، ج 2 : صص 57 و60). وقد دعاني السّبق الزّمني لكتاب ابن طيفور في رواية الجزء الأكبر من رسائل عبد الحميد الكاتب إلى اعتبار النّصوص المستخرجة منه نصوصا أصلية. وأدرجت -تبعا لذلك- رسائل البلغاء وجمهرة رسائل العرب ضمن المصادر الواردة في تخريج الآثار.

[1] تاريخ أدب بروكلمان، ج 3 : 233.

[2] نشر الأستاذ دومينيك سوردال هذا الكتيّب في مجلة الشّرقيّة التي يصدرها المعهد الفرنسي في دمشق، ج 14، سنة 1954، في 38 صفحة، صص 115-152 من المجلة D.Sourdel, Introduction au livre des secrétaires de Bagdade. In B.E.O. T. XIV pp.115-152. 38 pages. واكتفى دومينيك سوردال بإثبات النّصوص التي انفرد بها هذا الكتاب. أما النّصوص الأخرى الواردة في مصادر أخرى فاستغنى عنها واكتفى بالإحالة إليها في مصادرها. ورمزنا إلى هذا المؤلف بـ"كتاب الكتّاب".

[3] ترجمة إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب، ص 15 من هذه الدّراسة.

[4] عن المقدّمة التي وضعها سوردال، كتاب الكتّاب، صص 1-2.

وكانت المختارات التي ضمّها الثّعالبيّ (1037/429) وابن خلّكان (1282/681) وابن نباتة المصريّ (1368/768) ترجمات عبد الحميد في ثمار القلوب ووفيات الأعيان وسرح العيون متنوّعة الأغراض ومكملة للكثير من النّقص.

الكتب الحديثة

ويرجع الفضل في جمع بعض رسائل عبد الحميد والتّعريف بها لأوّل مرّة إلى الكاتب السّوريّ محمد كرد علي. فقد نشر في كلّ من رسائل البلغاء وأمراء البيان ومجلة المقتبس ومجلة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق إحدى وعشرين رسالة – سوى المشكوك في نسبتها إلى عبد الحميد– وزاد أحمد زكي صفوت على هذه المجموعة القيّمة رسالة واحدة. فبلغ مجموع ما نشراه معا اثنتين وعشرين رسالة. وكان اعتمادهما في ذلك خاصّة على كتاب اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور[1].

وتسنّى لي – بفضل جهود هذين المحقّقين وبفضل ما اهتديت إليه من الرّسائل منسوبا إلى عبد الحميد مشتّتا في المصادر – أن أجمع في هذا البحث تسعا وعشرين رسالة لعبد الحميد.

وأرجو أن أكون ساهمت بهذا في التّعريف بآثار كاتب طالما غبنته الدّراسات بسبب تشتّت كتاباته.

[1] انظر قسم كتب الأدب والمختارات من هذا التحليل، وخاصة التعليق عدد 1 ص 215.

القسم الأوّل : الرّسائل

1. رسالة إلى الكتّاب.
2. خطاب إلى الكتّاب.
3. رسالة إلى وليّ العهد.
4. من رسالة في السلامة.
5. رسالة في الشطرنج.
6. من رسالة في فتنة بعض العمّال.
7. من رسالة في الحثّ على الطّاعة.
8. من رسالة في الطاّعة
9. رسالة إلى بعض الخوارج.
10. من رسالة إلى فرق العرب.
11. من رسالة إلى أبي مسلم الخراساني.
12. رسالة في ذمّ عامل.
13. رسالة في التّعزية.
14. من رسالة في التّعزية.
15. من رسالة في وصف الإخاء.
16. رسالة في وصف الصيد.
17. تحميد في تعظيم أمّة الإسلام.
18. تحميد في تعظيم دين الإسلام.
19. تحميد في فتح.
20. تحميد في أبي العلاء الحروريّ.
21. توقيع.
22. رسالة إلى أخيه.
23. من رسالة إلى أهله.
24. من رسالة إلى صديق.
25. من رسالة في العتاب.
26. من رسالة إلى خالد بن ربيعة الإفريقيّ.
27. رسالة في الوصاة بشخص.
28. رسالة إلى مروان في حاجة.
29. من رسالة في النّاس.

1- رسالة إلى الكتّاب

النص :

1- أمّا بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة[1] وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم، فإنّ الله عزّ وجلّ جعل النّاس بعد الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه[2] عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك[3] المكرّمين أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواء[4]، وصرّفهم في صنوف الصّناعات وضروب المحاولات[5]، إلى أسبب معايشهم[6] وأبواب أرزاقهم[7]، فجعلكم معشر الكتّاب في أشرفها صناعة[8] أهل الأدب والمروءة[9] والحلم والروّية[10] وذوي الأخطار والهمم وسعة الذّرع في الأفضال والصّلة[11] (ا)، بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها[12]، وبتدبيركم وسياستكم[13] يصلــح الله للخلــق[14] سلطانهم، وتعمّر بلدانهم[15]، يحتاج إليكم الملك في عظيم ملكــه، والوالي في القدر السّني والدّينيّ من ولايته[16] لا يستغني عنكــم منهم أحد[17]، ولا يوجد كاف إلاّ منكم، فموقعكم منهم[18] موقع أسماعهم الّتي بها يسمعون، وأبصارهم الّتي بها يبصرون، وألسنتهم الّتي بها ينطقــون، وأيديهم الّتي بها يبطشون. أنتم إذا آلت الأمــور موئلها، وصــارت إلى محاصلها ثقاتهم دون أهليهم وأولادهم وقراباتهم ونصائحهم[19] فأمتعكم الله بما خصّكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم سربال[20] النّعمة عليكم.

2- وليس أحــد من أهـــل الصّناعـــات كلّها[21] أحــوج إلى اجتمــاع[22] خلال الخير المحمــود وخصال الفضل المذكورة المعدودة، منكم أيّها الكتّاب إذا كنتم على مـــا

---

[1] الوزراء : يا أهل هذه الصناعة
[2] وسلامه : ساقط في الصّبح
[3] رسائل البلغاء : الملائكة (نقلا عن بعض 2س6 المقدمة)
[4] الوزراء : سوقا
[5] وضرب المحاولات الوزراء : ساقط في الوزراء
[6] الوزراء: التي سبّب منها معاشهم. - المقدّمة: معاشهم
[7] وأبواب أرزاقهم : ساقط في الوزراء
[8] ----
[9] المقدّمة : المروءات.
[10] المقدّمة : العلم والرزانة. - الصّبح : العلم والرّواية.
[11] وذوي الأخطار والهمم وسعة الذّرع في الإفضال والصّلة : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[12] الوزراء : بكم ينتظم الملك وتستقيم للملوك أمورهم.
[13] المقدّمة : بنصائحكم. - الصّبح : وبنصائحكم.
[14] للخلق : ساقط في الوزراء.
[15] الوزراء : ويجتمع فيهم وتعمر بلدانهم.
[16] يحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه، والولي في القدر السّنيّ والدّنيّ من ولايته : ساقط في المقدّمة والصبح.
[17] المقدّمة والصبّح : لا يستغني عنكم منهم أحد.
[18] المقدّمة والصبح : فموقعكم من الملوك.
[19] أنتم إذا آلت (...) نصائحهم : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[20] المقدّمة والصّبح : : ما أضفاه.
[21] من أهل الصّناعات كلها : ساقط في الصّبح.
[22] الوزراء : استخراج.

يأتي في هــذا الكتـــاب من صفتكم[1]. فإنّ الكاتب يحتـــاج من نفسه[2] ويحتاج منه صاحبه الّذي يثق به في مهمّات أمـــوره أن يكون[3] حليمـــا في موضع الحلم، فقيها في موضع الحكم[4]، مقداما في موضع الإقدام، محجاما[5] في موضع الإحجام، ليّنا في موضع اللين، شديدا في موضع الشّدة[6]، مؤثرا للعفاف والعدل والإنصاف، كتوما للأسرار، وفيا عند الشّدائد، عالما بما يأتي من النّوازل[7]، يضـــع[8] الأمـــور مواضعها والطّوارق أمـــاكنها[9] قد نظر في كلّ فـــنّ[10] من فنون العلم فأحكمه، وإن لم يحكمه شـــدا منه شـــدوا يكتفي به[11]، يكاد[12] يعرف بغريزة عقله، وحسن أدبه، وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعدّ لكلّ أمر عدّته وعتـــاده[13]، ويهيّء لكل وجه[14] أهبته وعادته[15].

3- فتنافسوا – يا معشـــر الكتّاب[16] – في صفوف العلم والأدب[17] وتفقّهوا في الدّين. وابدأوا بعلم كتاب الله عـــزّ وجـــلّ، والفرائـــض ثمّ العربيّـــة، فإنّها ثقاف ألسنتكم، ثمّ أجيـــدوا[18] الخـــطّ، فإنّـــه حليـــة كتبكم، وآرووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيّام العرب والعجـــم وأحاديثهـــا وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم[19]، ولا يضعفنّ نظركم في الحســـاب[20]، فإنّه قوام كتّاب الخراج منكم[21] وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنّيها ودنيّها، وسفســـاف[22] الأمور ومحـــاقـــرها فإنّهـــا مذلّـــة للرّقـــاب مفســـــدة للكتّـــاب، ونزّهوا صناعتكم عن الدّناءات[23]، واربأوا بأنفسكم عن السّعاية والنّميمة، وما فيه أهل الجهالات[24]، وإيّاكم والكبر والصّلف[25] والعظمة فإنّها

---

1 الوزراء : إذا كنتم على ما سبق به الكتاب من صفتكم.
2 المقدّمة : في نفسه.
3 الوزراء : إلى أن يكون.
4 المقدّمة والصّبح : فيهما.
5 في مختلف المصادر : محجما. ـ وأثبتنا محجاما، نقلا عن رسائل البلغاء.
6 ليّنا في موضع اللين، شديدا في موضع الشّدة : ساقط في المقدّمة والصبح.
7 الوزراء : عالما بما يأتي ويذر.
8 في الوزراء والصّبح : ويضع.
9 والطوارق أماكنها : ساقط في الوزراء. ـ المقدّمة : في أماكنها.
10 الوزراء : صنف.
11 المقدّمة والصّبح : وإن لم يحكمه شدا منه شدوا يكتفي به.
12 يكاد : ساقط في المقدّمة والصّبح.
13 وعتاده : ساقط في الوزراء.
14 الوزراء : أمر.
15 عادته : ساقط في الوزراء.
16 أداة النّداء : ساقط في الوزراء
17 المقدّمة والصّبح : في صفوف الآداب.
18 الوزراء : وأجيدوا.
19 المقدّمة والصّبح : على ما تسمو إليه هممكم.
20 المقدّمة والصّبح : ولا تضيّعوا النّظر في الحساب.
21 منكم : ساقط في المقدّمة والصّبح.
22 الوزراء : مساوئ.
23 الدّناءات : ساقط في الوزراء. ـ المقدّمة : الدّناءة.
24 الوزراء : وما فيه أهل الدّناءة والجهالة.
25 الصّلف : ساقط في الوزراء. ـ المقدّمة : السّخف.

عداوة مجتلبة من غير إحنة[1]، وتحابّوا في الله عزّ وجلّ في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل[2] الفضل والعدل والنّبل من سلفكم[3].

4- وإن نبّا الزّمان برجـل منكم فاعطفـوا عليه وواسـوه[4] حتّى يرجع إليه حاله، ويثوب إليه أمـره[5]، وإن أقعـد الكبر أحـدكم[6] عن مكسبـه ولقـاء إخوانـه، فـزوروه وعظّمـوه وشـاوروه واستظهـروا بفضـل رأيـه[7] وتجربتـه وقديـم[8] معرفتـه، وليـكن الرّجـل منكـم على مـن اصطنعـه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحدب[9] وأحوط منه على أخيه وولده[10] فإن عرضت في الشّغل[11] مَحْمدة فليضفها[12] إلى صاحبه[13]، وإن عرضت مذمّة فليحملها هو من دونه، وليحذر السّقطة والزّلّة والملل[14] عند تغيّر الحال، فإنّ العيب إليكم -معشر الكتّاب- أسرع منه إلى الفراء، وهو لكم أفسد منه لها[15].

5- فقد علمتم أن الرّجل منكم إذا صحبه الرّجل، يبذل[16] له من نفسه ما يجب له عليه من حقّه، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه[17] وشكره واحتماله وصبره[18] ونصيحته وكتمان سرّه، وعفافه[19] وتدبير[20] أمره بما هو جزاء لحقّه، ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه[21].

6- فـاستشعـروا ذلـك[22] -وفّقكـم الله- وابذلـوا[23] من أنفسكم[24] في حـال[25] الرّخـاء والشّـدة والحرمـان والمواسـاة والإحسان

---

[1] الوزراء : بغير إحنة.
[2] المقدّمة : لأهل.
[3] الوزراء : وتواصلوا عليها فإنّها شيم أهل الفضل والنّبل من سلفكم.
[4] المقدّمة : أسوة.
[5] ويثوب إليه أمره : ساقط في الوزراء.
[6] المقدّمة : وإن أقعد أحدا منكم الكبر. -الصّبح : وإن اقعد أحدكم الكبر.
[7] رايه : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[8] الصّبح : وقدم.
[9] أحدب : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[10] المقدّمة : أحوط منه على ولده وأخيه. - الصّبح : أحفظ منه على ولده وأخيه.
[11] الوزراء : في العمل.
[12] الوزراء : فلا يضيفها.
[13] المقدّمة والصّبح : فلا يضفها إلا إلى صاحبه.
[14] الوزراء : فليحملها من دونه وليحذر السّقطة والذّلة والملال.
[15] الوزراء : أسرع منكم إلى المرأة. - المقدّمة : أسرع منه إلى القرّاء وهو لكم أفسد منه لها.
[16] المقدّمة : من يبذل.
[17] الوزراء : فقد علمتم أنّ الرّجل منكم قد يصف الرّجل إذا صحبه في بادئ أمره من وفائه.
[18] المقدّمة : وخيره.
[19] عفافه : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[20] الوزراء : تدبيره.
[21] الوزراء : بما هو حرّي أن يحققه بفعاله في غير حين الحاجة إلى ذلك منه
[22] المقدّمة والصّبح : ذلكم.
[23] وابذلوا : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[24] الوزراء : فابذلوا – وفقكم الله – ذلك من نفسكم.
[25] المقدّمة والصّبح : حالة.

والإساءة، والغضب والرضّا[1] والسرّاء والضرّاء، فنعمت الشّيمة[2] هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصّناعة الشريفة.

7- فإذا ولي[3] الرّجل منكم، أو صيّر[4] إليه من أمور[5] خلق الله وعياله[6] أمر، فليراقب الله تعالى ذكره[7]، وليؤثر طاعته[8]، وليكن بالضعيف رفيقا، وللمظلوم منصفا، فإن الخلق عيال الله[9] وأحبهم إليه أرفقهم بعياله[10] ثم ليكن بالعدل[11] حاكما، وللأشراف مكرما ومداريا[12]، وللفيّء موفرا، وللبلاد عامرا، وللرّعية متألّفا، وعن إيذائهم متخلّفا[13]، وليكن في مجلسه متواضعا حليما ليّنا[14] وفي استجلاب[15] خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا.

8- وإذا صحب أحدكم رجلا فليستشفّ[16] خلائقه كما يستشفّ الثّوب يشتريه لنفسه[17]، فإذا عرف حسنها وقبيحها، أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عمّا يهواه من القبيح[18] بألطف حيلة، وأجمل وسيلة[19]، وأحسن مداراة ورفقة[20]، فقد عرفتم[21] أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها[22] التمس معرفة أخلاقها : فإن كانت رموحا[23] اتقاها من قبل رجلها، وان كانت جموحا لم يهجها إذا ركبها وإن كان شموسا توقّاها من ناحية يدها، وإن خاف منها عضاضا توقّاها من ناحية رأسها[24]، وإن كانت حرونا لم يلاحها[25] وقمع في رفق هواها في طرقها[26] وإن[27] استمرت عطفها يسيرا

---

[1] والإساءة والغضب والرّضا : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[2] الوزراء : الشّيمة. - المقدّمة : الشّيمة.
[3] المقدّمة : وإذا ولي.
[4] الوزراء : وصيّره.
[5] المقدّمة الصّبح : من أمر.
[6] الوزراء : عباده.
[7] المقدّمة والصّبح : عز وجل.
[8] الوزراء : طلعته فيه.
[9] الوزراء : عباد الله.
[10] الوزراء : بعباده.
[11] الوزراء : بالحقّ.
[12] مداريا : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[13] عن إيذائهم متخلفا : ساقط في الوزراء.
[14] ليّنا : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[15] المقدّمة والصّبح : في سجلات. - وتجنبت هذه الكلمة رغم أهميتها الحضارية لعدم تلاؤمها مع صفة رفيق.
[16] المقدّمة والصّبح : فيختبر.
[17] كما يستشف الثّوب يشتر به لنفسه : ساقط في المقدمة والصبح.
[18] الوزراء : واحتال لصرفه عمّا لا يوافقه من القبيح. - المقدّمة : القبح.
[19] وأجمل وسيلة : ساقط في الوزراء.
[20] وأحسن مداراة ورفقه : ساقط في المقدمة والصّبح.
[21] المقدّمة والصّبح : علمتم.
[22] الوزراء : إذا كان حاذقا بسياستها.
[23] الصّبح : شبوبا.
[24] هكذا في الوزراء. أما روايتا المقدمة والصبح فهما كما يلي : فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها، وإن كانت شبوبا اتقاها من بين يديها وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها.
[25] لم يلاحها : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[26] الوزراء والصّبح : طريقها.
[27] المقدمة والصّبح : فان.

فيسلس له قيادها، وفي هذا الوصف من سائس البهيمة ورفق سياسته دليل وأدب[1] لمن ساس النّاس وعاملهم وجرّبهم وداخلهم[2].

9- والكاتب، بفضل أدبه[3] وشريف صنعته، ولطف حيله ومعاملته لمن يحاوره من النّاس ويناظره، ويفهم عنه أو يخاف[4] سطوته، أولى بالرّفق بصاحبه[5] ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة الّتي لا تحير جوابا، ولا تعرف صوابا، ولا تفهم خطابا[6] إلا بقدر ما يسيّرها إليه سائسها[7] أو صاحبها الرّاكب عليها[8]، فأدقّوا – يرحمكم الله، النّظر[9]، واعملوا فيه ما أمكنكم[10] من الرّؤية والفكر تأمنوا – بإذن الله – ممن صحبتموه النّبوة والاستثقال والجفوة[11] ويصر[12] منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه[13] إلى المواساة[14] والشّفقة إن شاء الله تعالى[15].

10- ولا يجاوزنّ[16] الرّجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه، ومركبه ومشربه، وبنائه وخدمه، وغير ذلك من فنون أمره، قدر[17] حقّه، فإنكم – مع ما فضّلكم الله به من شرف صناعتكم[18]– خدمة لا تحملون[19] في خدمتكم على التّقصير، وخزّان[20] وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التّضييع والتّبذير[21]، واستعينوا على عفافكم بالقصد في كلّ ما عدّدت لكم[22]، فنعم العون عونكم في صيانة دينكم – وحفظ أمانتكم، صلاح معاشكم[23]، واحذروا متالف السّرف، وسوء عاقبة التّرف، فإنّهما يعقبان الفقر، ويذلاّن الرّقاب، ويفضحان أهلهما، ولاسيّما[24] الكتّاب وأرباب الآداب[25]، وللأمور[26] أشباه، وبعضها دليل على بعض،

---

[1] المقدمة والصّبح : دلائل.
[2] الوزراء : وخدمهم وصحبهم. - الصّبح : وخدمهم وداخلهم.
[3] في نسخة خطّية من المقدّمة : لفضل، نقلا عن رسائل البلغاء.
[4] الوزراء : ويخاف.
[5] المقدّمة : لصاحبه.
[6] الوزراء : ولا تعرف خطا ولا صوابا.
[7] سائسها : ساقط في المقدّمة.
[8] الوزراء : لها.
[9] المقدّمة : الا فارقوا – رحمكم الله – في النّظر. - الصّبح : فامعنوا – رحمكم الله – في النّظر.
[10] المقدّمة : ما أمكنكم فيه.
[11] الوزراء : تأمنوا ممن صحبتموه بإذن الله.
[12] الوزراء : ويصيروا، ولا يستقيم به المعنى. - المقدّمة والصّبح : ويصبر منكم. وفضلنا ما انبتناه لأنّه جواب شرط.
[13] الوزراء : منهم.
[14] المقدّمة والصّبح : المؤاخاة.
[15] تعالى : ساقط في المقدّمة.
[16] الوزراء : يجوزن.
[17] الوزراء : صناعته.
[18] المقدّمة : صناعتكم.
[19] الوزراء : خدم لا تحتملون.
[20] خزّان : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[21] الوزراء : لا يحتمل منكم التصييع والتبذير.
[22] المقدّمة والصّبح : في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم.
[23] فنعم العون (...) : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[24] المقدّمة : سيما.
[25] وأرباب الآداب : ساقط في الوزراء.
[26] الوزراء : الأمور.

فاستدلّوا على مؤتلف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم، ثم اسلكوا من مسالك التّدبير أوضحها محجّة، وأصدقها[1] حجّة وأحمدها عاقبة.

11- واعلموا أنّ للتّدبير آفة متلفة[2]، وهي الوصف الشّاغل لصاحبه على إنفاذ عمله ورويّته[3]، فليقصد الرّجل منكم في مجلس تدبيره[4] قصد الكافي من منطقه[5] وليقتصد في كلامه[6]، وليوجز في ابتدائه وجوابه[7]، وليأخذ بجامع حججه[8]، فإن ذلك مصلحة لمقله[9]، ومجمّة (ب) لذهنه[10]، ومدفعة للتّشاغل عن إكثاره، وإن لم يكن الإكثار عادة ثم وضع موضعه في ابتداء كتاب أو جواب عند الحاجة فلا بأس[11].

12- ولا يدعونّ الرّجل منكم صنع الله تعالى ذكره له في أمره، وتأييده إياه بتوفيقه، إلى العجب المضرّ بدينه وعقله وأدبه[12]، فإنّه إن ظنّ منكم ظانّ، أو قال قائل، أنّ الّذي برز من جميل صنعته، وقوّة حركته إنما هو بفضل حيلته[13] وأصالة رأيه[14]، وحسن تدبيره، فقد تعرّض بظنّه[15] أو مقالته إلى أن يكله الله عزّ وجلّ إلى نفسه[16] فيصير منها إلى غير كاف. وذلك -على من تأمّله- غير خاف[17].

13- ولا يقل[18] أحد منكم إنه آدب وأعقل[19] وأبصر بالأمور[20]، واحمل لعبء التّدبير والعمل[21] من موافقه في صناعته[22]، ومصاحبه في خدمته[23]، فإنّ أعقل الرّجلين عند ذوي الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره[24] ورأي[25] أنّ صاحبه[26] أعقل منه، وأحمد

---

[1]الوزراء : أرجحها.
[2]الوزراء : واعلموا أن للتبذير آفة وضدا، وأنهما لا يجتمعان في أحد أسدا. (وهو تصرّف من محقق الوزراء فرضه بياض في الأصول).
[3]المقدّمة : إنفاذ علمه ورويّته. - الصّبح : إنفاذ علمه ورؤيته.
[4]المقدّمة والصّبح : في مجلسه.
[5]الوزراء : في منطقه.
[6]الوزراء : وليقصد في كلامه. - وليقتصد في كلامه : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[7]وجوابه : ساقط في الوزراء.
[8]الوزراء : وليأخذ بجامع حججه حجّته.
[9]المقدّمة والصّبح : لفعله.
[10]ومجمّة لدهنه : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[11]وإن لم يكن الإكثار عادة (...) فلا بأس : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[12]المقدّمة والصّبح : فليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة الوقوع في الغلط المضرّ ببدنه وعقله وأدبه. - في الوزراء : آدابه.
[13]الوزراء : ان ذلك الصّنع لفضل حيلته.
[14]وأصالة رأيه : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[15]المقدّمة : قد تعرّض بحسن ظنّه.
[16]الوزراء : كان متعرّضا إلى أن يكله الله إلى نفسه.
[17]وذلك على من تأمّله غير خاف : ساقط في الوزراء.
[18] المقدمة لا يقول
[19] آداب واعقل : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[20] ابصر بالأمور : ساقط في الوزراء.
[21] العمل : ساقط في المقدّمة والصّبح.
[22] في المقدّمة والصّبح : مرافقه في صناعته.
[23] مصاحبه في خدمته : ساقط في الوزراء.
[24] من رمى بالعجب وراء ظهره : ساقط في الوزراء.
[25] الوزراء : والقائل.
[26] المقدّمة : أصحابه.

في طريقته[1]، وأحمقهما الّذي يرى أنه أعقل من صاحبه، لعجب هذا بنفسه ونبذ ذاك العجب وراء ظهره، إذا أنه الآفة العظمى من آفات عقله[2].

وعلى كلّ واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله – جلّ ثناؤه – من غير اغترار برأيه، ولا تزكية لنفسه، ولا تكاثر على أخيه[3] أو نظيره، وصاحبه وعشيره، وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتّواضع لعظمته، والتّذلّل لعزّته، والتّحدّث بنعمته[4].

14- وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل :

"من يلزم الصحّة يلزمه العمل" [5] ، وهو جوهر هذا الكتاب وغرّة كلامه بعد الّذي فيه من ذكر الله –عزّ وجلّ– فلذلك جعلته آخره وختمته به[6]، تولاّنا الله وإيّـــاكم يا معشر الطّلبة والكتبة[7] بما يتولّى به من سبق عمله بإسعاده وإرشاده [8]، فإنّ ذلك إليه وبيده، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[1] واحمد في طريقته : ساقط في الوزراء.
[2] واحمقهما الذي يرى (...) من آفات عقله : ساقط في المقدّمة والصنبح.
[3] المقدمة : لا يكاثر عل أخيه
[4] في الوزراء اختلاف تامّ في رواية هذه الجملة : يقول : ولكن قد يلزم الرّجل ان يعرف فضل نعمة الله عليه من غير عجب برأيه ولا تزكية لنفسه، وقد تكاثر على أخيه وكفنه، ويشكر الله ويحمده بالتّواضع لعظمته.
[5] المقدّمة : من تلزمه النصيحة يلزمه العمل.
[6] المقدّمة : ولذلك جعلته اخره وتممته به. - الصنبح : جعلته اخرا.
[7] الوزراء : معشر الكتاب.
[8] الوزراء : من سبق علمه في سعادته وارشاده

2- خطاب إلى الكتّاب (أ)

النّصّ :

....

1- "أنتم - معشر الكتّاب- خيار الخيار، وذوو الخطار (ب)، على أيديكم مجاري الخير والنّعم، تقومون بجمل الآداب برغبة حتّى تصير إلى رشدها أو غيّها ليس فوقكم رغبة لذي طلب. فأفضلكم الفاضل، وخيركم الخيّر أئمة مطاعة، وساسة مهابة، تشهدون ما غاب النّاس عنه، أعياركم مطراة، وأفنيتكم عامرة، وخيركم منتظر، وشرّكم مخوف. من تقرب منكم فيه هوى ارتفعت به درجات الشّرف، ومن احتملتم عليه زلّت به قدمه، فليست حال يبتغي بها كاتب من ربّه منزلة ما خلا الرّئاسة بعدها في مكان الكاتب[1] من غايته الّتي هو فيها أصول إن صال ولا أنفذ إن قال مقالا منه.

2- فلتكن خطاركم حيث وضعكم الله من عباده وفي بلاده، فإنّه لا أقبع من كاتب دقّ ظهره وصغر خطره في المعروف أن يتبعه أو يباع له (؟)، فاجعلوا أسدّاء المعروف إلى النّاس بخيراتكم[2] المربحة، إن شاء الله".

<u>*الشّرح والتّعليق :*</u>

(أ) - ورد هذا الخطاب في كتاب الكتّاب منسوبا لعبد الحميد وتابعا لرسالته إلى خالد بن ربيعة الإ فريقي (انظر ترجمة خالد في الدراسة ص 36 ورسالة عبد الحميد إليه الآثار ص 358) ولم يصرّح البغدادي إن كان اختاره من رسالة أخرى أو أنّه وجده مستقلاّ. وإذا اعتبرنا إلحاح عبد الحميد في هذا الخطاب على الإشادة بدور الكتّاب ورفعة شأنهم يمكن لنا تقديم افتراضين :

- أوّلهما أنّ هذا الخطاب قطعة من الرّسالة إلى خالد بن ربيعة الّتي ذكر فيها مشقّة عمل الكاتب.

- وثانيهما أنّه قسم محذوف من الرّسالة إلى الكتّاب (الرّسالة السّابقة). إنّ صيغة الخطاب المباشر للجمع فيه تجعلنا نستبعد الافتراض الأول فرسالة عبد الحميد إلى خالد تتحدث عن الكاتب بصفة عامّة. ولا مبرّر في أن يحدّث عبد الحميد مجموعة الكتّاب في رسالة يعني بها شخصا واحدا.

أما الافتراض الثّاني فغير مستبعد فموضوعا الرّسالة والخطاب واحد وهو نصح أخلاقيّ وشروط سلوكية وإشادة بقيمة الكتّاب. كما أنّ أسلوب الخطاب المضطرب وتقطع جمله يدعوان إلى اعتباره فقرة محذوفة من الرسالة الدّيوانية الطّويلة ولعلّ هذا الخطاب قطعة مسوّدة محذوفة منها.

وذكر حسن حسني عبد الوّهاب إنه "قطعة مختارة" منها.

(انظر ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، القسم الأوّل : 156). نشر مكتبة المنار، تونس 1972.

(ب) الخطار : لعلّها جمع لخطر ووهو الارتفاع والشّرف. ولعلّها أيضا مصدر من خاطر بنفسه. وبذلك يكون معناها المصائب.

---

[1] في الأصل : "ما خلا الرّئاسة بعدك مكان الكاتب".

[2] في الأصل : "بجاراتكم" ولا يستقيم المعنى بها.

3- رسالة إلى وليّ العهد

النّصّ :

....

1- أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين – عندما اعتزم عليه من توجيهك [أ] إلى عدوّ الله الجلف الجافي الأعرابيّ المتسكّع في حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوي الهلكة ورعاعه الّذين عاثوا في أرض [1] الله فسادا وانتهكوا حرمة الإسلام [2] استخفافا، وبدّلوا نعم [3] الله كفرا، واستحلوا دماء أهل سلمه جهلا –

أحبّ أن يعهد إليك في لطائف أمورك، وعوّام شؤونك [4]، ودخائل أحولك، ومضطرب [5] تنقّلك عهدا يحمّلك فيه أدبه، ويشرع لك به [6] عظته، وإن كنت –والحمد لله– من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد مختصّا [7] لك بذلك دون لحمتك وبني أبيك.

2- ولولا ما أمر الله به دالاّ عليه، وتقدّمت فيه الحكماء آمرين به من تقديم العظة والتذكير لأهل المعرفة – وإن كانوا أولي سابقة في الفضل وخصّيصاء [ب] في العلم [8] – لاعتمد أمير المؤمنين [9] على اصطناع الله إيّاك، وتفضيله لك [10] بما رآك [11] أهله في محلّك من أمير أمير المؤمنين، وسبقك إلى رغائب أخلاقه، وانتزاعك محمود شيمـــه، واستيلائك على مشابـــه [12] تدبيره. ولو كـــان المؤدّبون أخذوا العلم من عند أنفسهم، ولقّنوه [13] إلهاما من تلقائهم، ولم يتعلّموا شيئا [14] من عند غيرهم، لنخلناهم علـــم الغيـــب، ووضعناهم بمنزلـــة خالقهم [15] المستأثر بعلم الغيب دونهم [16] بوحدانيّته وفردانيّته في إلهيّته وسابق لاهوتيته [17] احتجابا [18] منهم لتعقّب في حكمه، وتثبّت في سطانه، وتنفيذ (لـــ) إرادته على سابق مشيئته، ولكنّ العالم الموفّق للخير، المخصوص بالفضل، المحبّو بمزيّة العلم [19]، أدركه معانا عليه بلطف بحثه [20]، وإذلال كنفه، وصحّة فهمه، وهجر سآمته.

3- وقد تقدّم أمير المؤمنين إليك، آخذا [21] بالحجّة عليك، مؤدّيا حقّ الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حقّك وما ينظر به [22] الوالد المعنيّ الشّفيق لولده، وأمير المؤمنين يرجو أن ينزّهك الله من كلّ قبيح [23] يهشّ له طمع، وأن يعصمك من كلّ مكروه حاق [ت] بأحـــد، وأن يحصّنك من كـــلّ آفة استولـــت على امـــرئ في دين أو خلق، وأن يبلّغه فيك أحسن ما لم يزل يعوّده ويريه من آثار نعمة الله عليك [24]، سامية بك إلى ذروة الشّـــرف، متبحبحـــة بك بسطـــة الكرم [25]، لائحـــة بك في أزهر معالي الأدب، مورثة لك أنفس ذخائر العزّ [26].

4- والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ويسألــ(ــه) حياطتك [27]، وأن يعصمك من زيغ الهوى، وأن يحضرك دواعي [28] التّوفيق، معانا على الإرشاد فيه فإنّه لا يعين على الخير ولا يوفّق له إلاّ هو.

5- اعلم أنّ للحكمة مسالك تفضي مضايق أوائلها - بمن أمّها سالكها، وركب أخطارها [29] قاصدا - إلى سعة عاقبتها، وأمن سرحها، وشرف عزّها، وأنّها لا تعار [30] بمستخفّ الخفّة، ولا تنشأ [31] بتفريط الغفله، ولا يتعدّى فيها بامرئ حدّه [32]، وربّما أظهرت بسطة الغيّ مستور العيب [33]، وقد تلقّتك أخلاق الحكمة من كلّ جهة بفضلها من غير تعب البحث في إدراكها [34] ولا تطاول لمنال ذروتها [35]، بل تأثّلت [٤] منها أكرم نبعاتها [36]، واستخلصت منها [37] أعتق جواهرها، ثمّ سموت[38] إلى لباب مصاصها، وأحرزت منفس ذخائرها، فاقتعد ما أحرزت، ونافس فيما أصبت.

6- واعلم أنّ احتواءك على ذلك، وسبقك إليه بإخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثرا لها، وإضمار طاعته [39] منطويّا عليها [40]، وإعظام ما أنعم الله [41] به عليك شاكرا له [42] مرتبطا فيه [43] للمزيد بحسن الحياطة له والذّبّ عنه من [44] أن تدخلك منه سآمة ملال أو غفلة ضياع [45] أوسنّة تهاون أو جهالة معرفة، فإنّ ذلك أحقّ ما بدئ به ونظر فيه معتمدا عليه بالقوّة [46] والآلة والعدّة [47]، والانفراد به [48] من الأصحاب والحامّة [٥]، فتمسك به لاجئا إليه، واعتمد عليه مؤثرا له، والتجئ إلى كنفه [49] متحرّزا به [50] فإنّه [51] أبلغ ما طلب به رضا الله وأنجعه مسألة، وأجزله ثوابا، وأعوده نفعا [52]، وأعمّه صلاحا -أرشدك [53]، الله لحظّك، وفهّمك سداده، وأخذ بقلبك إلى محموده.-

7- ثمّ اجعل في كلّ صباح - ينسم عليك ببلوغه، ويظهر منك السّلامة في إشراقه - من نفسك [54] نصيبا تجعله له [55] شكرا على إبلاغه إيّاك ذلك بصحّة جوارح [56] وعافية بدونسقم وسبوغ نعم، وظهور كرامة، وأن تقرأ فيه [57] من كتاب الله عزّ وجلّ [58] جزءا تردّد رأيك في أدبه [59]، وتزيّن [60] لفظك بقراءته، وتحضره[61] عقلك ناظرا في محكمه، وتتفهّمه [62] متفكّرا [63] في متشابهه، فإنّ في القرآن [64] شفاء القلوب [65] من أمراضها، وجلاء وساوس الشّيطان وسفاسفه [66]، وضياء معالم النّور، وتبيانا لكلّ شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون [٦].

8- ثمّ تعهّد نفسك بمجاهدة هواك، فإنّــه مغلاق الحسنــات، ومفتاح السّيّئات، وخصم العقــل [67]. واعلم أنّ كــلّ أهوائــك [68] لك عــدوّ يحــاول هلكتك، ويعترض غفلتك لأنّها خدع إبليس، وحبائل [69] مكره، ومصايد مكيدته، فاحذرها مجانبا لها [70]، وتوقّها محترسا منها، واستعذ بالله عزّ وجلّ، وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية [٧] فيه، وحزم نافذ لا مثنويّة [٨] لرأيك بعد إصداره [71] وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه، ومضــاءة صارمــة لا أناة معها ونيّة صحيحة لا خلجة شكّ فيها، فإنّ ذلك بادرة

صدق لك على ردعها (72) وقطعها (73) دون ما تتطلّع إليه منك، وهي واقية سخطة ربّك، داعية إليك (74) رضا العامّة عنك (75)، ساترة عليك عيب من دونك، فازدن بها متحلّيا (76)، وأصب بأخلاقك مواضعها الحميدة منها، وتوقّ عليها الآفة (77) الّتي تقطعك (78) عن بلوغها، وتقصر بك عن ساميها (79)، فإنّ المؤونة (٩) إنّما اشتدّت، مستصعبة، وفدحت باهظة أهل الطّلب لأخلاق أهل الكرم، المنتحلين سموّ القدر، بجهالة مواضع ذميم الأخلاق ومحمودها، حتّى فرّط أهل التّقصير في بعض أمورهم، فدخلت الآفات من جهات أمنوها، فنسبوا إلى التّفريط، ورضوا بالذّلّ المنزل، فأقاموا به جاهلين بموضع الفضل، عميهين عن درج الشّرف، ساقطين دون منزلة أهل الحجا (80)، فحاول بلوغ غايتها (81) محرزا لها بسبق اللّب إلى إصابة الموضع، محصّنا أعمالك (82) من العجب فإنّه رأس الهوى، وأوّل الغواية، ومقاد الهلكة، حارسا أخلاقك من الآفات المتّصلة بمساوئ العادات وذميم إيثارها (83)، من حيث أتت الغفلة، وانتشر الضّياع، ودخل الوهن، فتوقّ غلوب (84) الآفات على عقلك، فإنّ شواهد الحقّ ستظهر بأماراتها تصديق رأيك عند ذوي النّهى (١٠) (85)، وأهل الرّأي وفحص النّظر، فاجتلب لنفسك محمودّ الذّكر، وباقي لسان الصّدق بالحذر لما تقدّم إليك فيه أمير المؤمنين متحرّزا من دخول الآفات عليك من حيث أمنك وقلّة ثقتك بمحكمها : من ذلك (86) أن تملك أمورك بالقصد، وتصون سرّك بالكتمان، وتداري جندك بالإحسان (87)، وتداوي حقدك بالإنصاف (88)، وتحلي نفسك بالعدل، وتصلحّ عيوبك بتقويم أودك (١١)، وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردي (89)، وأناتك فوقّها الملال وفوت العمل ومضائتك فدرّعها رؤيّة النّظر (90) واكتنفها (91) بأناة الحلم، وخلواتك (92) فآحرسها من الغفلة واعتماد الرّاحة، وصمتك فآنف عنه عيّ اللّفظ وخف فيه (93) سوء القالة (١٢)، واستماعك فارعه حسن التّفهّم وقوه بإشهاد الفكر، وعطاءك فامهد (94) له بيوتات الشّرف وذوي الحسب وتحرّز فيه من التّرف واستطالة البذخ وامتنان الصّنيعة (95)، وحياءك فآمنعه من الحجل وبلادة الحصر (96)، وحلمك فارعَه من التّهاون وآحضره قوّة الشّكيمة (١٣)، وعقوبتك فقصّر بها عن الإفراط، وتعمّد بها أهل الاستحقاق، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق، وخذ به واجب المفترض وأقم به أود الدّين، واستئناسك فآمنع منه البذاءة (١٤) وسوء المثافنة (١٥) (97)، وتعهّدك أمورك فحدّه(98) أوقاتا وقدّره ساعات لا تستفرغ قوّتك وتستدعِ سآمتك (99)، وعزماتك (100) فآنف عنها عجلة الرّأي ولجاجة الأقدام، وفرحاتك فآشكمها عن البطر (١٦) وقيّدها عن الزّهو، وروعاتك فخلها من دهش الرّأي واستسلام الخضوع، وحذارتك فآصرفها(101) عن الجبن واعمد بها للحزم(102) ورجاءك فقيّده بخوف العانت وأمنك بروع الطلب.

9- هذه جوامع خلال (103) دخائل النّقص (104) منها واصل إلى العقل بلطائف أبنه (١٧) (105) وتصاريف حويله، فأحكمها عارفا بها (106)، وتقدّم في الحفظ لها معتزما

على الأخذ بمراشدها، والانتهاء منها إلى حيث بلغت بك عظة أمير المؤمنين وأدبه، إن شاء الله.

10- ثمّ لتكن (107) بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرّك أهل الفقه والورع من خاصتّة (108) وعامّة قوّادك ممّن قد حنّكته السّنّ بتصاريف الأمور، وخبطته قصالها (١٨) بين فراسن (١٩) (109) البزّل (٢٠) منها، وقلّبته الأمور في فنونها، وركب أطوارها عارفا بمحاسن الأمور ومواضع الرّأي وعين المشورة (110)، مأمون النّصيحة مطويّ (111) الضّمير على الطّاعة.

11- ثمّ أحظرهم من نفسك وقارا يستدعي لك منهم (112) الهيبة، واستئناسا يعطف إليك منهم العودّة (113)، وإنصاتا يفلّ إفاضتهم عندك بما تكره أن ينشر عنك من سخافة الرّأي (114) وضياع الحزم، ولا يغلبنّ عليك هواك فيصرفك عن الرّأي (115) ويقطعك (116) دون الرّأي.

12- وتعلّم أنّك وإن (117) خلوت بسرّ فألفيت دونه سورك، وأغلقت عليه أبوابك، فذلك -لا محالة- مكشوف للعامّة – وإن آستترت بـــ"ربّما" و"لعلّ" و"ما أرى إذاعة ذلك" (٢١) و"أعلم" (٢٢) (118) بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن. فتقدّم في إحكام ذلك من نفسك، وسدّ خلله عنك (119)، فإنّه ليس أحد أسرع إليه سوء القالة ولغط العامّة بخير أو شرّ ممّن كان في مثل حالك ومكانك الّذي أصبحت فيه من دين الله والأمل المرجوّ المنتظر فيك (120).

13- وإيّاك أن يغمز فيــك أحــد من حامّتك وبطاقة خدمك بضعفة يجــد بها مساغــا إلى النّطق عنــدك بما لا يعتز لك عيبــه، ولا تخلو من لائمته، ولا تأمن سوء الأحدوثة (121) فيه، ولا يرخص سوء القالة به (122) إن نجم ظاهرا وعلن (123) باديا، ولن يجترئوا على تلك عندك إلاّ أن يروا منك إصغاء إليها، وقبولا لها، وترخيصا لهم في الإفاضة بها (124).

14- ثمّ إيّاك أن يفاض (125) عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك الّتي يستخفّ بها أهل البطالة، ويتسرّع نحوها ذوو الجهالة، ويجد فيها أهل الحسد منالا لعيب يذيعونه (126)، ولطعن (127) في حقّ يجحدونه، مع ما في ذلك من نقص الرّأي، ودرن العرض، وعدم الشّرف، وتأثيل (٢٣) الغفلة، وقوّة طباع السّوء الكامنة في بني آدم كمون (128) النّار في الحجر الصّلد فإذا قدح لاح شرره وتلهّب وميضه (129)، ووقد تضرّمه، وليست في أحد أقوى سطوة وأظهر توقّدا، وأعلى كمودا، وأسرع إليه بالعيب، وتطرّق الشّين (130) منها إلى من كان (131) في مثل سنّك(132) من إغفال الرّجال وذوي العنفوان في الحداثة، الّذين لم تقع عليهم سمات الأمور، ناطقا عليهم لائحها، ظاهرا عليهم (133) وسمها ولم تمحضهم (٢٤) شهامتها، مظهرة للعامّة فضلهم، مذيعة

حسن الذّكر عنهم، ولم يبلغ بهم الصّيت في الحنكة مستمدا [134] يدفعون به عن أنفسهم نواطق ألسن أهل البغي، ومواد أبصار أهل الحسد.

15- ثمّ تعهّد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السّلطان، والقدرة من إبطار [٢٥] الذّرع [135] ونخوة الشّرف [136] والتّيه وعيب الصّلف [137]، فإنّها تسرع بهم إلى فساد رأيهم [138] وتهجين عقولهم في مواطن جمّة وأنحاء مصطرفة [139]، منها قلّة اقتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامّة، فمن مقلقل شخصه بكثرة[140] الالتفات عن يمينه وشماله [141] تزدهيه الخفّة، ويبطره إجلاب الرّحال حوله، ومن مقبل في موفيه على مداعبة مسايره بالمفاكهة [142] له، والتّضاحك إليه، والإيجاف [٢٦] في السّير مهمّرجا [٢٧] [143]، وتحريك الجوارح مستسرعا [144]، يخال [145] أنّ ذلك أسرع له وأحثّ [146] لمطيّته، فلتحسن في ذلك هيئتك، ولتجمل فيه دعتك [147] وليقلّ على مسايرك [148] إقبالك، إلاّ وأنت مطرق النّظر غير ملتفت إلى محدّث، ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحادثته ولا مخفّ [149] في السّير، مقلق [٢٨] لجوارحك[150] بالتّحريك والاستنهاض [151] فإنّ حسن مسايرة الوالي واتّداعه في تلك الحالة [152] دليل على كثير من غيوب أمره ومستتر أحواله.

16- واعلم أنّ أقواما سيسرعون إليك بالسّعاية، ويأتونك من قبل النّصيحة[153]، ويستميلونك بالإغراء والشّبهة، ويوطئونك عشوة [٢٩] الحيرة ليجعلوك لهم ذريعة في استنكال العامّة بموضعهم منك في القبول منهم [154]، والتّصديق لهم على ما قرفوه بتهمة أو أسرعوا بك في أمر إلى الظّنّة، فلا يصلنّ إلى مشافهتك ساع بشبهة، ولا معروف بتهمة ولا منسوب إلى بدعة، فيعرّضك [155] لإيتاغ [٣٠] دينك [156]، ويحملك على رعيّتك بما لا حقيقة له عندك [157]، ولحمك [٣١] أعراض قوم[158] لا علم لك بدخلهم إلاّ بما أقدم عليهم ساعيا، وأظهر لك منهم منتصّحا [159].

17- وليكن صاحب شرطتك، ومن أحببت أن يتولّى ذلك من قوّادك إليه إنهاء ذلك، هو المنصوب لأولئك [160] والمستمع لأقاويلهم، والفاحص عن نصائحهم، ثمّ لينه ذلك إليك على ما يرفع [161] إليه منه، لتأمره بأمرك فيه، وتوقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامّة، فإن كان صوابا نالتك خطوته [162]، وإن كان خطأ أقدم به عليك [163] جاهل أو فرطة [٣٢] سعى [164] بها كاذب، فنالت السّاعي منهما [165] أو المظلوم عقوبة، وبدر من واليك إليه نكال [166]، لم يعصب ذلك الخطأ بك، ولم تنسب إلى تفريطه [167]، وخلوت [168] من موضع الذّم فيه محضرا إليه ذهنك وصواب رأيك [169].

18- فافهم ذلك [170]، وتقدّم إلى من تولّى ذلك الأمر وتعتمد عليه فيه أن لا يقدم على شيء ناظرا فيه [171]، ولا يحاول أخذ أحد طارقا له، ولا يعاقب أحدا منكّلا به، ولا يخلّي [172] سبيل أحد صافحا عنه لإظهار [173]

براءته وصحّة طريقته حتّى يرفع إليك أمره وينهي إليك قضيّته على جهة الصّدق ومنحى الحقّ ويقين الخبر (174)، فإن رأيت عليه سبيلا لمحبس أو مجازا لعقوبة أمرته بتولي ذلك من غير إدخاله عليك (175)، ولا مشافهة لك منه (176)، فكان المتولى لذلك، ولم يجر على يديك مكروه رأي و لا غلظة عقوبة (177).

وإن وجدت إلى العفو عنه سبيلا : أو كان ممّا قرف به خليّا، كنت أنت المتولّي للإنعام عليه بتخلية سبيله، والصّفح عنه بإطلاق أسره، فتولّيت أجر ذلك، وآستحققت (178) ذخره، وأنطقت لسانه (179) بشكرك، وطوّقت قومه حمدك، وأوجبت عليهم حقّك (180)، فقرنت بين (181) خصلتين، وأحرزت حظوتين (182) : ثواب اللّه في الآخرة ومحمود الذّكر في العاجلة (183).

19- ثمّ إيّاك أن (184) يصل إليك أحد من جندك وجلسائك وخاصّتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك، أو حاجة يبدهك (٣٣) بطلبها حتّى يرفعها قبل ذلك (185) إلى كاتبك الّذي أهدفته لذلك، ونصبته له، فيعرضها عليك منهيا لها على جهة صدقها (186)، ويكون على معرفة من قدرها، فإن أردت إسعافه بها (187)، ونجاح ما سأل منها (188)، أذنت له في طلبها باسطا له كنفك، مقبلا عليه بوجهك، مع ظهور سرور منك (189) بما سألك، وفسحة رأي وبسطة ذرع وطيب نفس، وإن كرهت قضاء حاجته، وأحببت ردّه عن طلبته، وثقل عليك إجابته إليها(190) وإسعافه بها، أمرت كاتبك فصفحة عنها، ومنعه من مواجهتك بها، فخفّت عليك في ذلك المؤونة وحسن لك الذّكر، ولم ينشر عنك تجهّم الرّدّ، وينلك سوء القالة في المنع (191)، وحمل على كاتبك في ذلك (192) لائمة أنت منها بريء السّاحة.

20- وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود، وأتاك من الرّسل، فلا يصلنّ إليك أحد منهم إلاّ بعد وصول علمه إليك، وعلم ما قدم له عليك، وجهة ما هو مكلّمك به (193)، وقدر ما هو سائلك إيّاه إذا هو وصل إليك فأصدرت رأيك في حوائجه (194)، وأجلت فكرك في أمره، واخترت معتزما على إرادتك في جوابه (195)، وأنفذت مصدور (196) رويّتك في مرجوع مسألته قبل (197) دخوله عليك، وعلمه بوصوله وإحالته إليك، فرفعت عنك (198) مؤونة البديهة، وأرخيت عن نفسك وخناق الرّويّة، وأقدمت على ردّ جوابه بعد النّظر وإحالة الفكر فيه (199)، فإن دخل عليك أحد منهم فكلّمك بخلاف ما أنهى إلى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفعته عنك دفعا جميلا، ومنعته جوابك منعا وديعا (200)، ثمّ أمرت بإظهار الجفوة له والغلظة عليه (201) ومنعه من الوصول إليك، فإنّ ضبطك لذلك ممّا يحكم لك تلك الأسباب (202) صارفا عنك مؤونتك، ومسهّلا عليك مستصعبها (203)، إن شاء الله.

21- احذر تضييع رأيك وإهمال (204) أدبك في مسالك الرّضا والغضب واعتوارهما وإيّاك، فلا يزدهينّك إفراط عجب تستخفّك روائعه، ويستهويك منظره، ولا يبدرنّ منك خطأ ونزق خفّة لمكروه إن حلّ بك، أو حادث إن طرأ عليك(205)، وليكن لك من نفسك ظهريّ (٣٤) ملجأ تتحرّز به من آفات الرّدى، وتستعهده(٣٥) في معمّ نازل (206)، وتتعقّب به أمورك في التّدبير، فإن احتجت إلى مادّة من عقلك ورويّة من

فكـــرك او البسك، فإن انحيـــازك إلى ظهريـــك مزداد إن أحببت الامتياح [٣٦] منه [207] والامتيار [٣٧]، وإن استدبرت [208] من أمورك بوادر جهل [209]، أو مضى زلل أو معانده حقّ أو خطأ [210] تدبير، كان ما احتجنت من رأيك عذرا لك عند نفسك، وظهريّا قويّا [211] على ردّ ما كرهت، وتخفيفا لمؤونة الباغين عليك واستعلائها على أخلاقك، إن شاء الله [212].

22- وامنع أهل بطانتك وخاصّة [213] خدمك وعامّة رعيّتك [214] من استلحام أعراض النّاس عندك بالغيبة، والتّقرّب إليك بالسّعاية والاغراء من بعض ببعض، والنّميمة [215] إليك بشيء من أحوالهم المستترة عنك، أو التّحميل لك على أحد منهم بوجه النّصيحة ومذهب الشّفقة، فإنّ ذلك أبلغ بك سموّا إلى منازل الشّرف [216] وأعون لك على محمود الذّكر وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرّأي، وشرف الهمّة وقوّة التّدبير، وآملك نفسك عن الانبساط والضّحك والانفهاق [٣٨] وعن القطوب بإظهار الغضب وتنحّله، فإنّ ذلك ضعف عن ملك [217]. سورة الجهل، وخروج عن انتحال اسم الفضل.

23- وليكن ضحكك تبسّما أو نشرا [218] في أحايين ذلك وأوقاته، وعند كلّ مرأى مله [219] ومستخفّ مطرب [220]، وقطوبك إطراقا في مواضع [221] ذلك وأحواله، بلا عجلة إلى السّطوة ولا إسراع إلى الطّيرة، دون أن يكنفها رويّة الحلم وتملت عليها بادرة الجهل.

24- إن كنت في مجلس ملكك، وحيث [222] حضور العامّة مجلسك، فإيّاك والرّمي ببصرك إلى خاصّ من قوّادك، أو ذي أثرة عندك [223] من حشمك. وليكن نظرك مقسوما في الجميع، وإعارتك [224] سمعك ذا الحديث [٣٩] بدعـــة شادئـــة، ووقار حسن، وحضور فهم مستجمع [225]، وقلّة تضجّر بالمحدّث، ثمّ لا يبرح وجهك إلى بعـــض قـــوّادك وحرســـك [226] متوجّها بنظـــر ركيـــن وتفقّـــد محـــض (؟)، وإن وجّه إليك [227] أحد منهم نظره [228] أو رماك ببصره ملحّا فاخفض عنه إطراقا جميلا بابداع [229] وسكون. وإيّاك والتّسرّع في الإطراق، والخفّة في تصريف [230] النّظر والإلحاح على من قصد إليك في مخاطبته إيّاك رامقا بنظره.

25- واعلم أنّ تصفّحك وجوه جلسائك، وتفقّدك مجالس قوّادك [231] من قوّة التّدبير وشهامة القلب وذكاء الفطنة وانتباه السّنة [232]، فتفقّد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك، وعالما بمواضعهم من مجلسك، ثمّ اعد بهم [٤٠] عن ذلك سائلا لهم عن أشغالهم الّتي منعتهم من حضور مجلسك، وعاقتهم بالتّخلّف عنك، إن شاء الله [233].

26- إن كان أحد من حشمك وأعوانك [234] تثق منه بغيب ضمير، وتعرف عنه لين طاعة، وتشرف منه على صحّة رأي، وتأمنه على مشورتك، فإيّاك والإقبال عليه في كلّ [235] حادث يرد عليك [236]، والتّوجّه [237] نحوه بنظرك عند خوارق ذلك، وأن تريه أو أحدا من أهل مجلسك أنّ بك إليه حاجة موحشة، وأن ليس عنه غنى في التّدبير، أو

أنّك لا تقضي دونه رأيا إشراكا منك [238] له في رويّتك، وادخالا منك له في مشورتك، واضطرارا منك إلى رأيه في الأمر يعروك [239]، فإنّ ذلك من دخائل العيوب الّتي ينتشر [240] بها سوء القالة عن نظرائك، فانفها عن نفسك خائفا لاعتلاقها [241] ذكرك، واحجبها عن رؤيتك [242] قاطعا أطماع أوليائك عن مثلها عندك، أو غلوبهم عليها منك [243].

27- واعلم أنّ للمشورة موضع الخلوة [244] وانفراد النّظر، ولكلّ أمر غاية تحيط بحدوده، وتجمع معالمه [245]، فابغها محرزا لها، ورمها طالبا لنيلها [246]، وإيّاك والقصور عن غايتك، أو العجز عن دركها [247]، أو التّفريط [248] في طلبها، إن شاء الله تعالى.

28- احذر الإغرام [٤١] بكثرة السّؤال [249] عن حديث ما أعجبك، أو أمر ما ازدهاك [250]، أو القطع [251] لحديث من أردى بحديثه حتّى تنقضه عليه بالخوض[252] في غيره أو المسألة عمّا ليس منه، فإنّ ذلك عند العامّة منسوب إلى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول محاسن الأمور، والمعرفة بمسوئها [253]. ولكن [254] أنصت لمحدّثك وارعه سمعك حتّى يعلم أنّك [255] قد فهمت حديثه [256] وأحطت معرفة بقوله، فإن أردت إجابته فمن معرفة بحاجته [257]، وبعد علم بطلبته، وإلاّ كنت عند انقضاء كلامه كالمتعجّب [258] من حديثه بالتّبسّم والإغضاء، فأجزى عنك [٤٢] الجواب وقطع عنك ألسن العتب.

29- إيّاك وأن يظهر منك تبرّم بطول مجلسك [259]، أو تضجّر ممّن حضرك[260]، وعليك بالتّثبّت عند ســورة الغضب وحميّة الأنف وملال الصّبر في الأمر تستعجل به، والعمل تأمــر بإنفــاذه، فإنّ ذلك سخــف شائــن [261] وخفّــة مردية وجهالة بادية. وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس وسكون الرّيح والرّفض لحشو الكلام والتّــرك لفضولــه [262] والإغرام [263] بالزّيادات في منطقــك والتّرديــد للفظــك من نحــو "اسمــع" و"افهــم عنّي" و"اعجــل [264]" و"ياهناه [٤٣]"

31- وليكن طعمك [265] متّدعا [266] وشربك أنفاسا وجرعك مصّا. وإيّاك والتّسرّع في الأيمان [267] فيما صغر أو كبر من الأمور، والشّتيمة [268] يقول : "يا ابن الهناة [٤٤]"، أو الغميزة [269] لأحد من خدمك [270] وخاصّتك بتسويغهم حضور محضرك أو دارك وفنائك [271]، فإنّ ذلك ممّا يقبح ذكره ويسوء موقع القول فيه، وتحمل [272] عليك معايبه، وينالك شينة وينشر عنك سوء نبئه [273]، فاعرف ذلك متوقّيا له، واحذره مجانبا لسوء عاقبته.

32- استكثر من فوائد الخير، فإنّها تنشر المحمــدة، وتقيل العثرة واصطبــر على كظم الغيظ [274] فإنّه يورث العزّ [275] والرّاحة [276] ويؤمّن السّاحــة، وتعهدّ العامّة بمعرفة دخلهم؛ وتبطّن أحوالهم [277]، واستثــارة دفائنهم حتّى تكــون منها على مرأى العين [278]، ويقين الخبرة [279] فتنعش عديمهم، وتجبر كسيرهم، وتقيم أودهم، وتعلّم

جاهلهم وتستصلح فاسدهم، فإنّ ذلك من فعلك بهم [280] يورثك العـزّة، ويقدّمك في الفضل، ويبقى لك لسان صدق [281] في العاقبة [282] ويحرز لك ثواب الآخرى ويردّ عليك عواطفهم المستنفرة منك [283] وقلوبهم المتنحّية عنك [284].

33- قس [285] بين منازل أهل الفضل في الدّين والحجا [286] والرّأي والعقل والتّدبير والصّيت في في العامّة وبين منازل أهل النّقص في طبقات الفضل وأحوالها والخمول عند مباهاة النّسب، وانظر بصحبة أيّهم تنال بمودّته الجميل [287]، وتستجمع لك أقاويل العامّة على التّفضيل، وتبلغ درجة [288] الشّرف في أحوالك [289] المتصرّفة بك، فاعتمد عليهم مدخلا [290] لهم في أمرك [291].

وآثرهم بمجالسك لهم [292] مستمعا منهم، وإيّاك وتضييعهم مفرّطا [293] وإهمالهم مضيّعا.

34- هذه جوامع خصال [294] قد لخّصها لك أمير المؤمنين مفسّرا [295]، وجمع لك شواذّها [296] مؤلّفا، وأهداها لك [297] مرشدا، فقف عند أوامرها، وتناه عند زواجرها[298]، وتثبّت في مجامعها، وخذ بوثائق عراها، تسلم عن معاطب الرّدى، وتنل أنفس الحظوظ ومزيّة [299] الشّرف وأعلى درج الذّكر، وتؤثّل سطوة العزّ [300].

35- والله يسأل لك أمير المؤمنين حسن الاشاد، وتتابع المزيد وبلوغ الأمل، وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غبطة يسوّغك إيّاها، وعافية يحلّك أكنافها، ونعمة يلهمك شكرها، فإنّه الموفّق للخير، والمعين على الإرشاد، وبه تمام الصّالحات، وهو مؤتي الحسنات، عنده مفاتيح الخير، و"بيده الملك، وهو على كلّ شيء قدير" [٤٥].

36- فإذا أفضيت نحو عدوّك، واعتزمت على لقائهم، وأخذت أهبة قتالهم، فاجعل دعامتك الّتي تلجأ إليها، وثقتك الّتي تأمل النّجاة بها، وركنـك الّذي ترتجي به منال الظّفر [301]، وتكتهف به لمعالق الحذر، تقوى الله عزّ وجـلّ مستشعـرا [٤٦] لها بمراقبته [302] والاعتصام بطاعته متّبعا لأمره، مجتنبا لسخطه [303]، محتذيا سنّته، والتّوقّي لمعاصيه في تعطيل حدوده وتعدّى [304] شرائعه، متوكّلا عليه فيما صمدت له، واثقا بنصره فيما توجّهت [305] نحوه، متبرّئا من الحول والقوّة فيما نالك من ظفر، وتلقّاك من عزّ، راغبا فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد، ورمى بك إليه محمود الصّبر فيه [306] عند الله عزّ وجلّ من قتال عدوّ الله للمسلمين [307] أكلبه عليهم، وأظهره عداوة لهم، وأفدحه [308] ثقلا لعامّتهم، واخذه [309] بربقهم. وأعلاه عليهم بغيا، وأظهره فسقا وجورا [310]، وأشدّه على فيئهم الّذي أصاره الله لهم [311]، وفتحه عليهم مؤونة وكلاّ، والله المستعان العليم والمستنصر، عليه يتوكّل أمير المؤمنين، وإيّاه يستصرخ عليه، وإليه يفوّض أمره، وكفى بالله وليّا وناصرا ومعينًا وهو القويّ العزية [٤٧] [312].

37- ثمّ خذ من معك من تبّاعك [٤٨] وجندك بكف÷ معرّتهم وردّ مستعلي جورهم، وإحكام خللهم [313]، وضمّ منتشر قواصيهم [314]، ولمّ شعث أطرافهم، وخذهم بمن مرّوا

به [315] من أهل ذمّتك وملّتك بحسن السّيرة، وعفّة [316] الطّعمة، ودعة الوقار، وهدى الدّعة وجمام النّفس [317]، محكما ذلك منهم، متفقّدا لهم فيه [318] تفقّدك إيّاه من نفسك.

38- ثمّ اصمد لعدوّك [319] المتسمّي بالإسلام، الخارج من جماعة أهله، المنتحل لولاية الدّين مستحلاّ لدماء أوليائه، طاعنا عليهم، راغبا عن سنّتهم، مفارقا لشرائعهم، يبغيهم الغوائل، وينصب لهم المكائد، أضرم حقدا عليهم، وأرصد عداوة لهم، وأطلب لغرّات فرصهم من التّرك وأمم الشّرك وطوافي الملل، يدعو المعصية والفرقة والمروق من دين الله إلى الفتنة، مخترعا بهواه للأديان [320] المنتحلة والبدع المتفرّقة، خسارا وتخسيرا، وضلالا وتضليلا [321]، بغير هدى من الله ولا بيان. ساء ما كسبت يداه [322]، وما الله بظلاّم للعبيد [٤٩]، وساء ما سوّلت له نفسه الأمّارة بالسّوء، والله من ورائه بالمرصاد [٥٠] وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب، ينقلبون [٥١].

39- حصّن [323] جندك، وآشكم نفسك بطاعة الله [324] في مجاهدة أعدائه، وارج نصره، وتنجّز موعوده [325]، متقدّما في طلب ثوابه على جهادهم، معتزما في ابتغاء الوسيلة إليه على لقائهم، فإنّ طاعتك إيّاه فيهم، ومراقبتك له، ورجاءك نصره [326] مسهّل لك وعوره، وعاصمك من كلّ سبّة [د] [327]، ومنجيك من كلّ هوّة، وناعشك من كلّ صرعة، ومقيلك من كلّ كبوة، ودارىء عنك كلّ شبهة، ومذهب عنك لطخة كلّ شكّ، ومقوّيك بكلّ أيد [هـ] ومكيدة، ومعزّك في كلّ معترك قتال [328]، ومؤيّدك في كلّ مجمع لقاء، وكالئك عند كلّ فتنة مغشية [329]، وحافظك من كل شبهة مردية، والله وليّك ووليّ أمير المؤمنين فيك، والمستخلف على جندك ومن معك [330].

40- آعلم أنّ الظّفر ظفران : أحدهما – وهو [331] أعمّ منفعة، وأبلغ في حسن الذّكر قالة، وأحوطه [332] سلامة، وأتمّه عافية، وأعوده عاقبة [333]، وأحسنه في الأمور موردا [334]، وأصحّه في الرّويّة [335] حزما، وأسلمه [336] عند العامّة مصدرا – ما نيل بسلامة الجنود، وحسن الحيلة، ولطف المكيدة، ويمن النّقيبة [337]، واستنزال طاعة ذوي الصّدوف [338] بغير إخطار الجيوش في وقدة جمرة الحرب ومنازلة [339] الفرسان في معترك الموت. وإن ساعدك طلوق الظّفر [340] ونالك مزيد [341] السّعادة في الشّرف، ففي مخاطرة التّلف مكروه [342] المصائب وعضاض السّيوف وألم الجراح وقصاص الحروب وسجالها بمغاورة [343] أبطالها [344]. على أنّك لا تدري لأيّ الفريقين يكون الظّفر في البديهة، ومن المغلوب بالدّولة، ولعلّك أن تكون المطلوب بالتّمحيص، فحاول إصابة أبلغهما في سلامة جندك ورعيّتك [345]، وأشهرهما صيتا في بدوّ تدبيرك ورأيك [346]، وأجمعهما لألفة وليّك وعدوّك، وأعونهما على صلاح رعيّتك وأهل ملّتك وأقواهما شكيمة في حزمك [347]، وأبعدهما من وصم عزمك، وأعلقهما بزمام النّجاة في آخرتك [348]، وأجزلهما ثوابا عند ربّك [349].

41- وآبدأ بالاعذار إلى عدوك [350]، والدّعاء لهم إلى مراجعة الطّاعة وأمر الجماعة وعرى الألفة [351] آخذا بالحجّة عليهم، متقدّما بالإنذار لهم، باسطا أمانك لمن لجأ إليك منهم [352]، داعيا لهم إليه [353] بألين لفظك، وألطف حيلك، متعطّفا برأفتك عليهم [354]، مترفّقا بهم في دعائك، مشفقا عليهم من غلبة الغواية لهم وإحالة الهلكة بهم، منفذا رسلك إليهم بعد الانذار، تعدهم إعطاء [355] كلّ رغبة يهشّ إليها طمعهم في موافقة الحقّ، وبسط كلّ أمان سألوه لأنفسهم ومن معهم ومن تبعهم، موطّنا نفسك ومن معهم ومن تبعهم، موطّنا نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدك، والصّبر على ما أعطيتهم من وثائق عهدك [356]، قابلا توبة نـازغهم من الضّلالـة، ومراجعة مسيئهم إلى الطّاعة، مرصدا للمنحاز إلى فئة المسلمين وجماعتهم إجابة إلى ما دعوته [357] إليه، وبصّرته إيّاه [358] من حقّك وطاعتك بفضل المنزلة وإكرام المثوى وتشريف الحال [359]، وليظهر من أثرك عليه وإحسانك إليه ما يرغب في مثله الصّادف [360] عنك، المصرّ على خلافك ومعصيتك، ويدعو إلى الاعتلاق بحبل النّجاة [361] وما هو أملك في الاعتصام [362] به عاجلا، وأنجى له من العقاب آجلا، وأحوط [363] على دينه ومهجته بدءا أو عاقبة، فإنّ ذلك ممّا تستدعي به من الله عزّ وجلّ نصره عليهم [364] وتعتصم به في تقدمة الحجّة [365] إليهم معذرا ومنذرا، إن شاء الله.

42- ثمّ آذك عيونك على عدوك متطلّعا لعلم أحوالهم الّتي يتقلّبون [366] فيها، ومنازلهم الّتي هم بها، ومطامعهم الّتي قد مدّوا أعناقهم نحوها [367]، وأيّ الأمور أدعى لهم للصّلح، وأقودها لرضاهم إلى العـافيّة، وأسهلها لاستنـزال طاعتهم [368]، ومن أيّ الوجوه مأتاهم : أمن قبل الشّدّة [369] والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإبعاد ؟ أم التّرغيب والإطماع ؟ متثبّتا في أمرك متخيّرا في رويّتك، متمكّنا [370] من رأيك، مستشيرا لذوي النّصيحة الّذين قد حنّكتهم السّنّ، وخبطتهم التّجربة ونجّدتهم الحروب، متشزّنا [أ] في حربك [371]، آخذا بالحزم في سوء الظّنّ، معدّا للحذر، محترسا من الغرّة، كأنّك في مسيرك كلّه، ونزولك أجمع [372]، مواقف [ب] لعدوك رأي عين تنتظر [373] حملاتهم، وتتخوّف كرّاتهم [374] معدّا أقوى مكيدتك [375] وأجدّ تشميرك [376]، وأرهب عتادك، وأنكأ جدّك [377] معظما أمر عدوك لأعظم ممّا بلغك، حذرا يكاد يفرط، لتعدّ له من الاحتـراس عظيمـا، ومن المكيدة قويّـا [378]، من غير أن يفثأك [أ] ذلك [379] عن إحكـام أمـورك، وتدبير رأيك وإصـدار رؤيّتـك، والتّأهّـب لما يحزبك [ب] مصغّرا له بعـد استشعار الحذر [380]، واضطمار الحـزم [381]، وإعمـال الرّويّـة وإعـداد الأهبـة، فـإنّ ألفيـت [382] عـدوك كليل الحـدّ، وقـم [ج] العـزم، نضيض [د] الوفر، لم يضرّك ما اعتـددت لـه [383] له من قوّة، وأخذت به من حزم، ولم يزدك ذلك إلاّ جرأة عليه، وتسرّعا على لقائه. وإن ألفيته متوقّد الجمر، مستكثف الجمع، قويّ التّبّع [384]، مستعلي سورة الجهل، معه من أعوان الفتنة وتبّع إبليس من يوقد لهب الفتنة مسعّرا،

ويتقدّم على لقاء أبطالها متسرّعا، كنت لأخذك بالحزم واستعدادك بالقوّة غير مهين الجند، ولا مفرّط في الرّأي، ولا متلهّف على إضاعة تدبير، ولا محتاج إلى الإعداد، وعجلة التّاهّب مبادرة تدهشك وخوفا يقلقك، ومتى تغتــرّ بترقيق المرقّقيــن (385)، وتأخــذ بالهوينا (386) في أمر عدوّك لتصغير (387) المصغّرين، ينتشر (388) ويكون فيه انتقاض أمرك، ووهن تدبيرك، وإهمال الحزم (389) في جندك وتضييع له، وهو ممكن الإصحار (أ)، رحب المطلب، قويّ العصمة، فسيح المضطرب مع ما يدخل رعيّتك من الاغترار والغفلة عن إحكام أحراسهم (390)، وضبط مراكزهم لما يرون فيه (391) من استنامتك إلى الغرّة، وركونك إلى الأمن، وتهاونك بالتّدبير، فيعود ذلك عليك في انتشار الأطراف وضياع الأحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره، ولا يدفع مخوفه.

43- احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوّك، وإيّاك ومعاقبة أحد منهم على خبر -إن أتاك به- أتّهمته فيه، أو سؤت به ظنّا (392)، وأتاك غيره بخلافه، وأن تكذّبه فيه، فتردّه (393) عليه، ولعلّه أن يكون قد محضك (394) النّصيحة، وصدقك الخبر، وكذلك الأوّل، أو خرج جاسوسك الأوّل متقدّما قبل وصول هذا من عند عدوّك وقد أبرموا لك أمرا (395)، وحاولوا لك مكيدة، وأرادوا (396) منك غرّة فازدلفوا لك في الأهبة (397)، ثم انتقض بهم رأيهم، واختلف عنهم جماعتهم، فأوردوا (398) رأيا، وأحدثوا مكيدة، وأظهروا قوّة، وضربوا موعدا، وأمّوا مسلكا لمدد (399) أتاهم أو قوّة حدثت لهم، أو بصيرة في ضلالة شغلتهم، فالأحوال بهم متنقّلة في السّاعات (400) وطوارق الحادثات، ولكن ألبسهم جميعا على الانتصاح، وارضخ (401) لهم المطامع، فإنّك لن تستعبدهم بمثلها (402)، وعدهم جزالة المثاوب في غير ما استنامة منك إلى تقيقهم (403) أمر عدوّك والاغترار إلى ما يأتونك به (404)، دون أن تعمل رويّتك في الأخذ بالحزم، والاستكثار من العدـّة، واجعلهم أوثــق من تقدر عليه، إن استعملت ذلك (405)، وآمن من تسكن إلى ناحيته، ما يبرم عدوّك في كلّ يوم وليلة عندك، إن استطعت ذلك (406)، فتنقض عليهم برأيك وتدبيرك (407) ما أبرموا (408)، وتأتيهم من حيث أمنوا (409)، وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا (410)، وتستعدّ لهم بمثل ما حذروا.

44- واعلم أنّ جواسيسك وعيونك ربّما صدقوك، وربّما غشّوك، وربّما كانوا لك وعليك، فنصحوا لك، وغشّوا عدوّك، وغشّوك، ونصحوا عدوّك، وكثيرا ما (411) يصدقونك ويصدقونه، فلا تبدرنّ (412) منك فرطة في عقوبة إلى أحد منهم، ولا تعجل بسوء الظّنّ إلى من أتّهمته على ذلك، واستنزل نصائحهم بالمياحة والمنالة (413)، وابسط من آمالهم فيك من غير أن تري (414) أحدا منهم أنّك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتّبع له، أو عملت على رأيه عمل الصّادر عنه، أورددته عليه ردّ المكذّب به (415)، المتّهم له (416)، المستخفّ بما أتاك منه، فتفسد بذلك نصيحته، وتستدعي غِشّه، وتجتّر

عداوته، واحذر أن يعرفوا [417] في عسكرك، أو يشار إليهم بالأصابع، وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرّك، ويكون هو الموجّه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم.

45- واعلم أنّ لعدوّك في عسكرك عيونا راصدة، وجواسيس كامنة [418] وأنّه لن يقع في مكيدتك بمثل ما تكايده به [419]، وسيحتال لك كاحتيالك له، ويعدّ لك كاعدادك له فيما تزاوله منه [420] ويحاولك كمحاولتك إيّاه فيما تقارعه عنه [421]، فاحذر أن يشهر [422] رجل من جواسيسك في عسكرك، فيبلغ ذلك عدوّك، ويعرف موضعه، فيعدّ له المراصد، ويحتال له بالمكايد، فإنّ ظفر به وأظهر [423] عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم [424] عن تطلّب الأخبار من معادنها واستقصائها من عيونها، واستذاب اجتنائها من ينابيعها [425] حتّى يصيروا إلى أخذها ممّا عرض [426] من غير الثّقة ولا المعاينة، لقطا [427] لها، الأخبار الكاذبة والأحاديث المرجفة.

46- واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضا، فإنّك لا تأمن تواطؤهم عليك، وممالأتهم عدوّك، واجتماعهم على غشّك، وتطابقهم [428] على كذبك، وإصفاقهم [أ] على خيانتك [429] وأن يورّط بعضهم بعضا عند عدوّك، فاحكم [430] أمرهم فإنّهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك، وعليهم مدار حربك، وهو أوّل ظفرك، فاعمل على حسب ذلك، وحيث [431] رجاؤك به، تنل [432] أملك على عدوّك وقوّتك على قتاله، واحتيالك لإصابة غرّاته [433] وانتهاز فرصه، إن شاء الله.

47- فإذا أحكمت ذلك وتقدّمت في إتقانه [434]، واستظهرت بالله وعونه، فولّ شرطتك وأمر عسكرك أوثق قوّادك عندك، وآمنهم نصيحة لك [435]، وأنفذهم [436] بصيرة في طاعتك، وأقواهم شكيمة في أمرك، وأمضاهم صريمة [أ]، وأصدقهم عفافا، وأجزأهم غناء [437]، وأكفاهم أمانة، وأصحّهم ضميرا، وأرضاهم في العامّة دينا[438]، وأحمدهم عند الجماعة خلقا [439]، وأعطفهم على كافّتهم [440] رأفة، وأحسنهم لهم نظرا، وأشدّهم في دين الله وحقّه صلابة، ثمّ فوّض إليه مقوّيا له، وابسط من أمله مظهرا عنه الرّضا حامدا منه الابتلاء، وليكن عالما بمراكز الأمور، بصيرا بتقدّم المنازل، مجرّبا، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة، له نباهة في الذّكر وصيت في الولاية، معروف البيت، مشهور الحسب، وتقدّم إليه في ضبط عسكره [441]، وإذكاء أحراسه في آناء ليله ونهاره ثمّ حذّره أن يكون منه [442] إذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتّقدّم لطلائعك [443]، فتصاب [444] لهم غرّة يجترئ بها عدوّك عليك [445]، ويسرع إقداما عليك، ويكسر من أفئدة [446] جندك، ويوهن من قوّتهم، فإنّ إصابة عدوّك [447] الرجل الواحد من جندك وعبيدك [448] مطمع لهم فيك، مقوّيهم على شحذ أتباعهم عليك، وتصغيرهم أمرك، وتوهينهم تدبيرك، فحذّره ذلك، وتقدّم إليه فيه، فلا يكوننّ منه إفراط في التّضييق عليهم، والحصر لهم، فيعمّهم أزله [أ]، ويشملهم ضنكه، ويسوء عليه حالهم [449]، وتشتدّ به المؤونة عليهم، وتخبث لهم ظنونهم، وليكن موضع إنزاله إيّاهم ضاما لجماعتهم، مستديرا بهم، جامعا لهم

[450]، ولا يكون منبسطا متبدّدا [451] فيشقّ ذلك على أصحاب الأحراس، وتكون فيه [452] النهزّة للعدوّ، والبعد من العدد. إن طرق طارق في فجآت اللّيل وبغتاته، وإغاثتك[453]، وأعمل رأيه في بلوغ موافقتك وإعانتك [454]، وكان ثقتك وردأك [455] وقوّتك ودعامتك، وتفرّغت أنت [456] لمكايدة عدوّك، مريحا نفسك [457] من همّ ذلك والعناية به، ملقيا عنك مؤونة باهضة، وكلفة فادحة، إن شاء الله.

49- ثمّ اعلم أنّ القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الأحكام، ولا يمثّل محلّه أحد من الولاة، لما يجري على يديه من مغاليظ الأحكام [458]، ومجاري الحدود. فليكن من تولّيه القضاء بين أهل عسكرك [459] من ذوي الخير والقناعة، والعفاف والنّزاهة، والفهم والوقار، والعصمة والورع، والبصر بوجوه [460] القضايا ومواقعها، قد حنّكته السنّ، وأيّدته التّجربة، وأحكمته الأمور، ممّن لا يتصنّع للولاية، ويستعدّ للنّزهة، ويجترئ على المحاباة في الحكم، والمداهنة في القضاء، عدل الأمانة، عفيف الطّعمة، حسن الإنصات [461] ورع الضّمير متخشّع السّمت، بادي [462] الوقار، محتسبا للخير، ثمّ أجر عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه، وفرّغه لما حمّلته، وأعنه على ما ولّيته، فإنّك قد عرّضته لهلكة الدّنيا، وثواب الآخرة [463]، أو شرف العاجلة، وحظوة الآجلة، إن حسنت نيّته، وصدقت رويّته، وصحّت سريرته، وسلّط حكم الله على رعيّته، مطلقا عنانه [464]، منفّذا قضاءه في خلقه عاملا بسنّته في شرائعه، وآخذا بحدوده وفرائضه.

50- واعلم أنّ من جندك ومعسكرك [465] بحيث ولايتك، وفي الموضع [466] الجارية أحكامه عليهم، النافذة أقضيته فيهم [467]، فاعرف من تولّيه ذلك وتسنده إليه، إن شاء الله.

51- ثمّ تقدّم في طلائعك، فإنّها أوّل مكيدتك، ورأس حربك، ودعامة أمرك، فانتخب لها من كلّ قادة وصحابة رجالا ذوي نجدة وبأس، وصرامة وخبرة، حماة كفاة [468] قد صلوا بالحرب وتذاوقوا [469] سجالها، وشربوا مرار [470] كؤوسها، وتجرّعوا غصص درّتها، وزيّنتهم بتكـــرار عـــواطفها [471]، وحملتهم على أصعب مراكبها، وذلّلتهم بثقاف أودها، ثمّ انتقهم [472] على عينك، واعرضْ كراعهم [أ] بنفسك، وتوخّ في انتقائك [473] ظهور الجلد، وشهامة الخلق، وكمال الآلة [474]، وإيّاك أن تقبل من دوابّهم إلاّ الإناث من الخيل المهلوبة [475] [ب]، فإنّها [476] أسرع طلبا، وأنجى مهربا، وألين معطفا [477] وأبعد في اللّحوق غاية، وأصبر في معترك الأبطال إقداما، وخذهم[478] من السّلاح بأبدان الدّروع ماديّة الحديد، شاكّة النّسج [479]، متقاربة الحلق، متلاحمة المسامير وأســـوق [ج] الحديد، مموّهة [د] الرّكب، محكّمة الطّبع، خفيفة الصّوغ، وسواعـــد طبعها هنـــديّ، وصـــوغها فارسيّ، رقاق المعاطف [480] بأكـــفّ واقية [481]، وعمل محكم، ويلق [أ] [482] البيض مذهبة ومجرّدة، فارسيّة الصّوغ، خالصة الجوهر، سابغة الملبس، واقية الجنن [ب] [483]، مستديرة الطّبع، مبهمة السّرد، وافية الوزن كتريك [ج] النّعام في الصّنعة واستدارة

التّقبيب، واستواء الصّوغ [484]، معلمة بأصناف الحرير وألوان الصّبغ، فإنّها أهيب لعدوّكم، وأفتّ لأعضاد من لقيكم، والمعلم [د] مخشيّ محذور، له بديهة رادعة [485]، وهيبة هائلة [486]، معهم السيّوف الهنديّة، وذكور [هـ] البيض اليمانيّة، رقاق الشّفرات، مسنونة [487] الشّحذ، غير كليلة المشحذ [488]، مشطّبة الضّرائب، معتدلة الجواهر، صافية الصّفائح، لم يدخلها وهن الطّبع، ولاعا بها أمت [أ] الصّوغ، ولا شانها خفّة الوزن، ولا قدح حاملها بهور [ب] الثّقل، قد أشرعوا لدن القنا، طوال الهوداي، مقوّمات الأود [ج] مستوية الثّعالب [د]، وميضها متوقّد، وسنخها متلهب، معاقص [هـ] عقدها منحوته، ووصوم أودها مقوّمة[489]، أجناسها مختلفة، وكعوبها جعدة، وعقدها حبكة [490]، شطبة [و] الأسنان، محكمة الجلاء، مموّهة الأطراف، مستحدّة الجنبات، دقاق الأطراف، ليس فيها التواء أود، ولا أمت وصم، ولا بها مسقط عيب [491]، ولا عنها وقوع أمنيّة، مستحقبيّ [ز] [492] كنائن النّبل وقسيّ الشّوحط [ح] والنّبع، أعرابيّة التّعقيب، روميّة النّصول، مسمومة الصّوغ، ولتكن سهامها على خمس قبضات سوى النّصول [493]، فإنّها أبلغ في الغاية، وأنفد في الدّروع، وأشكّ في الحديد، سامطين حقائبهم على متون خيولهم، مستخفين من الآلة، والأمتعة، والزّاد [494]، إلاّ ما لا غناء بهم عنه [495].

52- واحذر أن تكل مباشرة عرضهم وانتخابهم [496] إلى أحد من أعوانك أو كتّابك، فإنّك إن وكلته إليهم، أضعت مواضع [497] الحزم، وفرّطت حيث الرّأي، ووقفت دون حزم الرّويّة [498]، ودخل عملك ضياع الوهن، وخلص إليك عيب المحاباة، وناله فساد المداهنة، وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة للمسلمين، ولا عدّة ولا حصنا يدّرئون به، ويكتنفون بموضعه [499].

53- واعلم أنّ [500] الطّلائع حصون المسلمين وعيونهم [501]، فهم [502] أوّل مكيدك، وعروة أمرك، وزمام حربك، فليكن اعتناؤك بهم، وانتقاؤك إيّاهم [503]، بحيث هم من مهمّ عملك، ومكيدة أمرك، ثمّ انتخب للولاية عليهم رجلا بعيد الصّوت [504]، مشهور الاسم، ظاهر الفضل [505]، نبيه الذّكر، له في العدوّ وقعات معروفات، وأيّام طوال، وصولات متقدّمات، قد عرفت نكايته، وحذرت شوكته، وهيب صوته، وتنكّب لقاؤه، أمين السّريرة، ناصح الجيب [أ] [506]، قد بلوت منه ما يسكنك إلى ناحيته من لين الطّاعة [507]، وخالص المودّة، ونكاية الصّرامة، وغلوب الشّهامة، واستجماع القوّة، وحصافة التّدبير، ثمّ تقدّم إليه في حسن سياستهم، واستنزال طاعتهم واجتلاب مودّاتهم، واستعذاب [508] ضمائرهم [أ] وأجر عليهم وعليه [509] أرزاقا تشعهم، وتمدّ من أطماعهم، سوى أرزاقهم في العامّة، فإنّ ذلك [510] من القوّة لك عليهم، والاستنامة إلى ما قبلهم.

54- واعلــم أنّ من أهمّ الأماكــن لك، وأعظمها غناء عنــك وعمّن معــك، وأقمعها كبتــا [511] لمحــادّك [512]، وأشجــاها غيظا لعدوّك، ومــن يكــن في الثّقــة والجلد والبأس والطّاعــة والقوّة والنّصيحــة والعــدّة والنّجدة حيث وصــف لك أمير المؤمنين [513]، وأمرك به يضع عنك مؤونة الهمّ ويرخ من خناقك روع الخوف [514]، ويلتجئ إلى أمر منيع [515]، وظهر قويّ، ورأي [516] حــازم، تأمن به فجآت عدوّك وغرّات بغتاتهم وطوارق أحداثهم [517] ويصير إليك علــم أحوالهم، ومتقدّمات على غلوة أو غلوتين [518] من عسكرك منتبذا عنك [519]، محيطا بمنزلك، ذاكية أحراسه، قلقة التّردّد، مفرطة الحذر، معدّة للرّوع، متأهبة للقتال، آخذة على أطراف المعسّكر ونواحيه متفرّقين في اختلافهم [520] كردوسا [أ] كردوسا، مستقبلا بعضهم بعضا في الاختلاف، ويكسع تال [521] متقدّما في التّردّد، واجعل [522] ذلك بين قوّادك وأهل عسكرك نوبا معروفة، وحصصا مفروضة، لا تعر منها [523] مزدلفا منك [524] بمودّة ولا تتحامل فيه على أحد [525] بموجدة إن شاء الله تعالى.

57- فوّض إلى أمراء جندك وقوّاد خيلك [526] أمور أصحابهم والأخذ على قافية[527] أيديهم رياضة منك لهم على السّمع والطّاعة لأمرائهم والاتباع لأمرهم، والوقوف عند نهيهم، وتقدّم إلى أمراء الأجناد في النّوائب الّتي ألزمتهم إيّاها، والأعمال الّتي استنجدتهم لها، والأسلحة والكراع [ب] الّتي كتبتها عليهم، واحذر اعتلال أحد من قوّادك عليك بمــا يحــول بينــك وبين تأديــب [528] جندك، وتقويمهم لطاعتك، وقمعهــم عن الإخلال بمراكــزهم لشيء ممّا وكّلوا به من أعمــالهم، فإنّ ذلك مفســدة للجنــد، مفثأة [529] الغــوّاد عن الجــدّ والإيثــار [530] للمناصحــة، والتقدّم في الأحكام.

58- واعلم أنّ في استخفافهم بقوّادهم وتضييعهم أمر رؤسائهم دخولا للضّياع على أعمالك واستخفافا بأمرك [531] الّذي يأتمرون به ورأيك الّذي ترتئي. وأوعز إلى القوّاد ألاّ يقدم [532] أحد منهم على عقوبة أحد من أصحابه إلاّ عقوبة تأديب وتقويم [533] ميل، وتثقيف أود، فأمّا عقوبة تبلغ تلف المهجة [534] وإقامة حدّ [535] في قطع، أو إفراط في ضرب، أو أخذ مال، أو عقوبة في شعر [536]، فلا يلين ذلك من جندك أحد غيرك، أو صاحب شرطتك بأمرك وعن رأيك وإذنك ومتى لم تذلّل الجند لقوّادهم، وتضرعهم لأمرائهم، توجب [537] عليك لهم الحجّة بتضييع -إن كان منهم- لأمرك، أو [538] خلل -إن تهاونوا به- من عملك، أو عجز -إن فرط منهم- في شيء ممّا وكلتهم به [539] أو أسندته إليهم، ولا تجد إلى الإقدام عليهم باللّوم وعضّ العقوبة مجازا تصل به إلى تعنيفهم بتفريطك في تذليل أصحابهم لهم، وإفسادك إيّاهم عليك [540]، فانظر في ذلك نظرا محكما، وتقدّم فيه برفقك [541] تقدّما بليغا. وإيّاك أن يدخل حزمك وهن، أو يشوب عزمك إيثار، أو يخلط رأيك ضياع [542] والله يستودع أمير المؤمنين نفسك ودينك [543].

59- إذا كنت من عدوّك على مسافة دانية، وسنن لقاء مختصر وكان من عسكرك مقتربا، قد شامت طلائعك مقدّمات ضلالته وحماة فتنته، فتأهّب أهبة المناجز [544] وأعدّ إعداد الحذر [545] وكتّب خيولك، وعبّ [أ] جنودك، وإيّاك والمسير إلاّ في [546] مقدّمة وميمنة وميسرة وساقة [ب]، قد شهروا الأسلحة، ونشروا البنود والأعلام وعرّف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم، قــد أخــذوا أهبة القتـــال، واستعدّوا للّقاء ملتجئين [547] إلى مواقفهم، عارفين بمواضعهم في [548] مسيرهم ومعسكرهم، وليكن ترحّلهم وتنزّلهم على راياتهم وأعلامهم، وفي [549] مراكزهم، قد عرّف كلّ قائد منهم أصحابه مواقفهم [550] من الميمنة والميسرة والقلب والسّاقة والطّليعة لازمين لها غير مخلّين بما استنجدتهم [551] له. ولا متهاونين بما أهبت [552] بهم إليه، حتّى تكون عساكرك [553] في كلّ منهل تصل إليه ومسافة تجتازها [554] كأنّها عسكر واحد في اجتماعها على العدوّ [555]، وأخذها بالحزم، ومسيرها على راياتها، ونزولها على مراكزها [556]، ومعرفتها بمواضعها، ان أضلّت دابّة موضعها [557]، عرف أهل العسكر من أيّ المراكز هي، ومن صاحبها، وفي أيّ المحلّ حلوله منها، فردّت إليه هداية معروفة بسمت صاحب قيادتها [558]، فإنّ تقدّمك في ذلك، وإحكامك له طارح [559] عن جندك مؤونة الطّلب، وعناية المعرفة، وابتغاء الضّالّة.

60- ثمّ اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العامّة، وإنصافا من نفسه للرّعيّة وأخذا بالحقّ في المعدلة مستشعرا تقوى الله وطاعته، أخذا بهديك وأدبك، واقفا عند أمرك ونهيك، معتزما على مناصحتك وتزيينك، نظيرا لك في الحال، وشبيها بك في الشّرف، وعديلا في الموضع [560]، ومقاربا في الصّيت [561]، ثم اكشف [562] معه الجمع، وأيّده بالقوّة، وقوّه بالظّهر، وأعنه بالأموال، وأعمده [563] بالسّلاح، ومره بالعطف [564] على ذوي الضّعف من جندك ومن رخفت [أ] [565] به دابّته، وأصابته نكبتة من مرض أو رجلة [ب] أو آفة، من غير أن تأذن لأحد منهم في التّنحيّ عن عسكره، أو التّخلّف بعد ترحّله إلاّ لمجهود سقما، أو لمطروق بآفة جائحة [566]، ثمّ تقدّم إليه محذرا. ومره زاجرا، وآنهه مغلظا في الشّدّة [567] على من مرّ به منصرفا عن معسكرك من جندك بغير جوازك، شادّا لهم أسرا وموقّرهم حديدا، ومعاقبهم موجعا، وموجّههم [568] إليك فتنهكهم عقوبة، وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة.

61- واعلم أنّه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه واثقا بنصيحته، عارفا ببصيرته [569]، قد بلوت منه أمانة تسكنك إليه، وصرامة تؤمّنك مهانته، ونفاذا في أمرك يرخي عنك خناق الخوف في اضاعته، لم يأمن أمير المؤمنين [570] تسلّل الجند عنك لواذا ورفضهم مراكزهم، وإخلالهم بمواضعهم، وتخلّفهم عن أعمالهم، آمنين تغيير ذلك عليهم، والشّدّة على من احترمه [571] منهم، فأوشك ذلك في وهنك وخذل [572] من قوّتك، وقلّل من كثرتك.

62- اجعل خلف ساقتك رجلا من وجوه قوّادك جليدا، ماضيا عفيفا، صارما، شهم الرّأي، شديد الحذر، شكيم القوّة، غير مداهن في عقوبة، ولا مهين في قوّة، في خمسين فارسا من خيلك [573] يحشر [574] إليك جندك، ويلحق بك من تخلّف [575] عنك بعد الإبلاغ في عقوبتهم، والنّهك لهم، والتّنكيل بهم، وليكن بعقوبتك [576] (أ) في المنزل الّذي ترتحل عنه [577]، والمنهل الّذي تتقوّى منه، مفرّطا في النّقض له، والتّتبع لمن تخلّف عنك منه [578]، مشتدّا في أهل المنزل [579] وساكنه بالتّقدّم، موعزا إليهم في إزعاج الجند عن منازلهم وإخراجها عن مكامنهم، وإيعاد العقوبة الموجعة والنكال المبسل [580] في الأشعار والأبشار [581] واستصفاء [582] الأموال وهدم العقار لمن أوى منهم أحدا، أو ستر موضعه، أو أخفى [583] محلّه، وحذّره عقوبتك إيّاه في التّرخيص لأحد والمحاباة لذي قرابة، والاختصاص بذلك لذي أثرة وهوادة (أ) وليكن فرسانه منتخبين في القوّة، معروفين بالنّجدة، عليهم سوابغ الدّروع دونها شعار الحشو وجبب (ب) الاستجنان [584] متقلّدين سيوفهم، سامطين كنائنهم، مستعدّين لهين أن يبدههم [585] (ح) أو كمين أن يظهر لهم [586]، وإيّاك أن تقبل منهم في دوابّهم إلاّ فرسا قويّا أو برذونا وثيجا (د)، فإنّ ذلك من أقوى القوّة لهم، وأعون الظّهير [587] على عدوّهم -إن شاء الله-.

63- ليكن رحيلك إبّانا واحدا، ووقتا معلوما، لتخفّ المؤونة بذلك على جندك، ويعلم أوان رحيلهم، فيقدّموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وإعلاف دوابّهم، وتسكن أفئدتهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه، ويطمئنّ ذوو الرّأي إلى ابّان الرّحيل [588] ومتى يكون [589] رحيلك مختلفا تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ويخلّوا بمراكزهم، ولا يزال ذوو السّنة والنّزق يترحّلون بالارجاف (أ) وينزلون بالتّوهّم حتّى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة.

64- إيّاك أن تظهر استقلالا [590]، أو تنادي [591] برحيل من منزل تكون فيه حتّى تأمر [592] صاحب تعبئتك بالوقوف بأصحابه على معسكرك [593] أخذا بفوّهة (ب) جنبتيه [594] بأسلحتهم عدّة لأمر إن حضر، أو مفاجأة [595] عن طليعة العدوّ إن رأت منكم نهزة، أو لمحت عندكم غرّة ثمّ هر النّاس بالرّحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدّة، وجنّتك واقية، حتّى إذا استقللتم من معسكركم، وتوجّهتهم من منزلكم سرتم على تعبئتكم بسكون ريح وهدوّ حملة وحسن دعة، فإذا انتهيت [596] إلى منهل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به فإيّاك ونزوله إلاّ بعد العلم بأهله، والمعرفة بمرافقه. ومر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله، ويستثير لك علم دفينه [597] ويستبطن علم، أموره، ثمّ ينهيها إليك على ما صارت إليه [598]، لتعلم كيف احتماله لعسكرك [599]، وكيف ماؤه وأعلافه [600]، وكيف [601] موضع عسكرك منه، وهل لك إن أردت [602] مقاما به، أو مطاولة

لعدوّك ومكايدته [603] فيه – قوّة تحطك ومدد يأتيك، فإنّك إن لم تفعل ذلك لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك [604] ويزعجك منه [605] ضيق مكانه وقلّة مياهه وانقطاع موادّه، ان أردت بعدوّك مكيدة، واحتجت من أمرهم [606] إلى مطاولة. فإن ارتحلت منه، كنت غرضا لعدوّك، ولم تجد إلى المحاربة والأخطار سبيلا، وإن أقمت به أقمت على مشقّة وحصر [607] وفي أزل وضيق، فاعرف ذلك وتقدّم فيه.

65- فإن أدرت نزولا أمرت صاحب الخيل الّتي وكّلت بالنّاس [608] فوقفت خيله[609] متنحّية من عسكرك عدّة لأمر إن غالك [610] ومفزعا لبديهة ان راعتك، قد أمنت بإذن الله [611] وقوّته فجأة عدوّك وعرفت موقعها من حرزك [612] حتّى يأخذ النّاس منازلهم وتوضع الأثقال مواضعها، ويأتيك خبر طلائعك. وتخرج دبّابتك من معسكرك درّاجة ودبّابة محيطين [613] بعسكرك وعدّة لك إن احتجت إليهم [614] وليكن دبّاب جندك [615] أهل جلد وقوّة ******************************

ووجب (أ) نورها أخرج إليهم صاحب تعبئتك أبدا لها عسسا باللّيل في أقرب من مواضع دبّابيّ [616] النّهار، يتحاور ذلك قوّادك جميعا بلا محاباة لأحد منهم فيه ولا إدهان، إن شاء الله.

66- إيّاك أن يكون منزلك إلاّ في خندق أو حصن [617] تأمن به بيات عدوّك وتستنيم فيه إلى الحزم من مكيدتك [618].

67- إذا وضعت الأثقال وحطّت [619] أبنية أهل العسكر، لم يمدد طنب، ولم يرفع خباء [620]، ولم ينصب[621] بناء حتّى تقطع لكلّ قائد ذرعا معلوما [622] من الأرض بقدر أصحابه، فيحتفروه عليهم خندقا يطيفونه بعد ذلك بخنادق الحسك (ب) [623]، طارحين لها دون اشتجار [624] الرّماح ونصب التّرسة، بها بابان قد وكّلت بحفظ [625] كل باب منهما رجلا من قوّادك، في مائة رجل من أصحابه، فإذا فرغ من الخندق وكان ذانك الرّجلان القائدان بمن معهما من أصحابهما [626] أهلا لذلك المركز وموضع تلك الخيل وكانوا هم البوّابين والأحراس لذينك الموضعين [627] قد كفهوهما وضبطوهما وأعفوا من أعمال العسكر ومكروهه غيرهما [628].

68- واعلم أنك إذا كنت في خندق أمنت بإذن الله [629] وقوّته [630] طوارق عدوّك وبغتاتهم، فإنّ [631] راموا تلك منك كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالحزم [632] فيه، وتقدّمت في الإعداد له، ورتقت مخوف الفتق منه، وان تكن العافية استحقبت حمد الله عليها، وارتبطت شكره بها. ولم يضررك أخذك بالحزم لأنّ كلّ كلفة ونصب ومؤونة إنفاق ومشقّة عمل، مع السّلامة غنم وغير خطر بالعاقبة [633] إن شاء الله.

69- فإن [634] ابتليت ببيات عدوّك أو طرقك رائع في ليلك، فليلفك حذرا مشمّرا عن ساقك، حاسرا عن ذراعك، متشزّنا لحربك [635]، قد تقدّمت [636] درّاجتك إلى مواضعها على ما وصفه لك أمير المؤمنين، ودبّابتك في أوقاتها الّتي قدّر لك، وطلائعك حيث

أمرك، وجندك على ما عبّأ لك (637)، قد خطرت عليهم بنفسك، وتقدّمت إلى جندك إن طرقهم طارق (638)، أو فاجأهم عدوّ ألاّ يتكلّم أحد منهم (639) رافسا صوته بالتّكبير، مغرقا في الاجلاب (640)، معلنا بالإرهاب (641) لأهل (642)، النّاحية الّتي يقع بها العدوّ طارقا، وليشرعوا رماحهم مادّين (643) لها في وجوههم، ويرشقوهم (644) بالنّبل مكتفّين بأترستهم(645) لازمين لمراكزهم، غير مزيلي(646) قدم من موضعها ولا متجاوزين(647) إلى غير مركزهم، وليكبّروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون، لتعرف موضع (648) عدوّك من معسكرك (649)، فتمدّ أهل تلك النّاحية بالرّجـال من أعـوانك وشرطتك ومن انتخبت قبل ذلك عدّة للشّدائد بحضرتك (650) وتدسّ إليهم النّشاب والرّماح.

70- "وإيّاك أن يشهروا سيفا يتجالدون به، وتقدّم إليهم أن لا يكون (651) قتالهم في تلك المواضع (652) لمن (653) طرقهم إلاّ بالرّماح مسندين لها إلى صدورهم، والنّشاب راشقين بها وجوههم قد ألبدوا بالأترسة (654) واستجنّوا بالبيض. وألقوا عليهم سوابغ الدّروع وجباب الحشو، فإن صدّ العدوّ عنهم حاملين على ناحية أخرى كبّر أهل تلك النّاحية الّتي يقع فيها كفعل النّاحية الأولى (655)، وبقيّة العسكر سكوت، والنّاحية الّتي صدّ (656) عنها العدوّ لازمة لمراكزها مظلقة الهدوء : ساكنة الرّيح(657)، ثم عملّت (658) في تقويتهم وإمدادهم بمثل صنيعك بإخوانهم، وإيّاك أن تخمد نار رواقك وإذا وقع العدوّ في معسكرك فأجّجها ساعرا لها، وأوقدها حطبا جزلا يعرف به أهل العسكر مكانك وموضع رواقك (659) فيسكن (660) نافر قلوبهم، ويقوى واهن قوّتهم، ويشتدّ منخـذل ظهورهم ولا يرجمـون بك الظّنـون (661)، ويجعلون (662) لك آراء السّوء ويرجفون بك آناء الخوف (663)، وذلك من فعلك رادّ(664) عدوّك بغيظهم، ولم يستقلل (665) منك ظفرا، ولم يبلغ من نكايتك إن شاء الله.

71- فإن (666) انصرف عنك عدوّك ونكل عن الإصابة من جندك وكانت (667) بخيلك قوّة على طلبهم، أو كانت لك من فرسانك (668) خيل معدّة، وكتيبة منتخبة وقدرت (669) أن تركب بهم أكساءهم (670)، وتحملهم على سننه، فأتبعهم جريدة (أ) خيل عليها الثّقات من فرسانك وأولو النّجدة من حماتك، فإنّك ترهق عدوّك وقد أمن بياتك(671) وشغل بكلامه عن التّحرّز منك والأخذ بأبواب معسكره، والضّبط لمحارسه عليه(672) موهنة حماتهم، لغبة (ب) أبطالهم لما ألفوكم عليه من التّشمر والجدّ قد عقر الله فيهم وأصاب منهم، وجرح من مقاتلهم، وكسر من أمانيّ ضلالهم (673)، وردّ من مستعلي جماحهم.

72- وتقدّم إلى من توجّهه (674) في طلبهم، وتتبعه أكساءهم (675)، وهم (676) في سكون الرّيح، وقلّة الرّفث، وكثرة التسبيح والتّهليل، واستنصار الله عزّ وجلّ بقلوبهم وألسنتهم (677) سرّا وجهرا، بلا لجب (أ) ضجّة، ولا ارتفاع ضوضاء، دون أن يردوا على مطلبهم، وينتهزوا فرصتهم (678)، ثم ليشهروا (679) السّلاح، وينتضوا (680) السّيوف، فإنّ لها هيبة رائعة، وبديهة مخوفة، لا يقوم لها في بهمة اللّيل وحندسه (681) إلاّ البطل

المحارب، وذو البصيرة المحامي، والمستميت المقاتل وقليل ما هم عند تلك الحميّة وفي ذلك الموضع [682]، إن شاء الله.

73- ليكن أوّل ما تتقدّم به في التّهيّء لعدوّك، والاستعداد للقائه، انتخابك من فرسان عسكرك، وحماة جندك، ذوي البأس والحنكة والجلد [683] والصّرامة ممّن فذ اعتاد طراد الكماة، وكشر عن ناذجه في الحرب، وقام على ساق في منازلة الأقران، ثقف الفروسيّة [684]، مستجمع [685] القوّة، مستحصد المريرة، صبورا على أحوال [686] اللّيل، عارفا بمناهز [687] الفرص، لم تمهنه الحنكة ضعفا، ولا بلغت به السّنّ كلالا [688]، ولا أسكرته غرّة الحداثة جهلا، ولا أبطرته نجدة الأغمار صلفا، جريئا على مخاطرة التّلف، مقدما [689] على أذراع الموات، مكابرا لمرهوب [690] الهول، متقّحما مخشيّ الحتوف، خائضا غمرات المهالك، برأي يؤيّده الحزم، ونيّة لا يخالجها [691] الشّكّ، وأهواء مجتمعة، وقلوب مؤتلفة [692]، عارفين بفضل الطّاعة وعزّها وشرفها وحيث محلّ أهلهم من التّأييد والظّفر والتّمكين.

74- ثمّ اعرضهم رأي عين على كراعهم وأسلحتهم، ولتكـن دوابّهم إنـاث عتاق الخيل، وأسلحتهم سوابغ (أ) الدّروع، وكمال آلة المحارب، متقلّدين سيوفهم المستخلصة من جيّد الجوهر وصافي الحديد المتخيّرة من معادن الأجناس، هنديّة الحديد أو تبّتيّة [أ] [693]، يمانيّة الطّبع، رقاق المضارب، مستوية [694] الشّحذ، مشطّبة الضّريبة، ملبدين بالتّرسة الفارسيّة صينيّة التّعقيب، معلمة المقابض بحلق الحديد، أنحاؤها [695] مربّعة، ومخارزها بالتّجليد مضاعفة، محملها [ب] مستخفّ، وكنائن النّبل وجعاب القسيّ قد استحقبوها [ج]، وقسيّ الشّريان والنّبح [د] أعرابيّة الصّنعة، مختلفة الأجناس، محكمة العمل، مقوّمة التّثقيف [696]، ونصول النّبل مسمومة، وعملها مصّيصيّ [هـ] [697]، وتركيبها عراقيّ، وترييشها بدويّ، مختلفة الصّوغ في الصّبغ، شتّى الأعمال في التّشطيب والتّجنيح والاستدارة [698] ولتكن الفارسيّة مقلوبة المقابض، منبسطة السّيّة [د] [699]، سهلة الانعطاف، مقرّبة الانحاء ممكنة المرمى، واسعة الأسهم، فرضها سهلة الورود، ومعاطفها غير مقتربة [700] المواتاة.

75- ثمّ ولّ على كلّ مائة رجل منهم رجلا من أهل خاصّتك وثقاتك ونصحائك[701] له صيت في الرّياسة، وقدم في السّابقة، وأوّليّة في المشايعة [702]، وتقدّم إليه في ضبطهم، وكفّ معرّتهم [703]، واستنزال نصائحهم، واستعداد طاعتهم، واستخلاص ضمائرهم، وتعهّد [704] كراعهم وأسلحتهم، معفيا لهم من النّوائب الّتي تلزم أهل عسكرك [705] وعامّة جندك، واجعلهم عدّة لأمر إن حزبك، أو طارق إن أتاك [706]، ومرهم أن يكونوا على أهبة معدّة، وحذر ناف لسنة الغفلة عنهم، فإنّك لا تدري [707] أيّ السّاعة من ليلك ونهارك تكون إليه حاجتك، فليكونوا كرجل واحد في التّشمير (708) والتّرادف وسرعة الإجابة، فإنّك عسيت ألا تجد عند جماعة جندك في (709) مثل تلك الرّوعة والمباغتة إن احتجت

إلى ذلك منهم – معونة كافية، لا أهبة معدّة، بل ذلك كذلك، فليكن هؤلاء القوم الّذين تنتخب عدّتك وقوّتك بعوثا [أ] قد وظّفتها على القوّاد [710] الّذين ولّيتهم أمورهم فسميت أوّلا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا وسادسا [711] إلى عشرة، فإن اكتفيت فيما يبدهك ويطرقك[712] ببعث [713] واحد كان معدّا لم تحتج إلى انتخابهم في ساعتك تلك [714]، فقطّع [715] البعث عليهم عندما يرهقك، وإن احتجت إلى اثنين أو ثلاثة [716]، وجهت منهم إرادتك أو ما ترى قوّتك [717]، إن شاء الله.

76- وكِلْ بخزائنك ودواوينك رجلا ناصحا أمينا [718]. ذا ورع حاجز، ودين فاضل، وطاعة خالصة، وأمانة صادقة [719]، واجعل معها خيلا يكون منزلها وترحّلها [720] مع خزانتك وحولها [721]، وتقدّم إليه في حفظها والتّوقّي عليها [722] واتّهام كلّ من تسند إليه شيئا منها على إضاعته والتّهاون منه [723]، والشّدّة على من دنا منها في مسير، أوضامها في منزل، وليكن عامّة الجند والجيش – إلاّ من استصلحت [724] للمسير معها – متنحّين عنها، مجانبين لها في المسير والمنزل [725]، وإنّه ربّما كانت الجولة، وحدثت الفزعة، فإن لم يكن للخزائن ممّن يوكّل بها أهل حفظ لها، وذبّ عنها، وحياطة دونها، وقوّة على من أراد انتهابها [726]، أسرع الجند إليها، وتداعوا نحوها، حتّى يكادوا يترامى ذلك بهم إلى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة، فإنّ أهل الفتنة وسوء السّيرة كثير، وإنّما همّتهم الشّرّ، وإيّاك أن يكون لأحد في خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك [727] مطمع، أو يجد سبيلا إلى اغتيالها ومرزأتها[728]، إن شاء الله.

77- اعلم أنّ أحسن مكيدتك أثرا في العامّة، وأبعدها صيتا [729] في حسن الفالة ما نلت الظّفر فيه بحزم [730] الرّويّة وحسن السّيرة [731] ولطف الحيلة. فلتكن رويّتك في ذلك وحرصك على إصابته بالحيل [732]، لا بالقتال وأخطار التّلف وادسس إلى عدوّك، وكاتب رؤوسهم وقادتهم، وعدهم المنالات ومنّهم الولايات، وسوّغهم التّراث [733]، وضع عنهم إلا حن، واقطع أعناقهم [734] بالمطامع، واستدعهم بالمثاوب [735]، واملأ قلوبهم بالتّرهيب إن أمكنتك [736] منهم الدّوائر، وأصارتهم [737] إليك الرّواجح، وادعهم إلى الوثوب بصاحبهم أو اعتزاله إن لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة، ولا عليك أن تطرح إلى بعضهم كتبا كأنّها جوابات [738] كتب لهم إليك، وتكتب على ألسنتهم كتبا إليك تدفعها إليهم وتحمل بها صاحبهم عليهم، وتنزلهم عنده بمنزلة[739] التّهمة ومحلّ الظّنّة [740] فلعلّ مكيدك في ذلك أن يكون فيها افتراق كلمتهم، وتشتيت جماعتهم وإحن [741] قلوبهم، وسوء الظّنّ من واليهم بهم [742]، فيوحشهم منه خوفهم إيّاه [743] على أنفسهم إذا أيقنوا باتّهامه إيّاهم فإن بسط يده بقتلهم [744]، وأولغ سيفه في دمائهم [745]، وأسرع الوثوب بهم [746]، أشعرهم جميعا الخوف، وشطهم الرّعب، ودعاهم إليك الهرب، فتهافتوا [747] نحوك بالنّصيحة، وأمّوك بالطّلب [748]، وإن كان متأنّيا محتملا رجوت أن تستميل إليك

بعضهم، وتستدعي بالطّمع [749] ذوي الشّره [750] منهم، وتنال بذلك ما تحبّ من أخبارهم، إن شاء الله.

78- إذا تدانى الصّفّان، وتواقف الجمعان، واحتضرت الحرب وعبّأت [751] أصحابك لقتال عدوّهم، فأكثر من قول [752] : "لا حول ولا قوّة بالله"، والتّوكّل على الله عزّ وجلّ والتفويض إليه، ومسألته توفيقك وإرشادك وأن يعزم لك على الرّشد المنجي [753]، والعصمة الكالئة، والحياطة [754] الشّاملة.

79- ومر جندك بالصّمت وقلّة التّلفّت عند المصاولة [755]، وكثرة التّكبير في أنفسهم، والتّسبيح بضمائرهم، وألاّ يظهروا [756] تكبيرا إلاّ في الكرّات والحملات، وعند كلّ زلفة يزدلفونها [أ]، فأمّا وهم وقوف، فإنّ ذلـــك من الفشـــل والجبـــن، وليذكروا الله في أنفسهم، ويسألوه نصرهم وإعزازهم [757] وليكثروا من قول [758] : "لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم [759]"، "حسبنا الله ونعم الوكيل"، "اللّهمّ انصرنا على عدوّك وعدوّنا الباغي واكفنا شوكته المستحدّة، وأيّدنا بملائكتك الغالبين، واعصمنا بعونك من الفشل والعجز، إنّك أرحم الرّاحمين".

80- وليكن في عسكرك مكبّرون باللّيل والنّهار قبل المواقعة، وقوم موقّوون يحضّونهم [760] ويحرّضونهم على عدوّهم، ويصفون لهم منازل الشّهداء وثوابهم، ويذكّرونهم الجنّة ودرجاتها [761]، ورخاء أهلها وسكّانها ويقولون : "اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم.

81- وإن استطعت أن تكون أنت المباشر لتعبئة جندك، ووضعهم مواضعهم [762] من راياتك، ومعك رجال من ثقات فرسانك ذوو سنّ وتجربة ونجدة على التّعبئة الّتي أمير [763] المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه هذا [764]، فافعل [765] إن شاء الله.

82- أيّدك الله بالنّصر، وغلب لك على القوّة، وأعانك على الرّشد، وعصمك من الزّيغ، وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشّهداء ومنازل الأصفياء، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته".

وكتب سنة تسع وعشر ومائة [أ] [766].

---

8) البلغاء : "بتقدمة المعرفة لمن كانوا سابقة في الدّين وخصّيصتّيء في العلم".
9) البلغاء : "لاعتمد أمير المؤمنين منك".
10) "وتفصيله لك" : ساقط في البلغاء.
11) البلغاء : "بما يراك".
12) البلغاء : "على تشابه".
13) الصّبح : "أو لقنوه".

1) البلغاء : في الأرض.
2) البلغاء : حرمه.
3) الصّبح : نعمة.
4) البلغاء : "شؤونك".
5) البلغاء : "مضطرب".
6) "به" : ساقط في البلغاء.
7) البلغاء : "مخصّصا".

49) البلغاء : "والجيء إلى كنفه".
50) الصّبح : "متحيّزا إليه".
51) البلغاء : "إنّه".
52) البلغاء : "سعيا".
53) البلغاء : "وأرشدك".
54) "من نفسك" : ساقط في الصّبح.
55) الصّبح : "الله".
56) "جوارح" : ساقط في البلغاء.
57) "فيه" : ساقط في البلغاء.
58) الصّبح : "تبارك وتعالى".
59) الصّبح : "في آية".
60) الصّبح : "ترتّل".
61) البلغاء : "يحضّره".
62) البلغاء : "تفهمه".
63) الصّبح : "مفكّرا".
64) البلغاء : "فإنّ فيه".
65) الصّبح : الصّدور.
66) الصّبح : "صعاصعه".
67) "وخصم العقل" : ساقط في البلغاء.
68) البلغاء : "أعدائك".
69) الصّبح : خوائل.
70) "لها" : ساقط في البلغاء.
71) البلغاء : "بعد اصداره عليك".
72) البلغاء : "ردّها".
73) الصّبح : "قمعها".
74) البلغاء : "لك".
75) "عنك" : ساقط في البلغاء.
76) البلغاء : "فازدن به متلحفا".
77) "بالآفة" : ساقط في البلغاء.
78) الصّبح : "تقتطعك".
79) الصّبح : "وتقصّر بك دون شاوها".
80) "فإنّ المؤونة إنّما اشتدّت... أهل الحجا" : ساقط في البلغاء.
81) البلغاء : "غايته".
82) البلغاء : "محصّنا لأعماله".
83) الصّبح : "بمساوي الألقاب وذميم تنابزها".
84) "غلوب" : ساقط في البلغاء.
85) الصّبح : "تصدين آرائك عند ذوي الحجا".
86) البلغاء : "منها".

14) الصّبح : "ولم تصبهم تعلّموا شيئا".
15) الصّبح : "ووضعناهم بمنزلة قصر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب دونهم".
16) الصّبح : "عنهم". وآثرنا تغييرها.
17) "وسابق لاهوتيّة" : ساقط في البلغاء.
18) البلغاء : "احتجاجا".
19) الصّبح : "المحبوّ بمزيّة العلم وصفوته".
20) البلغاء : "أدركه مسادا عليه بلطيف بحثه".
21) البلغاء : "أخذا".
22) "به" : ساقط في البلغاء.
23) البلغاء : "كلّ شيء قبيح".
24) البلغاء : "وبر به من آثار نعمه".
25) البلغاء : "منجحه لك ببسطة الكرم".
26) "مورثة لك أنفس ذخائر العزّ" : ساقط في البلغاء.
27) البلغاء : "والله استخلف عليك وأسأله حياطتك".
28) الصّبح : "داعي".
29) البلغاء : "أخبارها".
30) البلغاء : "تعاف".
31) البلغاء : "تنسى".
32) البلغاء : "لا يتعدّى فيها بأمن حدّ".
33) "وربّما أظهرت بسطة الغيّ مستور العيب" : ساقط في البلغاء.
34) الصّبح : "طلبها".
35) البلغاء : "ولا متطاول المنال لذروتها"، الصّبح : "ولا متطاول المناولة ذروتها".
36) البلغاء : "معانيها".
37) "منها" : ساقط في الصّبح.
38) البلغاء : "شعرت".
39) البلغاء : "واطّبارك على طاعته".
40) "منطويا عليها" : ساقط في البلغاء.
41) "الله" : ساقط في البلغاء.
42) "له" : ساقط في البلغاء.
43) "فيه" : ساقط في البلغاء.
44) "من" : ساقط في البلغاء.
45) الاختيار : "غفلة أو ضياع".
46) البلغاء : "من القوّة".
47) "العدّة" : ساقط في البلغاء.
48) "به" : ساقط في البلغاء.

117) البلغاء : "وتعلّم أنّك ان".
118) البلغاء : "فاعلم".
119) الصّبح : "واسدد خلله".
120) "فيك" : ساقط في البلغاء.
121) البلغاء : "سوء القالة فيه".
122) "ولا يرخص سوء القالة به" : ساقط في البلغاء.
123) الصّبح : "أوعلن".
124) البلغاء : "وقبولا لها، وترخيصا بها".
125) الصّبح : "وأن يفاص".
126) البلغاء : "يرفعونه".
127) الصّبح : "وطعنا".
128) الصّبح : "ككمون".
129) البلغاء : "ولهب وميضه".
130) "وتطرّق الشّين" : ساقط في البلغاء.
131) الصّبح : "لمن كان".
132) "مثل" : ساقط في البلغاء.
133) الصّبح : "ظاهر فيهم".
134) البلغاء : "ولم يبلغ بهم الصّمت في الحركة مستمعات".
135) البلغاء : "من أقطار الذّرع"، الصّبح : "من أطال الذّرع". "والإصلاح عن الجمهرة".
136) "الشّرف" : ساقط في البلغاء.
137) "عيب الصّلف" : ساقط في البلغاء.
138) "رأيهم" : ساقط في البلغاء.
139) "وأنحاء مصطرفة" : ساقط في البلغاء.
140) البلغاء : "يكثر".
141) "عن يمنيه وشماله" : ساقط في البلغاء.
142) البلغاء : "بالمصاحبة.
143) الصّبح : "مرحا".
144) الصّبح : "متسرّعا".
145) البلغاء : "يخال له".
146) البلغاء : "أخفّ".
147) البلغاء : "عريتك".
148) البلغاء : "مسائلك".
149) الصّبح : "موجف" (وتصحّ هذه الكلمة، انظر التّعليق (أ) أعلاه). وتجنّبناها للتّكرار.
150) البلغاء : "مقلقل جوارحك".
151) الاستنهاض" : ساقط في البلغاء.
152) البلغاء : "وابتداعه في تلك الحالة".

87) الصّبح : "وتداوي جندك بالاحسان وتصون سرّك بالكتمان". والبلغاء : "... بالانصاف".
88) و"تداوي حقدك بالانصاف" : ساقط في البلغاء.
89) "وتمنع عقلك... بالعجب المردي" : ساقط في البلغاء.
90) البلغاء : "ومصابك فدرعها رؤية النّظر".
91) الصّبح : "واكنفها"، والمعنى واحد.
92) الصّبح : "وخلوتك".
93) "فيه" : ساقط في الصّبح.
94) البلغاء : "فآمهد".
95) "واستطالة البذخ وامتهان الصّنيعة" : ساقط في البلغاء.
96) "وبلادة الحصر" : سقطت في البلغاء.
97) الصّبح : وامنع منه البذاء وسوء المنافثة.
98) البلغاء : "فخذه".
99) البلغاء : "لا يستفرغ قوّتك ويستدعي سآمتك".
100) البلغاء : "وعزمتك".
101) "فآصرفها" : ساقط في البلغاء. وهي في الصّبح : فآمنعها".
102) الصّبح : "الحزم".
103) "خلال" : ساقط في البلغاء.
104) الصّبح : "دخّال".
105) البلغاء : "بلطائف الله".
106) "بها" : ساقط في البلغاء.
107) البلغاء : "ليكن".
108) "خاصّة" : ساقط في البلغاء.
109) البلغاء : "قرائن". ولعلّها ج. قرون : وهي النّاقة عندما تقرن ركبتيها إذا بركت.
110) "وعين المشورة" : ساقط في البلغاء.
111) الصّبح : "منطوي"
112) البلغاء : "تستدعي منهم بك".
113) البلغاء : "بالمودّة".
114) البلغاء : "وانصافا يغلّ أقاصيهم منك بما تكره أن ينشر عنك من سخافة الرّأي".
115) "وضياع الحزم... فيصرفك عن الرّأي" : ساقط في البلغاء.
116) الصّبح : "يقتطعك".

153) البلغاء : "على وجه النّصيحة".
154) "منهم" : ساقط في البلغاء.
155) "فيعرّضك" : ساقط في الصّبح.
156) البلغاء : "لا يباع دينك". (ولعلّها لابداع في دينك).
157) البلغاء : "ما لا حقيقة فيه".
158) البلغاء : "ويحملك عليّ". (ولا تصحّ لأنّها استعملت في الجملة السابقة)
159) البلغاء : "متنصّحا".
160) البلغاء : "وهو المنصوب لأولئك". وتصحّ إذا اعتبرنا قوله : "إليه انهاك ذلك" خبرا لكان. وقوله : "وهو المنصوب لأولئك" خبرا ثانيا معطوفا. الصّبح : "وليكن صاحب شرطتك المتولّي لإنهاء ذلك هو المنصوب لأولئك. وآثرنا اثبات الجملة على الصّورة أعلاه معتبرين قوله : "أن يتولّى ذلك من قوّادك" مفعولا به أوّلا لـ"أحببت"، وقوله : "إليه إنهاء ذلك" مفعولا به ثانيا لنفس الفعل (رغم أنّ الجملة لا تكون مفعولا به أولا، والبقيّة خبرا لكان.
161) البلغاء : "يرتفع".
162) الصّبح : "خيرته".
163) "عليك" : ساقط في البلغاء.
164) البلغاء : "يسعى".
165) البلغاء : "الباغي منها".
166) الصّبح : "وبدر من واليك إليه عقوبة ونكال".
167) الجمهرة : "يلم تنسب إلى تفريط" (ويصحّ الاستغناء عن الضّمير).
168) "خلوت" : ساقط في البلغاء.
169) "محضرا إليه ذهنك وصواب رأيك" : ساقط في البلغاء.
170) "فافهم ذلك" : ساقط في البلغاء.
171) البلغاء : "فافهم ذلك وتقدّم إلى من تولّي على شيء ناظرا فيه".
172) البلغاء : "يخلّ".
173) الصّبح : "إصحار". (والمعنى واحد)...
174) "يقين الخبر" : ساقط في البلغاء.
175) البلغاء : "أمرته فتولّى ذلك من غير إدخال له عليك".
176) البلغاء : "ولا مشافهة منك له".
177) البلغاء : "ولا مشافهة منك له".
178) البلغاء : "ولا مشافهة منك له".
179) البلغاء : "ولا مشافهة منك له".
180) "وطوّقت قومه حمدك، وأوجبت عليهم حقّك" : ساقط في البلغاء.
181) "بين" : ساقط في البلغاء.
182) "وأحرزت خطوتين" : ساقط في البلغاء.
183) الصّبح : "الدّنيا".
184) البلغاء : "ثمّ إيّاك وأن". الصّبح : "ثمّ وإيّاك أن".
185) "ذلك" : ساقط في البلغاء.
186) "الجمهرة" : ساقط في البلغاء.
187) "بها" : ساقط في البلغاء.
188) البلغاء : "سئل منها".
189) البلغاء : "سرورك".
190) "احابته إليها" : ساقط في البلغاء.
191) "وحسن لك الذّكر... وينلك سوء القالة في المنع" : ساقط في البلغاء.
192) "في ذلك" : ساقط في البلغاء.
193) "به" : ساقط في البلغاء.ذ
194) البلغاء : "جواب".
195) "واخترت معتزما على إرادتك في جوابه" : ساقط في البلغاء.
196) البلغاء : "مصدر".
197) البلغاء : "فيلما".
198) البلغاء : "عنه".
199) البلغاء : "فأقدمه إلى الجواب بعد النّظر والفكرة".
200) البلغاء : "ودفعا".
201) "عليه" : ساقط في البلغاء.
202) البلغاء : "الأشياء".
203) "ومسهّلا عليك مستصعبها" : ساقط في البلغاء.
204) البلغاء : "اهمالك".
205) البلغاء : "بمكروه ان حلّ بك أو حادث وان طرأ عليك".
206) الصّبح : "وتستعضد في موهم نازل".
207) "الامتياح منه" : ساقط في البلغاء.
208) هكذا في مختلف الأصول. ولعلّها "ابتدرت".

209) البلغاء : "لمهل".
210) الصّبح : "خطل".
211) البلغاء : "وظهريّ قوّة".
212) "ان شاء الله" : ساقط في الصّبح.
213) البلغاء : "خاصّ".
214) "وعامّة رعيّتك" : ساقط في البلغاء.
215) الصّبح : "أو النّميمة".
216) البلغاء : "فإنّك أبلغ سموّا إلى منال الشّرف".
217) "ملك" : ساقط في البلغاء.
218) البلغاء : "كبرا".
219) "مرأى مله" : ساقط في الصّبح.
220) الجمهرة : "وعند كلّ رائع مستخفّ مطرب".
221) البلغاء : "موضع".
222) "حيث" : ساقط في البلغاء.
223) "عندك" : ساقط في البلغاء.
224) الصّبح : "اعارتك".
225) الصّبح : "مجتمع".
226) الصّبح : "بعض حرسك وقوّادك".
227) "إليك" : ساقط في البلغاء.
228) البلغاء : "محدّثا".
229) البلغاء : "بإبداع".
230) البلغاء : "تصاريف".
231) البلغاء : "واعلم أنّ تصفّحك وجوه قوّادك".
232) "وذكاء الفطنة وانتباه السّنة" : ساقط في البلغاء.
233) "إن شاء الله" : ساقط في البلغاء.
234) البلغاء : "من أعوانك وحشمك".
235) "كلّ" : ساقط في البلغاء.
236) "عليك" : ساقط في البلغاء.
237) البلغاء : "أو التّوجّه".
238) "منك" : ساقط في البلغاء.
239) "في الأمر يعروك" : ساقط في البلغاء.
240) البلغاء : "المنتشر".
241) البلغاء : "لا غفالها".
242) الصّبح : "رويّتك".
243) البلغاء : "أو غلبتم عليك منك".
244) الصّبح : "الخلا".
245) "ولكلّ أمر غاية تحيط بحدوده وتجمع معالمه" : ساقط في البلغاء.
246) البلغاء : "لبيان".
247) "أو العجز عن دركها" : ساقط في البلغاء.
248) البلغاء : "الإفراط".
249) البلغاء : "الاعتزام".
250) الصّبح : "إيّاك والاغرام عن حديث ما أعجبك أو أمر ما ازدهاك بكثرة السّؤال"
251) البلغاء : "والقطع".
252) البلغاء : "بالأخذ".
253) البلغاء : "لمساوئها".
254) "لكن" : ساقط في البلغاء.
255) الصّبح : "أن".
256) البلغاء : "فهمت عنه".
257) البلغاء : "فمن معرفة حاله".
258) البلغاء : "كالمتعلّل".
259) البلغاء : "تبرّم بمجلسك".
260) البلغاء : "وتضجّر بمن حضرك".
261) البلغاء : "سائر".
262) البلغاء : "وترديد فضوله".
263) البلغاء : "الاعتزام".
264) "اعجل" : ساقط في الصّبح.
265) البلغاء : "مطعمك".
266) البلغاء : "مبتدعا".
267) البلغاء : "من الإيمان".
268) البلغاء : "أو الشّتيمة".
269) البلغاء : "العمريّة".
270) "خدمك" : ساقط في الصّبح.

271) البلغاء : "بمحضرك أو في دارك وبنائك".
272) البلغاء : "يحمل".
273) الصّبح : "وينتشر عليك سوء النّبابة".
274) "كضمّ" : ساقط في البلغاء.
275) "العزّ" : ساقط في الصّبح.
276) "الرّاحة" : ساقط في البلغاء.
277) البلغاء : "ينظر".
278) الصّبح : "رأي عين" – وفي البلغاء : "حتّى يكون على مرأى العين".
279) الصّبح : "ويقين خبرة".
280) "بهم" : ساقط في البلغاء.

313) الصّبح : "مستعلي جهلهم، واحكام ضياع عملهم".
314) "وضمّ منتشر قواصيهم" : ساقط في البلغاء.
315) الصّبح : "وتقييدهم عمّن مرّوا به".
316) الصّبح : "عفاف".
317) الصّبح : "وحمام المستحمّ".
318) "فيه" : ساقط في الصّبح.
319) البلغاء : "بعدوّك".
320) البلغاء : "إلى الأديان".
321) البلغاء : "ضلالا واضلالا".
322) الصّبح : "ما كسبت له".
323) البلغاء : "حصن".
324) "بطاعة الله" : ساقط في البلغاء.
325) البلغاء : "موعده".
326) البلغاء : "لضرّه".
327) البلغاء : "لسيئة".
328) "ومعزّك في كلّ معترك قتال" : ساقط في البلغاء.
329) "وكالئك عند كلّ فتنة مغشية" : ساقط في البلغاء.
330) "والمستخلف على جندك ومن معك" : ساقط البلغاء.
331) "وهو" : ساقط في البلغاء.
332) البلغاء : "وأحوط".
333) "وأعوده عاقبة" : ساقط في الصّبح.
334) البلغاء : "وأحسن في الأمور".
335) البلغاء : "الرّواية".
336) البلغاء : "أسهله".
337) "ويمن النّقيبة" : ساقط في الصّبح.
338) "واتنزال طاعة ذوي الصّدوف" : ساقط في البلغاء.
339) الصّبح : "مبارزة".
340) البلغاء : "وان ساعدك الحظّ".
341) البلغاء : "مزيّة".
342) البلغاء : "ومكروه".
343) البلغاء : "بمعاورة".
344) البلغاء : "لا تدري لأيّ الفريقين الظّفر في البديهة من المغلوب بالدّولة.

281) الصّبح : "لسان الصّدق".
282) البلغاء : "في العامّة".
283) "منك" : ساقط في البلغاء.
284) البلغاء : "المستحبّة عنك".
285) البلغاء : "وميّز".

286) البلغاء : "الحجى" وكلاهما صحيح.
287) البلغاء : "وبين منازل أهل النّقص في طبقات الفضل وأحواله والجمود عنه تناها بأهل الحسب والنّظر نصيحة لهم تنال مودّة الجميع" (؟)
288) البلغاء : "درج".
289) البلغاء : "الأحوال".
290) البلغاء : "مستدخلا".
291) "في أمرك" : ساقط في البلغاء.
292) "لهم" : ساقط في البلغاء.
293) البلغاء : "مفرطا لهم".
294) البلغاء : "جوامع من خصال".
295) "مفسّرا" : ساقط في البلغاء.
296) البلغاء : "جمع شواهدها".
297) الصّبح : "إليك".
298) البلغاء : "تقف عند أوامرها وتنتهي عند زواجرها".
299) الصّبح : "رغيب" (أي المرغوب فيه).
300) "وتؤثّل سطوة العزّ" : ساقط في البلغاء. وهي في الصّبح : "وتأثّل سطر العزّ".
301) الصّبح : "الّذي ترتجي منال الظّفر به".
302) البلغاء : "له".
303) البلغاء : "والاجتناب لمساخطه".
304) الصّبح : "أو تعدّي".
305) البلغاء : "وجهت".
306) "فيه" : ساقط في البلغاء.
307) الصّبح : "عدوّ المسلمين".
308) البلغاء : "أكلبهم وأظهرهم وأفدحهم". والصّبح : "أكلبهم عليه".
309) الصّبح : "آخذهم".
310) الصّبح : "فجورا".
311) الصّبح : "أصاره الله مؤنة".
312) "وفتحه الله مؤونة... (إلى آخر الفقرة)" : ساقط في البلغاء.

345) البلغاء : "فحاول أبلغها في سلامة جندك ورعيّتك".
346) البلغاء : "وأشهرهما في بادئ رأيك".
347) البلغاء : "وأقوها من حربك".
348) "وأعلقهما بزمام النّجاة في آخرتك" : ساقط في البلغاء.
349) البلغاء "عندك".
350) "إلى عدوّك" : ساقط في البلغاء.
351) الصّبح : "وعزّ الألفة".
352) البلغاء : "إليه منهم".
353) "لهم إليه" : ساقط في الصّبح.
354) البلغاء : "متعطّفا عليهم برأفتكم".
355) "اعطاء" : ساقط في البلغاء.
356) الصّبح : "عقدك".
357) البلغاء : "دعوتهم".
358) "إيّاه" : ساقط في البلغاء.
359) الصّبح : "الجاه".
360) البلغاء : "الصّارف".
361) الصّبح : "ويدعو إلى اعتلاق حبل النّجاة".
362) البلغاء : "وما هو أملك به في الاعتصام به عاجلا".
363) الصّبح : "أحوطه".
364) البلغاء : "ممّا يستدعي نصر الله عزّ وجلّ به عليهم".
365) الصبّح : "ويعتضد به في تقديمه الحجّة".
366) البلغاء : "ينتقلون".
367) البلغاء : "ومطامعهم الّتي مدّوا بها أعناقهم نحوها".
368) "وأسهلها لاستنزال طاعتهم" : ساقط في البلغاء.
369) البلغاء : "من أيّ الوجوه ما اتاهم من قبل الشّدّة".
370) البلغاء : "والتّرغيب (...) مستنّا (...) متمكّنا".
371) البلغاء : "الّذين قد حنّكتهم التّجربة ونجذتهم الحروب، متسرّبا في حربك".
372) البلغاء : "كأنّك منزل كلّه ومنازلك جمع".
373) البلغاء : "تنظر".
374) البلغاء : "تخوّف غاراتهم".
375) الصّبح : "مكايدك".
376) "وأجدّ تشميرك" : ساقط في الصّبح.
377) "وأنكا جدّك" : ساقط في البلغاء.
378) البلغاء : "معدّا أقوى مكيدتك وأرهب عتادك، معظما لأمر عدوّك لأكثرها. بفرط تبعة له من الاحتراس عظيما ومن المكيدة قويّا.
379) "ذلك" : ساقط في البلغاء.
380) البلغاء : للتأدب لحربك مضغ بعد استشعار الجذر.
381) البلغاء : اطمئنان الحزم.
382) البلغاء : لقيت.
383) البلغاء : لم يضرك ما أعددت.
384) البلغاء : "مستكثف التّتبع، قويّ الجمع".
385) البلغاء : "ومتى تعزم على ترقيق التّوقير".
386) الصّبح : "الهوينى". وكلاهما صحيح.
387) البلغاء : "لتصغر".
388) الصّبح : "لينتشر".
389) الصّبح : "للحزم".
390) البلغاء : "أسرارهم".
391) "فيه" : ساقط في البلغاء.
392) البلغاء : "أو سؤت ضنّا عليه".
393) البلغاء : "وتردّه".
394) البلغاء : "من محضك".
395) البلغاء : "ولقد أبرموا أمرا".
396) البلغاء : "وازدادوا".
397) البلغاء : "وان دفعوا لك في الأمر".
398) الصّبح : "وأرادوا".
399) البلغاء : "العدد".
400) البلغاء : "فالأحوال متنقّلة بهم في السّاعات".
401) البلغاء : "وإن صحّ".
402) البلغاء : "بمثله".
403) "تفيقهم" : ساقط في البلغاء.
404) البلغاء : "والاغترار إلى ما يأتونك".
405) "إن استعلمت ذلك" : ساقط في الصّبح.
406) "ذلك" : ساقط في البلغاء.
407) البلغاء : "بتدبيرك ورأيك".
408) البلغاء : "ما لم يرموا".
409) البلغاء : "وتأتيهم من حيث أقدموا".

443) البلغاء : "للطائفة".
444) البلغاء : "فيصاب".
445) "عليك" : ساقط في البلغاء.
446) الصّبح : "اياد".
447) الصّبح : "فإنّ الصّوت في إصابة عدوّك".
448) الصّبح : "في جندك أو عبيدهم".
449) الصّبح : "وتسوء عليهم حالة".
450) البلغاء : "مستديرا ضامّا جامعا".
451) البلغاء : "لا يكون منتشرا ممتدّا".
452) البلغاء : "ويكون فيه".
453) "إغاثتك" : ساقط في البلغاء.
454) "وأعمل رأيه في بلوغ موافقتك وإعانتك" : ساقط في البلغاء.
455) البلغاء : "وزينتك".
456) "أنت" : ساقط في البلغاء.
457) الصّبح : "لنفسك".
458) البلغاء : "ولا يمثّله أحد من الولاة يجري على يديه من مغالط الأحكام".
459) الصّبح : "من تولّي القضاء في عسكرك".
460) البلغاء : "بوجود".
461) الصّبح : "الإنصاف".
462) البلغاء : "هادي".
463) الصّبح : "بوار".
464) "مطلقا عنانه" : ساقط في البلغاء.
465) "معسكر" : ساقط في الصّبح.
466) "الموضع" : ساقط في الصّبح.
467) البلغاء : "بينهم".
468) البلغاء : "وحماة كفاة".
469) الصّبح : "ذاقوا".
470) البلغاء : "مرارة".
471) البلغاء : "بتكرارها".
472) البلغاء : "ابتغهم".
473) البلغاء : "في انتقالهم".
474) البلغاء : "شجاحة الخلق وجمال الآلة".
475) البلغاء : "إلاّ إناث الخيول مهلوبة".
476) الصّبح : "إنّهنّ".
477) "وألين معطفا" : ساقط في البلغاء.
478) البلغاء : "نجذهم".
479) البلغاء : "السّنج".
480) البلغاء : "معطف".

410) "وتأخذ عليهم أهبة ما عليه أقدموا" : ساقط في البلغاء.
411) البلغاء : "ممّا".
412) الاختيار : "يبدرنّ".
413) "واتنزل نصائحهم بالمياحة والمنالة"" : تساقط في البلغاء.
414) الصّبح : "يرى".
415) البلغاء : "المكذّب له".
416) البلغاء : "والمتّهم".
417) البلغاء : "أن يعرف".
418) الصّبح : "متجسّسه".
419) البلغاء : "وأنّ رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده به".
420) البلغاء : "ويعدّ لك كاعتدادك له".
421) "ويحاولك كمحاولتك إيّاه فيما تقارف عنه" : ساقط في البلغاء.
422) البلغاء : "يشفر".
423) الصّبح : "فأظهر".
424) البلغاء : "وحوله".
425) "واستعذاب اجتنائها من ينابيعها" : ساقط في البلغاء.
426) البلغاء : "عن عرض".
427) البلغاء : "ولا معاينة لغطائها".
428) "تطابقهم على" : ساقط في البلغاء.
429) "واصفاقهم على خيانتك" : ساقط في البلغاء.
430) البلغاء : "واحكم".
431) البلغاء : "وجنب".
432) البلغاء : "نيل".
433) "واحتيالك لا صابة غرّاته" : ساقط في البلغاء.
434) الصّبح : "وتقدّمت فيه".
435) "لك" : ساقط في البلغاء.
436) البلغاء : "وأنفذهم".
437) البلغاء : "جنانا".
438) البلغاء : "وأرضاهم صبرا"
439) البلغاء : "وأحمدهم خلقا".
440) البلغاء : "جماعتهم".
441) البلغاء : "معسكرك".
442) البلغاء : "له".

481) البلغاء : "وافية".

482) البلغاء : "يملق" وهو القباء

483) البلغاء : "اللّين".

484) "وآستدارة التّقبيب وآستواء الصّوغ" : ساقط في البلغاء.

485) البلغاء : "وادعة".

486) "وهيبة هائلة" : ساقط في البلغاء.

487) هكذا في الأصول. وفي الجمهرة : "مسمومة".

488) "غير كلية المشحذ" : ساقط في الصّبح. الجمهرة : "غير كلية الحدّ".

489) البلغاء : "ووصم أودها مقوّم".

490) البلغاء : "حنكة".

491) البلغاء : "ولا لها سقط عيب".

492) البلغاء : "مستحقب".

493) "مسمومة الصّوغ (...) سوى النّصول" : ساقط في البلغاء.

494) "الزّاد" : ساقط في البلغاء.

495) "الاّ ما لا غناء بهم عنه" : ساقط في الصّبح.

496) "وانتخبهم" : ساقط في البلغاء.

497) : "موضع".

498) البلغاء : "ووقفت دون الحزم".

499) الصّبح : "يكتهفون".

500) "واعلم أنّ" : ساقط في الصّبح.

501) البلغاء : "واعلم أنّ الطّلائع عيون. وحصون المسلمين".

502) الصّبح : "وهم".

503) "انتقاؤك ايّاهم" : ساقط في البلغاء.

504) البلغاء : "ثم انتخب لهم رجلا للولاية عليهم بعيد الصّوت".

505) البلغاء : "مشهور الفضل" : وسقط فيه قوله : "الاسم وظاهر".

506) البلغاء : "ناصح الغيب".

507) البلغاء : "من لين طباعه".

508) البلغاء : "واستعد".

509) "عليه" : ساقط في البلغاء.

510) البلغاء : "وفي ذلك".

511) البلغاء : "وأقمعها كمنا". وسقط فيه قوله : "لمحاذّها".

512) البلغاء : "وأشجى لمحاذك".

513) البلغاء : "ومتى يكن في البأس والثّقة والجلد والطّاعة والقوّة والنّصيحة حيث وصفت لك وأمرتك به".

514) البلغاء : "تضع عنك مونة الهمّ وترخي عن خناقك دروع الخوف".

515) البلغاء : "متين".

516) البلغاء : "وأمر".

517) "وغرّات بغتاتهم وطوارئ أحداثهم" : ساقط في البلغاء.

518) الصّبح : "أو اثنتين".

519) منتبذا عنك : ساقط في البلغاء.

520) البلغاء : "أخلافهم".

521) "تال" : ساقط في البلغاء.

522) البلغاء : "فاجعل".

523) البلغاء : "لا يعد منه".

524) "منك" : ساقط في البلغاء.

525) البلغاء : "ولا يتحامل على أحد فيه".

526) البلغاء : "وقوّادك".

527) "قافية" ك ساقط في البلغاء.

528) "تأديب" : ساقط في البلغاء.

529) البلغاء : "معي".

530) "الايثار" : ساقط في البلغاء.

531) الابلغاء : "وتضييعهم أمرهم دخول الضّياع على أعمالك واستخفاف بأمرك".

532) البلغاء : "يتقدّم".

533) الصّبح : "في تقويم".

534) هكذا في الأصول : وفي الجمهرة : "المهج".

535) البلغاء : "إقامة الحدّ".

536) البلغاء : "سفر".

537) البلغاء : "يوجب".

538) "أو" : ساقط في البلغاء.

539) البلغاء : "إليهم".

540) البلغاءر : "عليهم".

541) "برفقك" : ساقط في البلغاءر.

542) البلغاء : "أو عزمك أمار برأيك ضياع".

543) البلغاء : "والله استودع دنيا في نفسك".

544) البلغاء : "المناجزة".

545) الصّبيح : "وخذ اعتداد الحذر".

582) البلغاء : "اصفاء".
583) البلغاء : "وأخفى".
584) البلغاء : "وحبّ الاستحثات".
585) في الأصول : "يدهمهم".
586) "اوكمين أن يظهر لهم" : ساقط في الصّبح.
587) (8)
588) (9)
589) (10)
590) "إيّاك أن تظهر استقلالا" : ساقط في البلغاء.
591) البلغاء : "إيّاك أن تنادي". وهي بداية الفقرة.
592) البلغاء : "يأمر".
593) "بالوقوف بأصحابه على معسكرك" : ساقط في البلغاء.
594) الصّبح : "آخذا بجنبتي فوهته".
595) البلغاء : "ومفاجأة".
596) البلغاء : "انتهيتم".
597) البلغاء : "إلاّ بعد العلم بأن تعرف لك أحواله أو بيسير علم دفينه".
598) البلغاء : "وما صارت إليه".
599) البلغاء : "احتمال عسكرك".
600) البلغاء : "وكيف مأواه وأعلامه".
601) "كيف" : ساقط في البلغاء.
602) البلغاء : "إذا أردت".
603) البلغاء : أو مكايدته.
604) "يعجزك" : ساقط في البلغاء.
605) الصّبح : "عنه".
606) في الصّبح : "أمورهم".
607) البلغاء : "على مشقّة حصر".
608) البلغاء : "رحلت بالنّاس".
609) "خيله" : ساقط في الآبلغاء.
610) البلغاء : "أن راعك".
611) الصّبح : "يحمد الله".
612) البلغاء : "من حربك".
613) البلغاء : "وتخرج دبّابتك من معسكرك دبّابا محيطين".
614) الصّبح : "إليها".

546) "في" : ساقط في البلغاء.
547) البلغاء : "ملّحين".
548) البلغاء : "من".
549) "في" : ساقط في الصّبح.
550) البلغاء : "وعرّف كلّ قائد أصحابه موقعهم".
551) الصّبح : "بما استنجدوا له".
552) الصّبح : "أهيب".
553) البلغاء : "عساكرهم".
554) البلغاء والصّبح : "تختارها".
555) البلغاء : "كأنّه عسكر واحد في اجتماعها على العدّة".
556) الصّبح : "في مراكزها".
557) الصّبح : "أن ضلّت دابّة من موضعها".
558) البلغاء : "هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها".
559) البلغاء : "اطراح".
560) البلغاء : "المواضع".
561) الصّبح : "النّسب".
562) البلغاء : "اكشف".
563) البلغاء : "اغمره".
564) الصّبح : "التّعطّف".
565) الصّبح : "أزحفت".
566) البلغاء : "إلاّ المجهود أو المطروق بآفة".
567) البلغاء : "بالشّدّة".
568) البلغاء : "أو موجّههم".
569) "عارفا ببصيرته" : ساقط في البلغاء.
570) البلغاء : "لم آمن". وسقط فيه قوله : "أمير المؤمنين".
571) البلغاء : "احترمه".
572) البلغاء : "أخذ".
573) "خيلك" : ساقط في الصّبح.
574) البلغاء : "تحشر".
575) البلغاء : "يتخلّف".
576) البلغاء : "لعقوتك".
577) (9) الصّبح : "ترحّل".
578) (10) البلغاء : والتّبع لمن تخلّف عنك".
579) البلغاء : "مشبدا في أهل المنهل".
580) البلغاء : "المنسل".
581) "الأبشار" : ساقط في البلغاء.

641) البلغاء : "معلنا بالإرهاب.
642) البلغاء : إلاّ أهل".
643) الصبح : "ناشبين".
644) البلغاء : "يرشقهم".
645) البلغاء : "ملبّدين بترسهم".
646) "غير مزيلي" : ساقط في البلغاء.
647) 14) البلغاء : "ولا منحازين".
648) "لتعرف موضع" : ساقط في البلغاء
649) البلغاء : "معسكرهم".
650) "بعضرتك" : ساقط في البلغاء.
651) البلغاء : "فلا يكون".
652) البلغاء : "في تلك المواضع باللّيل".
653) البلغاء : "من".
654) البلغاء : "بالتّرسة".
655) البلغاء : "كبّر أهل تلك النّاحية الأولى".
656) البلغاء : "صدر".
657) "منطقة الهدوء، ساكنة الرّيح" : ساقط في البلغاء.
658) البلغاء : "فعلت".
659) "وإذا وقع العدوّ (...) وموضع رواقك" : ساقط في الصّبح.
660) البلغاء : "ويسكن".
661) البلغاء : "ولا يرجفون فيك الظّنون".
662) البلغاء : "يجيلون".
663) "ويرجفون بك آناء الخوف" : ساقط في البلغاء.
664) البلغاء : "ردّ".
665) البلغاء : "ولم يستقل منك بظفر". واستقلّ الشّيء : أخذ منه أدنى جزء.
666) الصّبح : "وإن".
667) البلغاء : "وكان".
668) "من فرسانك" : ساقط في البلغاء.
669) واو العطف لقدرت : ساقط في البلغاء.
670) البلغاء : "أكتافهم".
671) الصّبح : "وقد أمن من بياتك".
672) "عليك" : ساقط في البلغاء.
673) البلغاء : "ضلالتهم".
674) البلغاء : "توجّه".
675) البلغاء : "أن يكونوا".
676) "وهم" : ساقط في الصّبح.

615) البلغاء : "وليكن دبّاب جندك بعسكرك". وفي الصّبح: "ولتكن دبّابات جندك"
616) البلغاء : "دبّاب".
617) الصّبح : "وحصن".
618) البلغاء : "مكيدته".
619) البلغاء : "خططت".
620) البلغاء : "لم يمدّ خباء".
621) البلغاء : "ينتصب".
622) البلغاء : "ذرع معلوم".
623) البلغاء : "فيحتفرونه عليهم ويبنون بعد ذلك خنادق الحسك".
624) البلغاء : "أشجارا".
625) البلغاء : "قد وكلت بعد لحفظ".
626) "بمن معهما من أصحابها" : ساقط في البلغاء.
627) نجد إثر هذه الكلمة – في البلغاء –كلاما لا يقبله السّياق وهو : "ندا (هكذا إلى الرّفاهة والسّعة وتقدّم العسكر والتّأخّر عنه فانّ ذلك ممّا يضعف الجند ويوهنه لاستنامته إلى من ولاّه ذلك وأمنه به على جيشه". وسبق ما يشبه هذا الكلام ص : 279، آخر الفقرة 47.
628) "قد كفوها (...) غيرهما" : ساقط في البلغاء.
629) البلغاء : "واعلم أنّك إذا أمنت بإذن الله".
630) "وقوّتك" : ساقط في البلغاء.
631) البلغاء : "إذا".
632) البلغاء : "بالجدّ".
633) "وإن تكن العافية (...) العاقبة" : ساقط في البلغاء.
634) البلغاء : "إذا.
635) البلغاء : "أو طرقك رائعا في (؟) حذرا معدّا مشمّرا عن ساقك مسربا لحربك".
636) البلغاء : "قد قدّمت".
637) البلغاء : "على ما وصفت لك (؟) الّتي قدّرت لك وطلائعك حيث أمرتك وجندك حيث عبّأت لك".
638) البلغاء : "وتقدّم إلى جندك ان طرق طارق".
639) الصّبح : "وأن لا يتكلّم منهم أحد".
640) البلغاء : "مستغفرا في اجلاب"

712) الصّبح : "فيما يطرقك ويبدهك".
713) البلغاء : "لبعث".
714) البلغاء : "لم تحتج فيه إلى امتحانهم في ساعتك تلك".
715) البلغاء : "وقطع".
716) البلغاء : "بثلاث".
717) "أو ما ترى قوّتك" : ساقط في البلغاء.
718) البلغاء : "رجلا أمينا صالحا".
719) "وطاعة خالصة وأمانة صادقة" : ساقط في البلغاء.
720) الصّبح : "مرحلها".
721) "وحولها" : ساقط في البلغاء.
722) البلغاء : "والتوفّر عليها".
723) البلغاء : "واتّهام من يستولي على شيء منها على إضاعته والتّهاون به".
724) الصّبح : "استخلصت".
725) "في المسير والمنزل" : ساقط في البلغاء.
726) "وحياطة دونها، وقوّة على من أراد انتهابها" : ساقط في البلغاء.
727) "وبيوت أموالها" : ساقط في الصّبح.
728) البلغاء : "مررتها".
729) البلغاء : "صونا".
730) البلغاء : "يحسن".
731) البلغاء : "حزم التّدبير".
732) "بالحيل" : ساقط في البلغاء.
733) البلغاء : "التّراب".
734) البلغاء : "واقطع عنهم أعناقهم".
735) "واستدعهم بالمثاوب" : ساقط في البلغاء.
736) البلغاء : "وان أمكنتك".
737) البلغاء : "وأصار بهم".
738) الصّبح : "جواب".
739) البلغاء : "منزلة".
740) "ومحلّ الظّنّة" : ساقط في البلغاء.
741) البلغاء : "واحش".
742) "بهم" : ساقط في البلغاء.
743) البلغاء : "بأنّها منايا هم"
744) الصّبح : "فقتلهم".
745) البلغاء : "وأولغ في دمائهم سيفه".
746) البلغاء : "وأسرع في الوثب بهم".
747) البلغاء : "وتهافتوا".
677) "الصّبح" : "بألسنتهم وقلوبهم".
678) البلغاء : "فرصهم".
679) البلغاء : "يشهروا".
680) البلغاء : "ينضّوا".
681) "وحندسه" : ساقط في البلغاء.
682) البلغاء : "وقليل ما هم عند تلك المواضع".
683) البلغاء : "الجدّ".
684) البلغاء : "الفراسة".
685) الصّبح : "مجتمع".
686) الصّبح : "هول".
687) الصّبح : "مناهزة".
688) البلغاء والصّبح : "سلالا".
689) البلغاء : "متقدّما".
690) الصّبح : "مهيب".
691) البلغاء : "يخلجها".
692) البلغاء : "موقنة".
693) البلغاء : "بدنيّة".
694) الصّبح : "مسمومة".
695) البلغاء : "ذهاؤها".
696) مقوّمة التّثقيف : ساقط في البلغاء.
697) "وعملها مصّيصيّ" : ساقط في البلغاء.
698) البلغاء : "شتّى الأعمال في التّشطيب والاستزادة".
699) البلغاء : "السّنّة".
700) البلغاء : "معنون".
701) البلغاء : "نصائحك".
702) "له صيت في الرّياسة (...) المشايعة" : ساقط في البلغاء.
703) "معرّتهم" : ساقط في البلغاء.
704) البلغاء : "تعهد".
705) البلغاء : "العسكر".
706) البلغاء : "ثمّ اجعلهم لأمر إن فاجأك أو طارق بيتك".
707) البلغاء : "وحذّرهم فإنّك لا تدري".
708) البلغاء : "التّشهير".
709) "في" : ساقط في البلغاء.
710) البلغاء : "بل ذلك كذلك، فاذكرها ولى الذين نبحت (هكذا) عدّتك وقوّتك تقويا قد قطعتها على القوّاد".
711) "وسادسا" : ساقط في البلغاء.

758) "قول" : ساقط في البلغاء.
759) "العليّ العظيم" : ساقط في البلغاء.
760) البلغاء : "قبل المواقعة يطوفون عليهم ويحضّونهم".
761) "ودرجاتها" : تساقط في البلغاء.
762) "مواضعهم" : ساقط في البلغاء.
763) البلغاء : "وأمير".
764) الصّبح : "كتابك".
765) "فافعل" : ساقط في البلغاء.
766) سقط ذكر التّاريخ في البلغاء.
748) "وأمّوك بالطّلب" : ساقط في البلغاء.
749) الصّبح : "ويستدعي الطّمع".
750) البلغاء : "ذوي الشّرّ".
751) البلغاء : "فعبّأت".
752) "قول" : ساقط في البلغاء.
753) "المنجي" : ساقط في البلغاء.
754) البلغاء : "الحيطة".
755) البلغاء : "إلى المشار إليه" (بدل المصاولة).
756) الصّبح : "ولا يظهروا".
757) "وليذكروا الله في أنفسهم، ويسألوه نصرهم واعزازهم": ساقط في البلغاء.

4- من رسالة في السلامة

النص [أ] :

1- "... فإن أمير المؤمنين كتب إليك وهو في نعمة الله عليه، وبلائه عنده في ولده وأهل لحمته، والخاصّ من أموره والعامّ، والجنود (هكذا) والقواصي والثغور والدهماء المسلمين على ما لم يزل وليّ النّعم يتولاّه من أمير المؤمنين، حافظا له فيه، مكرما له بالحياطة لما ألهمه الله فيه من آمر رعيّته، على أعظم وأحسن وأكمل ما كان يحوطه، ويذبّ له عنه، واللّه محمود مشكور إليه فيه مرغوب.

2- أحبّ أمير المؤمنين – لعلمه بسرورك به – أن يكتب إليك بذلك، لتحمد الله عليه، وتشكره به، فإن الشّكر من الله بأحسن المواضع وأعظم المنازل، فآزدد منه تزدد به، وحافظ عليه تحفظ به، وارغب فيه يهد إليك مزيد الخير، ونفائس المواهب، وبقاء النّعم، فآقرأ على من قبلك كتاب أمير المؤمنين إليك ليسر به جندك ورعيّتك، ومن حمّله الله النّعم بأمير المؤمنين ليحمدوا ربّهم على ما رزق الله عباده من سلام أمير المؤنين في بدنه، ورأفته بهم، واعتنائه بأمورهم، فإنّ زيادة الله تعلو شكر الشاكرين[ب]، والسّلام".

التعليق

(أ) قال صاحب الأختيار : "كتب عبد الحميد بن يحي عن هشام بت عبر الملك إلى يوسف بن عمر وهو باليمن، في السلامة : (النص)". نقلا عن الجمهرة. ورسائل السلامة هي نوع من المناشير السياسية يكتبها الخلفاء إلى ولاتهم لنشرها بين العامة. وتكون عند العودة من سفرة أو حرب فيها أخطار. وتهدف إلى طمأنة الرعية عن حالة الخليفة. ومنها مثلا ما يكتب الى الولاة عند عودة الخليفة من الحج. "الرسم في هذه الكتب" أن يذكر أن الحج من أجل العبادات(...) وأن تذكر نعمة الله بما منح أمير المؤمنين من سفره ذلك من بلوغ المآرب (...) وشمول النسمة في الذهاب والاياب وهذا الصنف من المكتبات قليل الوقوع (عن الصبح، ج 8 : 336-338 و 339).

وجاء في تاريخ أدب فروخ "أنه في سنة 724/106 و724 و115/ 633و634/116 وقع بالشام طواعين ويبدو أن هشام بن عبد الطك أراد أن يكتب إلى الولاة في إحدى هذه السنوات مايطمئنهم ويزجر الرعية عن الإرجاف والفتن فكتب عبد الحميد بن يحي الى يوسف آبن عمر والي اليمن (106-120) هذه الرسالة.

(ب) قال تعالى : "لإن شكرتم لأزيدنكم" سورة ابراهيم 41 الاية 7

5- رسالة في التصريح

النص [أ] :

"أما بعد، فإنّ الله شرع دينه بإنهاج سبله، وإيضاح معالمه بإظهار فرائضه، وبعث رسله إلى خلقه دلالة لهم على ربوبيته، واحتجاجا عليهم برسالاته، وتقدما[1] إليهم بإنذاره ووعيده، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحي من حيي عن بيّنة [ب]، ثم ختم بنبيّه صلّى الله عليه وسلّم[2]، وقفّى به رسله، وابتعثه لإحياء دينه الدارس مرتضيا له على حين انطمست[3] الأعلام مختفية، وتشتتت السّبل متفرّقة، وعفت آثار الدين دارسة، وسطع وهج [ج] الفتن، واعتلى قتام الظلم، واستنهد الشّرك، وأسدف الكفر، وظهر أولياء الشيطان لطموس الأعلام، ونطق زعيم الباطل لسكته الحقّ[4]، واستطرق[ح] الجور، واستنكح[خ] الصّدوف عن الحلّ، وآقمطر[هـ] سلهب[د] الفتنة، واستضرم لقاحها، وطبّقت الأرض كلمة كفر وغياية فساد، فصدع بالحق مأمورا، وبلّغ الرّسالة معصوما، ونصح الإسلام وأهله، دالاّ لهم على المراشد وقائدا لهم إلى الهداية، ومنيرا لهم أعلام الحقّ ضاحية، ومرشدا لهم إلى استفتان باب الرّمة، وإعلان عروة النجاة، موضّحا لهم سبل الغواية، زاجرا لهم عن طريق الضّلالة، محذّرا لهم الهلكة، موعزا لهم في التّقدمة، ضاربا لهم الحدود على ما يتّقون من الأمور ويخشون، وما إليه يسارعون و(إيّاه) يطلبون، صابرا نفسه على الأذى والتكذيب، داعيا لهم بالتّرغيب والترهيب، حريصا عليهم، متحننا على كافّتهم، عزيزا عليه تعنّتهم، رؤوفا بهم رحيما، تقدّمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم إلى تجريد الطّلب إلى ربّه فيما فيه بقاء النّعمة عليهم وسلامة أديانهم، وتخفيف أواصر[ذ] الأوزار عنهم، حتى قبضه الله إليه[5] صلّى الله عليه وسلّم[6]، ناصحا متنصّحا، أمينا مأمونا، قد بلّغ الرّسالة، وأدّى النّصيحة، وأقام الحقّ، وعدّل عمود الدّين، حتى اعتدل ميله، وأذلّ الشّرك وأهله، وأنجز الله له وعده، وأراه صدق أسبابه في إكماله للمسلمين دينه، واستقامة سنّته فيهم، وظهور شرائطه عليهم، قد أبان لهم موبقات الأعمال، ومفضيات الذنوب، ومهبطات الأوزار وظلم الشّبهات، وما يدعو إليه نقصان الأديان، وتستهويهم به الغوايات، وأوضح لهم أعلام الحلّ، ومنازل المراشد، وطرق الهدى وأبواب النجاة ومعالق العصمة، غير مدّخر لهم نصحا، ولا مبتغ في إرشادهم غنما.

---

[1] البلغاء : "مقدما".
[2] "سلّم" : ساقط في البلغاء
[3] البلغاء : "انطمست له"

[4] البلغاء : "بسكتة الحقّ"
[5] البلغاء : "عليه"
[6] "سلّم" : ساقط في البلغاء

2- فكان مما قدّم إليهم فيه نهيه، وأعلمهم سوء عاقبته، وحذّرهم إصره، وأوعز إليهم ناهيا وواعظا وزاجرا، الاعتكاف على هذه التماثيل من الشّطرنج، والمواصلة عليها، لما في ذلك من عظيم الإثم، وموبق الوزر، مع مشغلتها عن طلب المعاش، وإضرارها بالعقول، ومنعها من حضور الصّلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين.

3- وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناسا من قبلك من[1] أهل الإسلام قد ألهجهم الشّيطان بها وجمعهم عليها، وألّف بينهم فيها، فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم إلى ممساهم، ملهية لهم من الصّلوات، شاغلة لهم عمّا أمروا به من القيام بسنن دينهم، وافترض عليهم من شرائع دنياهم[2]، مع مداعبتهم فيها، وسوء لفظهم عليها، وأنّ ذلك من فعلهم ظاهر في الأندية والمجالس، غير منكر ولا معيب، ولا مستفظع عند أهل الفقه وذوي الورع والأديان والأسنان منهم، فأكبر أمير المؤمنين وأعظمه، وكرهه واستكبره، وعلم أنّ الشّيطان عندما يئس من بلوغ إرادته[3] في معاصي الله عزّ وجلّ بمصر المسلمين ومجمعهم صراحا وجهارا، أقدم بهم على شبهة مهلكة وزيّن لهم ورطة موبقة، وغرّهم بمكيدة حيله، إرادة لاستهوائهم بالخدع، واجتيالهم(ق) بالشبه والمراصد الخفيّة المشكلة، وكل مقيم على معصية الله صغرت أو كبرت مستحلا لها، مشيرا بها مظهرا لارتكابه إيّاها، غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها، ولا خائف مكروها فيها، ولا رعب[4] من حلول سطوته عليها، حتّى تلحقه المنيّة، فتختلجه وهو مصرّ عليها، غير تائب إلى الله منها، ولا مستغفر من ارتكابه إيّاها، فكم قد أقام على موبقات الآثام وكبائر الذّنوب حتّى حدّه مخترم(ف) أيّامه[5].

4- وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدّم إليهم فيما بلغه عنهم وأن ينذرهم[6] ويوعز إليهم، ويعلمهم ما في أعناقهم عليها، وما لهم في قبول ذلك من الحظّ، وعليهم في تركه من الوزر، فآذن بذلك فيهم، وأشده في أسواقهم وجميع أنديتهم، وأوعز إليهم فيه وتقدّم إلى عامل شرطتك في إنهاك العقوبة لمن رفع إليه من أهل الاعتكاف عليها والإظهار للّعب بها، وإطالة حبسه في ضيق وضنك، وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين، وأفطمهم عمّا لهجوابه[7] من ذلك، والتمس بشدّك عليه فيه وإنهالك بالعقوبة عليه ثواب اللّه وجزاءه واتباع أمير المؤمنين ورأيه.

5- ولا يجدن أحد عنك هوادة في التقصير في حقّ الله عزّ وجلّ، والتعدي لأحكامه، فتحلّ بنفسك ما يسوءك عاقبته ومغبّته، وتتعرّض به لغير اللّه عزّ وجلّ ونكاله.

---

[1] البلغاء : "ممن"
[2] في المصدر : "أعمالهم"، وآثرت تغييرها حسب السّياق
[3] البلغاء : "عندما يئس منه من بلوغ إرادته"
[4] هكذا في البلغاء. وهي في الجمهرة "رعيب"
[5] البلغاء : "حتّى مدّ به محزم أيّامه". والإصلاح عن الجمهرة
[6] "وأن ينذرهم" : ساقط في الجلمهرة
[7] البلغاء : "نهجوابه"

واكتب إلى أمير المؤمنين ما يكون منك إن شاء الله. والسلام.

التعليق

(أ) قال محمد كرد علي في أمراء البيان : "ومن رسائله (عبد الحميد) المفردات رسالته في الشطرنج والتنفير من اللعب به، وهي: "النص" ولم أتوصل إلى معرفة الوالي المقصود بها.

(ب) عن سورة الأنفال (8)، الآية 42

(ج) الرهج : الغبار الشديد ويقال أرهن الغبار: أثراه

(ح) استطرق الشيء: جعله له طريقا

(خ) استنكح في بني فلان: تزوج فيهم. واستنكح النّوم عين فلان غلبها.

(هـ) اقمطرّ : انتشر واشتدّ. ويقال يوم قمطرير وشرّ قمطرير.

(د) السّلهب: ج. سلاهب وسلاهبة : الطّويل من الخيل والشّديد

(ذ) أواصر :ج، أصر: وهو الثّقل والعبء

(ق) الاجتيال: اجتيال القوم: حوّلهم عن قصدهم

(ف) مختترم : اخترمه : أهلكه واستأصله، واخترمه الموت أي أخذه، ولعلّه وقصد نهاية أيامه.

6- من رسالة في فتنة بعض العمّال

النصّ (أ) :

"(...) حتّى آعمتراس حنادس (ب) جهالة ومهاوي سبل ضلالة ضلالي[1] سياقه، وسلّماني قياده إلى نزل(ج) من حميم، وتصلية جحيم، سوق ما أنتجت الحفيظة في نفسه من عوائد الحسك (د) وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب، مضادة لله تعالى بالناصية، ومبارزة لأمير المؤمنين بالمحاربة: ومجاهدة للمسلمين بالمخالفة إلى أن أصبح بفلاة قفر وتيه صفر بعيدة المناط، يقطع دونها النياط، وكذلك يفعل الله بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون(هـ)".

التعليق :

(أ) قال ابن نباتة في السرح : "وكتب (عبد الحميد) في فتنة بعض العمال من رسالة: "النص"."
ويبدو من خلال استعمال الضمير الغائب في الرسالة أعلاه أن هذه الفتنة لم تكن إلا مناسبة لتحرير هذا النصّ السّياسي، ونشره بين العامة أو الجند ليتعظوا به.
(ب) حنادس : ج. حندس، والحندس: الظلمة وأيضا اللّيل المظلم
(ج) النّزل : المنزل
(د) الحسك : ج. حسكة وهي شوكة صلبة، ومجازا: الحقد والغضب
(هـ) سورة الأعراف (7) الآية 185 وسورة القلم (68)، الآية 44

---

[1] في مصادر الرواية زطلا سياقه، وثرت تغيير ذلك على الصورة المذكورة.

7- من رسالة في لفت على لزوم الطاعة

النصّ (أ) :

"فإن الفتنة تتشوّف[ب] لأهلها بآنق منظر وأزين طبس، تجرّ لهم أذيالها، وتعدهم تتابع لذاتها حتّى ترمي بهم في حومات[ج] أمواجها، مسلّمة لهم، تعدهم الكذب وتمنّيهم الخدع فإذا لزمهم عضاضها، ونفر بهم شماسها[د]، تخلّت عنهم خاذلة لهم، وتبرّات منهم معرضة (عنهم)، قد سلبوا أجمل لباس دينهم، واستنزلوا من أحسن معاقل دنياهم: من الغناء البهيّ منظره، الجميل أثره، حتّى تطرحهم في فضائح أعمالهم والإيجاف [هـ] في التعب، وسوء المنقلب، فمن آثر دينه على دنياه تمسّك طاعة ولاته: وتحرّز بالدّخول في الجماعة، تاركا لأثقل الأمرين وأوبل الحالين.

التعليق :

(أ) وردت هذه الرّسالة ضمن فصل عنونه القلقشندي في الصّبح بـ"الكتب في الحثّ على لزوم الطّاعة وذمّ الخلاف"

(ب) تشوّف إلى الشيء : تطلّع إليه

(ج) حومة الشيء : مركزه

(د) الشماس : المعاندة والامتناع

(هـ) الإيجاف : من أوجف الشيء : حرّكه. ويقال : وجف القلب يجف خفق بشدّة. ولعلّ الكاتب يقصد شدّة التّعب.

8- من رسالة في الطّاعة

النّصّ :

1- "...ففي طاعة الأئمّة في الإسلام، ومناصحتهم على أمورهم، والتّسليم لما أمروا به كلّ نعمة[1] فاضلة، وكرامة باقية، وعافية محلّلة، وسلامة ظاهرة وباطنة، وقوّة الله مانعة، وفي الخلاف لهم والمعصية عليهم ذهاب كلّ نعمة، وتفرّق كلّ كرامة، ومحق كلّ قنية (أ). وهلاك كلّ سلامة وألفة، وموت كلّ عزّ وقوّة، والدّعاء بكلّ بليّة، ومقارضة كلّ ضلالة، واتباع كلّ جهالة، وإحياء كلّ بدعة، وإماتة كلّ سنّة، وإجلاب كل ضرر على الأمّة، وإدبار كلّ منفعة، والعمل بكلّ جور وباطل، وفناء كل حقّ.

2- وبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي بيده سيف أخيه الّذي يعتمد عليه، ويوهن عضده، ويهدم حصنه، ويقلّ عدده، ويهلك ثروته، ويعطب من يدعوه ويفزع إليه ويكثر بمكانه ويحرسه من غفلته عن الأعداء إذا غفل ويكون عبئا له من خلفه، فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم يهراق بغير حقه، وطفل من أبناء المسلمين قد يتم من أبيه ومذلّة قد دخلت عليه، ونعمة قد زالت عنه، ووحشة قد أحدثـــت، (و) ضغائـــن في القلوب قد نشبـــت، وشحنـــاء قد ظهرت وأوتار قد بقيت، وعداوة في الأنفس قد استقرّت، وخوف قد ظهر، وسبل قد قطعت، وأرملة قد أرملت، وصبيّة قد يتّمت، وبلاد عامرة قد خربت، وعدد قد نقص، وبلايا قد عمت وشملت، وعدوّ قد شمت، ومنافق قد رفع إلى ما كان يؤمل رأسه، وعدوّ من المشركين قد طمع وغوي بعد ضعف، وعزّ بعد ذلّة، ورعيّة قد صاحت، ورعية قد ولولت، وحميم قد قتل حميمه ومودّة قد صارت عداوة.

3- فانظروا – يا معاشر المسلمين – ماذا تفعل الفتنة والمعصية وكيف يدب الشّيطان لها ويسعى فيها، ويحتال بخديعته ومكره ولطف مسالكه حتى يلهبها ويشعلها، ويرفقها من قلّتها إلى الكثرة، ومن صغرها إلى الكبر[2]، فإنّه إنما يبدو الظّفر على الولاة(؟) ثمّ يترامى إلى الشّكاة والسّخطة والغضب، وزيّن لهم القتال، فبلغ الهلاك الأعظم والشرّ الأكبر، بطرق أمر صغير الخطر في الظّاهر، عظيم البليّة في الباطن، فلا يزال الرّجل منهم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه وحميمه وذوي قرابته وأهل مودّته والنّافع كان (؟)، ثمّ تحمّل العداولة في قلبه: والضّغينة العظيمة عليه، ويستعدّ للنّقمة منه، وطلب الذّحل عنده، فبثّت تلك الضّغائن في الأبناء بعد الآباء[3].

---

[1] الأمراء : "فهم كما فهمه"

[2] الأمراء : "إلى كبرها". وآثرت تعريفها بالألف واللام حفاظا على وزن الجملة.

[3] في هذه الفقرة الثالثة كلام فيه اضطراب وغموض من حيث الرّبط بين المعاني ومن حيث أزمنة الأفعال. ورأيت أن أثبتها كما هي في الأمراء حتى لا أفرض تأويلا شخصيّا يمكن أن يكون خاطئا.

4- فانظروا – يا أهل الإسلام ... من أين دبّ الشّيطان بلطيف مسالكه، وعلى أيّ شيء ورد، وإلى أيّ أمر تسامى، حتّى عمّ بالمعصية أهل الإسلام عامّة".

التّعليق :

(أ) – القنية: من قنى يقني المال أي اكتسبه. والقنية: ما اكتسب منه

9- رسالة إلى بعض الخوارج

النص (أ) :

".."

الرواية الأولى (ب) :

1- "أما بعد، فإنك كتبت إلي كتاب آمرئ جائر عن الحق، متورّط العقل، متعرض للحين والردى، متسكّع[1] في الجهالة، متكمه في الضلالة، ما رق من الدين، مفارق جماعة المسلمين، قد بطر العافية والإحسان، واستحكمت عليه ربق الشيطان، تمنّى ما تمنّى أشياعه من الطغيان، تقبل من الشّيطان أمنيته، وأمكنه من رمته، وأسلم إليه مقاليده، فحطه على مركب صعب، فركب عليه الرّبان، وشدّ منه الخناق، فهو يسوقه أشدّ السّياق، وعلاه ظهرا، وملأه غدرا، وأسلمه (إلى الخوف من بعد)[2] أمنه، وكذلك يفعل الله بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون(ج).

2- فآنظر لا نظر الله لك[3] – إلى موقع تلك الضّفة منك، فإنّك لا طاقة لك بحدنا حين يحمل عليك الفرسان[4] وتتعاورك القنا والطعان، فتنفذك الأسنة، وتجلب عليك الأعنة، وتحيط بك الكتائب، ويأتيك الموت من كلّ جانب.

3- وأمّا قولك في كتابك: "سيرد عليك الجرد عليها المرد" فسيرد عليك من أولياء الله المقرّبين، وحزبه الغالبين، والكهول على الخيل الفحول(غ) كأنها الوعول، طوال السّبال(هـ)، كأنهم أشربت وجوههم الجربال(د)، رجالهم ثم الرجال، ليس منهم إلا سابق ناشب، وكالب محارب، قد أحكمته التجارب، وقائم على سان، وشارب كل مرّة المنان، لا يولّون الأدبار، ولا يكرّون على الفرار، قد فرّوا بضرب الهام، وغادوا(ذ) الكسر والأقدام، ليسوا بذوي فر ولا إحجام، ينفذون في الزّحوف، ويجترون على الحتوف، ويباشرون السّيوف، ويضربون ضرب الأسود، ويثبون وثب الفهود، وليس منهم إلا بازل(ق) يتخطّل، قد برك على كلكله، كأنّما أشربت وجوههم تقيس الحنظل، قد راموا الحروب وعاودوها، ومضغتهم ومضغوها، فليس منهم إلا إليها طرب، وعلى لقائها حرب، ولا يروعهم ما يروع الفتيان، ولا يصدهم الموت عن لقاء الأقران، ولا يروعهم ما يروع الغمر الجبان، حتّى يكشف(ف) الكماة(ص)، ويكره النّزال، فعند ذلك يسلمك الجرد، ويتكشف عنك المرد، فإن شئت فسر، وإن شئت فقرّ، ولا أرى الإقامة لك إلا ريث أن

---

[1] أمراء البيان: "متسع"

[2] "إلى الخوف من بعد:"ساقاني أمراء البيان، والزّيادة عن الجمهرة.

[3] أمراء البيان:"ولا نظر بك". والإصلاح عن الجمهرة.

[4] أمراء البيان: "إنك لا طاقة لك بأحد أن من يحتمل عليك الفرسان" والإصلاح عن الجمهرة.

يأتيك ما أوعدك، (فإني وإيّاك كالزّجاجة والحجر. إن وقع عليها رضها، وإن وقعت عليه فضّها) (ض) فائتمر أمرك، فإنك غير مكذّب ولا ناكص، والسّلام.

<u>رواية الصبح</u> (ك) :

"أمّا بعد، بلغني كتابك تذكر أنك تحمل المرد على الجرد، فسترد عليك جنود الله المقربون وأولياؤه الغالبون، ويرد عليك مع ذلك حزبه المنصور من الكهول على الفحول، كأنها الوعول، تخوص الوحول، طوال السّبال، تختضب بالجريال، رجال هم الرّجال، بين رامح وناشب، ليس لهم إلا كلب محارب، ولا ينكلون عن الأصحاب قد ضروا بضرب الهام، واعتادوا الكرّ والإقدام، ليسوا بذوي هيبة ولا إحجام، يقضون بالسّيوف، ويخالطون الزّحوف، في أعنتهم الحتوف، يزأرون زئير الأسود، ويثبون وثب الفهود، ليس فيهم إلا شاك، محتبك في الحرب مجرّب، قد شرب على ناجذ الحرب وأكل. ذو شقشقة وكلكل كأنما أشرب وجهه نقيع الحناء قد رئم الحرب ووضعها، وغذته وألفها، فهي أمه وهو ابنها يسكن إليها ويأنس بقربها، فهو بطلبها أرب، وعلى أهلها حرب لا يروعه ما يروع، ولا يزيغه ما يزيغ الغمر الجبان، حين يشتد الوعى، وتخطر القنا، وتقلّص الشّفاه، وتسفر الكماة فعند ذلك تسلمك المرد، وتكشف عنك الجرد، فتأهّب لذلك أهبتك واخطب له طبتك، من المساكين والحوكة، ثّم كيدوني جميعا فلا تنظرون(م). فما أسرّني إكثارك الجموع، وحشدك الخيول فإنك لا تكثّف جمعا، ولا تسرب خيلا إلا وثقنا بأن سيمدّنا الله من ملائكته ويزيدنا من نصره، بما قد جرت به سنته، وسلفت به عادته، ونحن نجري من ذلك على نقمات الله، ولكال وسطوات سهلة، فأيتم ذلك في المنازل، وعرفتموه في المواطن، الّتي يجمعها الحقّ والباطل، وفآبشر منّا بما ساءك خجلا، ومشّاك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش"

<u>التعليق</u> :

(أ) وردت هذه الرّسالة في المصادر القديمة على روايتين تختلف الواحدة عن الأخرى من حيث بعض الجمل ومن حيث النسبة. فهي في الاختيار لمروان بن محمد كتبها إلى بعض الخوارج متهددا متوعدا وهي في الصبح لعبد الحميد الكاتب.

ووصل محمّد كرد علي بين هذه الرّسالة وبين رسالة ثانية منسوبة في صبح الأعشى لعبد الحميد (جـ.8: 350) واعتبرهما رسالة واحدة معتمدا في ذلك –على ما يبدو– على وحدة موضوعهما. (انظر هذه الرّسالة الثانية والمشاكل الّتي تثيرها نسبتها في الملحق بالآثار صص.380 – 388)

أمّا الرّسالة الأولى التي نسبها صاحب الاختيار لمروان بن محمد وصاحب الصبح لعبد الحّميد فنثبتها هنا ضمن الآثار – رغم الاختلاف في نسبتها – وذلك للأسباب التّالية:

1– يتصل السبب الأول بمهمة الكاتب عامة. فالخلفاء الأمويون المتأخرون كانوا يكلّفون كتّابهم بتحرير الرّسائل باسمهم.

2- السبب الثاني يتصل بعبد الحميد نفسه الّذي تبيّنا مدى ثقة مروان بن محمد فيه وفي مقدرته على التحكم في المواضيع السّياسية (آنظر الدراسة صص 29 - 33)

3- ثالث الأسباب يرتبط بروايتي الرّسالة. أولاهما (رواية الاختيار) تختلف عن الثانية (رواية الصبح) اختلافا كبيرا مما جلعني أرجع أن القلقشندي لم يأخذ نسخته عن آبن طيغور بل عن مؤلّف آخر ضاع كتابه أو لم نهتد إليه. ولعلّ نسبة الرّسالة في هذا الكتاب صريحة لعبد الحميد.

4- والسبب الأخير يرجع إلى لغة الرّسلة التي تشبه إلى حد بعيد تعابير عبد الحميد في بعض كتبه الأخرى. (لاحظ مثلا الشبه بين الفقرة الثالثة لهذه الرّسالة، صص 323 - 324 والفقرة الواحدة والخمسين لرسالة إلى ولي العهد، ص 281)

(ب) - قال ابن طيفور: "وكتب مروان بن محمد إلى بعض الخوارج يتهدّد يتوعّد فيها: (النّص)

وكثرت فتن الخوارج في أواخر العهد الأمويّ ولم أتوصّل إلى تعيين المقصود بهذه الرّسالة تعيينا دقيقا، ولعلّه الضحاك بن قيس الشيباني. فثورة الضحاك تعدّ من أكبر الفتن الخارجية التي هددت العرش الأمويّ تهديدا فعليّا في عهد مروان بن محمّـــــــــد (744/127 - 746/129). وتمكّن الضحّاك من الاستيلاء على الكوفة والحيرة وقسم كبير من فارس وناقره أهلها. فشكّل بذلك خطرا على الأمويين (وتجد تفاصيل هذه الحركة في تاريخ الطبري ج5 صص 64 وما بعدها

(ج) عن سورة الأعراف (7)، الآية 182. وسورة القلم (68)، الآية 44.

(خ) يلاحظ في هذا الاستعمال اقتباس من رسالة - على ما يبدو جاهلية - ففي إحدى روايات العرب: "لما تولّى المنذر بن المنذر بن ماء السّماء ملك الحيرة واستقر في ملكه سار إلى الحارث الغسّاني طالبا بثأر أبيه عنده وبعث اليه: "إني قد أعددت لك المرد على الجرد". فأرسل الحارث :"إني قد أعددت لك الكهول على الفحول". عن أيام العرب في الجاهلية لجاد المولى، يوم حليمة : ص 54.

(آنـــظر الدراسة ص 187)

(هـــ) السّبال : ما على الشّارب من الشعر وأيضا مقدّم اللّحية.

(د) الجريال : الخمر أو لونه

(ذ) غادى : باكر

(ق) البازل : الجمل في سمنته التّاسعة. والرّجل الكامل في تجربته.

(ف) كشف القوس : انهزم - والفرس الأكشف: المنهزم

(ص) الكماة : ج. كمّيّ : وهو لابس السّلاح.

(ض) ما بين قوسين أتى في مخطوط اعتمده أحمد زكي صفوت في جمهرة رسائل العرب. وهذا المخطوط هو نشر الدّرر في المحاضرات، ج. 3: 256 للوزير زين الكفاة أبي سعد منصور بن الحسين الآبي(تـــ 1030/422) وفي هذا الكتاب رسائل أمويّة وعبّاسيّة. (دار الكتب المصريّة رقم 4428 أدب = تصوير شمسي رديء)، آنظر جمهرة رسائل العرب، ج2 صردوه. وآنظر أيضا فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة، ج. 3: 403. طبعة القاهرة 1927.

(ك) قال القلقشندي في الصّبح : "من الكتب السلطانية الكتب إلى من خلع الطاعة. وهذه نسخة ما كتب به عبد الحميد إلى بعض من خرج من الطاعة وهو (النّصّ)"

(م) سورة الأعراف (7) الآية 195

10- رسالة إلى فرق العرب

النصّ (أ) :

"…. فلا تمكّنوا ناصية الدولة العربيّة من يد الفئة العجمية، وآثبتوا ريثما تتجلى هذه الغمرة(ب)، وتصحو من هذه السّكرة. فسينضب السيّل، وتمحى آية اللّيل، والله مع الصّابرين، والعاقبة للمتّقين[1].

التعليق :

(أ) – قال محمد كرد علي – عن عنوان المرقصات والمطربات: "وله من رسالة كتب بها عن آخر خلفاء بني أميّة وهو مروان الجعدي لفرق العرب حين فاض العجم من خرسان بشعار السّواد قائمين بالدولة العبّاسيّة: (النّص). (ا هـ) والصّرخة الّتي تنبئ عنه هذه الرّسالة تفيد مدى انزعاج العرب الّذين استوطنوا خراسان عند قيام أبي مسلم الخراساني ثائرا بمعونة الفرس.

(ب) – الغمرة : الشدة والمزدحم

(1) [1]لم يأت في الشرح من هذه القطعة إلا قوله : "فرويدا حتّى ينضب السّيل وتمحى آية الليل".

11- من رسالة إلى أبي مسلم الخراساني

النصّ (أ) :

....

"... لو أراد الله بالنّملة صلاحا لما أنبت لها جناحا[1]".

التّعليق:

(أ) – كتب عبد الحميد هذه الرّسالة يهدّد أبا مسلم الخراسانيّ عاقبة ثورته وورد في المصادر المذكورة أعلاه أن عبد الحميد كتب عن مروان ابن محمّد "كتابا إلى أبي مسلم صاحب الدّعوة، وقال لمروان: "إنّي قد كتبت كتابا إن أنجع فذاك، وإلاّ فالهلاك"، وكان من كبر جسمه يحمل على جمل، وكان نفث فيه حواشي صدره وضمّنه غرائب عجره وبجره (أي أطلعه على أموره كلّها ولعلّه يقصد أنّه أطلعه على ما يكنّ نحوه من دفين الحقد). وقال التّوحيدي في البصائر: "وقال عبد الحمدي لمروان: "أنا ضامن أنّه متى قرأ الرّسول على المستنفين حول أبي مسلم يشهد منهم أنّهم يختلفون، فإذا اختلفوا كلّ حدهم وذلّ جدّهم. وفي شرح النهى قال عبد الحميد لمروان بعد تحرير الكتاب: "إن قرأه خاليا نحب قلبه وأن قرأه في ملإ من أصحابه ثبّطهم وخذلهم".

وهذه الأقوال تبيّن مدى ثقة عبد الحميد في مفعول الكتابة السّياسيّة. كما تبيّن فهمه الدّقيق لنفسيّات مستمعيه وقرّائه.

وجاء في هذه المصادر أيضا أن أبا مسلم أحرق الكتاب وكتب على رقة بيضاء منه ذهبن البيتين جوابا لمروان : طويل.

*1- محا السّيف أسطار البلاغة وانتحى * عليك ليوث الغاب من كل جانب*

2- فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة – يهون عليها العتب من كل عاتب

وروي عجز البيت (1) في نهاية الأرب: "ليوث الوغى يقدمن كلّ جانب".

واستشهد صاحب سن السيوف بهذا الكتاب الّذي كان من كبر حجمه يحمل على جمل على إسهاب عبد لحميد. وعلّق محمد كرد علي في أمراء البيان على هذا الخبر قائلا: "ومعنى قول الرّاوين أنّ كتابه من كبر حجمه حمل على جمل أنّه كان مكتوبا على رقّ وفي الرّقوق تكتب الأسطر القليلة على الأغلب، وربّما دعت كثرة الرقوق التي تضمّنت هذا الكتاب ألا يقدر رجل بحملها بل حطت لثقلها على جمل".

ويمكن أن يكون هذا التعبير مجرد مبالغة أريد بها الإلحاح على طول الرّسالة

---

[1] في الأمراء (من مصدر لم يعيّنه) أنّ من جملة فقرات شذا الكتاب: "إن أراد الله إهلاك نملة أبت لها جناحين". والنصّ أعلاه لم يأت إلا في شرح النّهج.

12- رسالة في ذمّ عامل

النصّ (أ) :

"..."

"لو وجدت لونا[1] شرّا من السواد[2]، وعددا أقل من الواحد[3] لأهديته، والســـــلام[4]".

التّعليق :

(أ) اختلفت المصادر في صاحب هذه الرّسالة:

ينسبها ابن عبد ربّه إلى مروان بن محمد، يقول:"وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بغلام أسود فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه يلحاه ويعنّفه فكتب وأكثر فاستكثر ذلك مروان وأخذ الكتاب ووقّع في أسفله: (النص).

وهي نسبة ممكنة فهذه الرّسالة تشبه صور التّوقيع في إيجازها ووضوحها.

أمّا بقية المصادر الّتي أوردت الرّسالة – باستثناء الأغاني ومجمع الأمثال، فتنسبها إلى عبد الحميد نفسه متّفقة على أنّه كتبها استجابة لأمر من مروان.

وألاحظ عرضا – أنّا إذا سلّمنا بصحّة ما أتى في العقد – باعتباره المصدر الأقدم – يمكن أن نستجلي من موقف مروان (الاستكثار) التّغيير الّذي أحدثه عبد الحميد في النّثر بإطالة الرّسالة. ولنا في الأغاني رواية أخرى تنسب فيها هذه الرّسالة إلى حمّاد الرّاوية (ولد حوالي سنة 694/75)

يقول الأصبهاني : "واستهدف حمّاد الرّاوية من صديق له نبيذا فأهدى إليه دستيجة (آنية صغيرة) لنبيذ فكتب إليه: لو عرفت في العدد أقلّ من واحد، وفي الألوان شرّا من السّواد، لأهديته إليّ" ولعلّ نصّ حمّاد الرّاوية كان أساسا للرّسالة أعلاه كما يمكن العكس إذ عاشا في فترة واحدة.

وقال الجهشياري في الوزراء إثر إيراد الرسالة: "وهذا مأخوذ من قول أعرابيّ قيل له: مالك من الولد؟ فقال: قليل خبيث، فقيل (له) : ما معناك في هذا؟ فقال: (لا أقلّ من واحد ولا أخبث من بنت". وليس من المستبعد أيضا أن يكون عبد الحميد اقتبس نصّه من هذا الجواب الّذي جرى مثلا ففي مجمع الأمثال للميداني تحت رقم 2969 (ج.2: 128) : أقلّ من واحد ومن أوحد ومن تبنة في لبنة ومن لا شيء في العدد وفي اللفظ من لا"

---

[1]"لونا" : ساقط من الوفيات.
[2]الوزراء : "أسود".
[3]الوزراء : "واحد".
[4]"والسّلام" : ساقط في الوزراء والثمار والشرح.
وتختلف رواية العقد من هذا النصّ اختلافا يكاد يكون كليّا ولذلك آثرت أن أثبتها مستقلة تجنّبا لإرهاق القارئ بالاختلافات وهي "أما إنك لو علمت عددا أقلّ من واحد ولونا شرّا من أسود لبعثت به"

13- رسالة في التعزية

النصّ (أ) :

"إنّ الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من أنيسته وقرينته متاعا مدّه إلى أجل مسمّى. فلمّا تمّت له مواهب الله وعاريّته(ب)، قبص إليه العاريّة ثمّ أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصّبر عند ذهابها، أنفس منها في المنقلب، وأرجح في الميزان، وأسنى في العوض.

فالحمد لله ربّ العالمين وإنّا لله وإنّا إليه راجعون".

التعليق:

(أ) في سرح العيون: "ومن رسائله (عبد الحميد) ما كتب عن مروان (ابن محمد) إلى هشام (بن عبد الملك) يعزّيه بأمرأة من حظاياه: (النّص).

(ب) العارية والعاريّة: من أعرى إعراء فلانا النخلة : وهبه ثمرة عامها. والعاريّة: ج عرايا: النّخلة تهب للغير ليأكل ثمرها. وتعميما العارية هي العطيّة. ويقال : "نخلهم عرايا".

14- من رسالة في التعزية

النصّ [أ] :

"الشّكر على النّعمة، والصّبر على النكبة، وتأدية الحقّ في ميسور الأمور ومعسورها ومحبوبها ومكروهها من استعمله كان شكر الله أولى به من صبره، فيوجب له بالشّكر على النّعمة المزيد[ب]، وبالصّبر على المصيبة الأجر، بما أدى من الحقّ في نفسه واقتدى به أهل دهره."

التعليق :

(أ) في الجمهرة : أنّ عبد الحميد كتب هذه الرّسالة عن مروان بن محمد إلى هشام بن عبد الملك تعزية عن مولودين هلك أحدهما وبقي الآخر.

(ب) في هذا القول اقتباس من قوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم". سورة إبراهيم: الآية 7.

15- من رسالة في وصف الإخاء

النصّ (أ) :

1- "... فإنّ أولى ما اعتزم عليه ذوو الإخاء، وتواصل عليه أهل المودّات، وما دعا أسبابه صدق التّقوى، ودعمت دعائمه على أساس البرّ، ثمّ أنهد(ب) البناء حزيز(ج) التّواصل[1]، وشيّده مستعذب العشرة، فادعم قويّا، وصفا مونقا، وأخلصته المقّة متعطفة، وسكنت به القلوب أنيسة، وسمت من مواصلته الهمم مستعلية عن كلّ زائغ معتاق، ومخوف عارض يخترم[2] مسكة الإخاء، ويحتز مروب المقة، ضنّا بما استعذبوا من محمود وثائقة، وازديادا فيما تمطقوا به من حلاوة جناه.

فإذا استحكم لهم منخور الصّفاء بثبات أواخيه (ح) : وظهور أعلامه، ومحصول مختبره، وثقة موادّه، كان سرورهم باعتلاقه، وآبتهاجهم بوجدانه، وإنماؤهم[3] صلته، وبذلهم رعايته، وحياطتهم محموده، بحيث نالوا من معرفته حظوته، واستولوا عليه من مزيّة كرمه، وتعرفوا من ذخيرة عائدته ومأمون حفاظه، وكشف لهم عن نسفه، مظهرا أعلامه، مبديا دفينته، طارحا قناع سرّه، معلنا مكنون ضميره، في نأي الدار، وجدان المجتمع، بإظهار ما استتر من المحاسن وبثّ في الحق من المكارم، قياما لمهب النّصرة، وحياطة للمودّة، وترغيبا في العشرة، فكان أكهف لجإ(هـ)، وأحرز حصن، وأحسن جنة(د)، وأعون ظهير، وابقى ذخيرة، وأعظم فائدة، وأشرف كنز، وأفخر صنيعة وآنق منظر، وأينع زهرة، أكثر الأشياء ريعا، وأنماها وصلا، وأمدّها سببا، وأقواها أيدا (ذ)، وأحلاها ذوقا، وأدعمها ثباتا، وأرساها ركنا، لا يدخل مستحقا سآمة ملال ولا كلال مهنة(ق)، ولا تثبيط ونية(ف)، ولا شعف خور لنزول بائقة أو طروق طارقة، من عوارض الأقدار وحوادث الزّمان، بل مواسيا في أزمها، متورطا غمرات قحمها، متدرعا هائل بوائقها(ص)، مستلحما نواظر مقاطعها، حتى تصير به الأقــدار إلى تناهيها، ويبلــغ القضاء مقداره، خير منة النصرة، ولا بالنسب، يرد نسبه غنما، ونصبه دعة، وفائدة، وعمله مقصّرا، وسعيه مفرطا، واجتهاده مضيّعا معدن برّه، والوالد في شفقته، والأخ في نصرته، والجار في حفظه وآخر في ملكه فأين المعدن من ملكه؟ أو كيف الإصابة لشبهه أو أنّي عوض من فقده؟ - جمعنا الله وإيّاك على طاعته وألف بطلبه وجعل أخوتنا في ذاته.

2- قد حدّدت لك أي أخي[4] الإخاء متشعبا ووصفته لك مخلصا وانتهيت لك إلى غاية أهل العقل ومنّه، وما تواصل أهل عليه، ودعا إليه الإخاء من نفسه، منتطقا به، ضامنا له ما فرط فيه من أهله، وذا تضييع من حملته، أو حاطه أحكام، وكنفه حفاظ

---

[1] البلغاء : "مرين". والبلغاء : "حزين"
[2] البلغاء : "يختار"
[3] البلغاء : إنما هم
[4] البلغاء : "أواخس"

3- وافاني كتابك بما سألت من ذلك، وعقلي محصور، ورأي منقسم وذهني فيما يتأهّب به الأمير لقتال عدو الله من خزر التّرك[1] واختلاف رسله إلى جبال اللان والطبران ومن والاهما (ض)، بنوافذ أمره ومخارج رأيه، فأنا مصيخ السّمع للفظه، عاقل العقل عن سوى أمره محتضر الذهن في تدبيره، ذهل القلب عن تفنين القول، وتشعيـل الكلام في تصنيف طبقات الرّجال من أيـن دخـل عليها نقص الإخاء، وكيف فاتهم مونق الصّفاء وقد صرّحت لك عن رأي ذوي الصّفاء، وكشفت لك خباء الإخاءن وجمعت لك إلف مودة أهل الحجا، فتلقّ ما وصفت لك بقلب فهم، عقود، ذي ميزة يقظان وذهن جامع، حافظ، ذي ثقافة، راع، أحضرك الله عصمة التّوفيق، وسددك الله لإصابة الرّشد، ومكّن لك صدق العزيمة، والسّلام.

<u>التعليق :</u>

(أ) يبدو أنّ سبب كتابة هذه الرّسالة هو سؤال وجّهه إلى عبد الحميد أحد أصدقائه مستفسرا عن معنى الإخاء (انظر أوّل الفقرة 3 من هذه الرّسالة. ص337)

(ب) أنهد العطيّة : عظّمها. وأنهد البناء: رفعه

(ج) الحزيز : الرجل ذو البنية القوية.

(ح) الأواخي : ج. آخية: وهي العروة تربط إلى الوتد وتشد الدابة.

(هـ) أكهف لجإ : الأحصن والأمنع عند الملاذ

(د) الجنّة : كل ما وقى.

(ذ) الأيد : الشدة والنصرة

(ق) المهنة : الحذق في العمل

(ف) الونية : الكلال

(ص) البوائق : ج. بائقة الغائلة والشرّ.

(ض) اللاّن : بلاد في طرف أرمينية تجاور بحر المغزر من الجهة الغربية والطّبران / الطابران هي إحدى بلاد أرمينية "وهي من أجل مدن خراسان" . وتوجد جنوب بحر الخزر. (عن وفيات الأعيان، ج. 4 : 219، والصبح، ج. 4 : 390 - 391، الجمهرة، ج. 2: 437، التعليق (3)). وقد كانت أرمينية وأذربيجان ولاية أموية تحت يد الجراح ابن عبد الله الحميّ قبل أن يتولاّها مروان بن محمد في عهد هشام بن عبد الملك.

وحاول الجراح سنة 730/112 أن يغزو التّرك القاطنين حول بحر الخزر (قزين) ولكنّه فشل. وتواصلت محاولات غزو التّرك مع ولاية مروان (بعد 732/114)، وهذا ما يقصده عبد الحميد.

(عن تاريخ الطّبري، ج. 8 : 205، 217 وعصر الأتساق لأسعد طلس: 138، الجمهرة. ج.2 : 437 التّعليق عدد 3.)

---

[1] البلغاء : "يتأهب به الأمير (...) والله من خزر التّرك. وإتمام النّقص عن الجمهرة.

16- رسالة في وصف الصّيد

النصّ:

1- "أطال الله بقاء أمير المؤمنين(أ) مؤيدا بالعزّ، مخصوصا بالكرامة ممتعا بالنعمة، أنّه لم يعلن أحد من المقتنصين، ولا متطرّف من المتصيّدين إلا دون ما لقانا الله به من اليمن والبركة، ومنحنا من الظذفر والسّعادة في مسيرتنا، من كثرة الصّيد، وحسن المقنص، وتمكين الجاسة[1] (ب)، وقرب الغاية، وسهولة المورد، وعموم القدورة[2] (ج)، إلا ما كان من محاولة الطّلب، وشدّة النّصب لنافر الصّيد، وفائتة[3] الطريدة، التي أمعنّا في الطّلب لها، وأعجزنا البهر عن اللّحاق بها، لتفاوت سبقها، ومنقطع هربها، ومتفرق سبلها، ثمّ آل بنا ذلك إلى حسن الظّفر، وتناول الأرب، ونهاية الطّرب.

2- وأني أخبر أمير المؤمنين أنّا خرجنا إلى الصّيد[4] بأعدى الجوارح وأثقف الضّواري، أكرمها أجناسا، وأعظمها أجساما، وأحسنها ألوانا، وأحدّها أطرافا، وأطولها أعضاء، قد ثقّفت[5] بحسن الأدب، وعودت شدّة الطّلب، وسبرت أعلام المواقف، وخبرت المجاثم(خ)، مجبولة على ما عوّدت، ومقصورة على ما أدّبت، ومعنا من نفائر الخيل المخبورة الفرهة، من الشّهريّة(هـ) الموصوفة بالنجابة والجري والصلابة، فلم نزل بأخفض سير، وأثقف طلب، وقد أمطرتنا السّماء مطرا متداركا قربت منه الأرض[6]، وزهر البقل، وسكن القتام من مثار السنابك، ومتشعّبات الأعاصير مهلة أن سرنا غلوات(د)، ثم برزت الشمس طالعة، وآنكشفت عن[7] السّحاب سفرة، فتلألأت الأشجار، وضحك النّوار، وانبلت الأبصار فلم نر منظرا أحسن حسنا، ولا مرموقا أشبه شكلا من ابتسام نور الشّمس عن اخضرار زهرة الرّياض، والخيل تمرح بنا نشاطا وتجتنبنا أعنّتها انبساطا، ثم لم تلبث أن علتنا ضبابة تقصر[8] طرف النّاظر، وتخفي[9] سبل السّلام، وتغشانا تارة وتنكشف أخرى، ونحن بأرض دمثة التّراب. أشبة[10] الأطراف، مغدقة الفجاج، مملوءة صيدا من الضّباء، فأدانا المسير إلى غاية دونها مأله الصيد، ومجتمع الوحش، ونهاية الطّلب، قد جاوزناها ونحن على سبيل الطّلب ممعنون، وبكلّ حرّة جونة (ذ) متفرّقون، فرجع بنا العود على البدء، وقد آنجلت الضبابة وامتدّ البصر[11]، وامكن النّظر، فإذا نحن برعلة(ق) من

---

[1]الأمراء : "الجساسة"
[2]الأمراء : "المقدورة"
[3]الأمراء : "قائدة"
[4]يبتدئ نصّ الأمراء بقوله: "خرجنا إلى الصّيد (..)."
[5]الأمراء : "تثقفت".
[6]الأمراء : "قربت الأرض منه"
[7]"عن" : ساقط في الأمراء – وهي في الجمهرة : "من"
[8]الأمراء : "علقتنا ضبابة تقتصر"
[9]الأمراء : "يحي"
[10]الأمراء : "أسنة".
[11]الأمراء : "قد انجلت الضّبابة وامتد النّظر".

ضباء وخلفة آرام(ف)، يرتعن آنسات، قد أحالتهن الضّبابة عن شخصنا، وأذهلهن أنين الرّياض عن استماع حسّنا، فلم نعج إلاّ والضّواري لائحة لهنّ من بعد الغابة، ومنتهى نظر الشّاخص. ثم مدّت الجوان أجنحتنا، وانتبذتنا لضّواري مقاودها، فأمرت(ص) بإرسالها على الثّقة بمحضرها(ض)، وسرعة الجوارح في طلبها فمرّت تحفّ حفيف الرّيح عند هبوبها، تسفّ الأرض سفّا، كشافة عن آثارها، طالبة لخيارها، حارضة بّأظفارها، قد مزّقتها تمزيق الرذيح الجراد، فمن صائح بها وناعر، وهاتف بها وناعق، يدعو القلب بأسمه، ويفديه بأبيه وأمّه، وراكض تحت مفرّه، وخاف يطلبه الرّمح، وطامع يمنعه، وسانح قد عارضه بارح(ك)، قد حيّرتنا الكثرة، وألهجتنا القدرة، حتّى امتلأت أيدينا من صنوف الصّيد، واللّه المنعم الوهّاب.

3- ثم ملنا، يا أمير المؤمنين، بهداية دليل قد أحكمته التّجارب، وخبر أعلام المذانب(م) إلى غدير أفيح، وروضة خضرة، مستأجمة بتلاوين الشجر، ملتفّة بصنوف الخمر(ن)، مملوءة من أنواع الطيّر لم يذعرهن صائد، ولا اقتنصهن قانص، فخفق لها بالطّبل، وصفّر بنفير الحتف، فثار منها ما انبرت البزاة لها صائدة، والصّقور كاسرة، والشواهين(ت) ضارية، يرفعهن الطّلب لها، ويخفضهن الظّفر بها، حتّى سئمنا من الذبح، وامتلأنا من النّضيج[1](ل) كأنا كتيبة ظفرت ببغيتها، وسريّة نصرت على عدوّها وألحقت ضعيفها بقويّها وغلبت محسنها بمسيئها، لا نملك أنفسنا مرحا، ولا نستفيق من الجذل بها فرحا، بقيّة يومنا، والله المنعم الوهاب.

4- ثم غدونان يا أمير المؤنين، إلى أرض وصف لنا صيدها بالكثرة، ورياضها بالنّزهة، فزلّ واصفها عن الطّريقة، واعتمد على غير الحقيقة، فأتيناها، فلم نر صيدا ولا عشبا، ولا نزهة ولا حسنا، فجعلنا نسلك منها حزونا(ى) ووعورا، وجدوبا وقفرا، حتّى قصّر بنا اليأس عن الطّلب، وقطع بنا عن الطّمع النّصب، فبينما نحن كذلك، إذ بدا لنا جأب (س) قد أوفى بنا على حائل بها دل غابة[2]، من ورائها حصير وحش كثيرة، فأممناها، فلما تطرّقنا مشيا[3] وتقريبا إلى عاناته(ش)، توالى نهيقه، وكثر شهيقه، فألتفتن إليه، فرمقن بأعينهن منّا ما استكثرن شخصه، واستهولن أمره، حتّى إذا كنّا بمرأى ومسمع آنجذبن مولّيات، وهربن مسيّبات[4]، فأجهدنا الركض في طلبهن، وتّبع آثارهن، ونستشفّ بلاء بين أحفار ودكادك(و) وخناذيذ[5] (ث) حتّى أشفى بنا الطّلب لها على واد هائل سائل بجنبتيه غابة أشبة قد سبقن إليها، واستخفين فيها، فنظمناها بالخيل نظم الخزر، ثمّ أوغلت عدّة فرسان في نفضها

---

[1] الأمراء : "النضج".
[2] الأمراء : "دل على غابة". وهادل غابة: غابة تهدّلت أغصانها
[3] الأمراء : "مسيسا"
[4] الأمراء : "مسيئات"
[5] الأمراء : "أخاديد"

ومعرفة أحوالها، والطّبول خافقة، والأصوات شاهقة فكان وكان، والحمد لله على كلّ حال.

__التعليق__ :

(أ) رجّح صاحب أمراء البيان أنّه مروان بن محمد. وقد اعتبرت هذه الرّسالة أدبيّة لما فيها من اعتناء مقصود بالعبارة. ولكنّها لا تخلو من صبغة سياسيّة (أنظر في ذلك عن 111).

(ب) الجاسة : من جاس خلال الدّيار أي تردّد بينها للغارة.

(ج) القدورة : مصدر. من قدر يقدر.

(خ) المجاثم: ج. مجثم، اسم للمكان الّذي تتلبّد به الفريسة

(هـ) الشهرية : ضرب من البراذين والبراذين ما كان غير نتاج العرب من الخيل.

(د) غلوات : ج. غلوة : وهي قدر رمية سهم

(ذ) الحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود. والجونة: السّوداء

(ق) الرّعلة : القطيع

(ف) الخلقة : البقيّة من كلّ شيء. الآرام: ج. رئم : وهو الضّبي الأبيض.

(ص) يمدتن أن نفترض أن عبد الحميد يصف حفلة عيد رسميّة كان هو قائدها نيابة عن أمير المؤمنين، وأنّه – بهذه الرّسالة – يطلع سيّده عن أطوار هذه الحفلة.

(ض) المحضر : مصـ، ميمي من أحضر الفرس أي ارتفع في عدوه.

(ك) السّانح من الصّيد : ما مرّ من اليسار إلى اليمين. وعكسه البان.

(م) المذانب : ج. مذنب وهومسيل الماء والجداول إذا لم يكن واسعا.

(ن) الخمر: ما واراك من الشجر والجبال، يقال تواري الصيد في خمر الوادي.

(ت) الشواهين: ج. شاهين: من سباع الطير. قال في اللّسان : "ليس بعربي محض"

(ل) النضيح : من نضح البيت بالماء أي رشه. والنّضيع : العرق. ولعلّها النّضيج: أي اللحم بعد شيّه.

(ي) الحزون: ج. حزن : وهو ما غلظ من الأرض

(س) الجأب، والجمع الجؤوب وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش

(ش) العانات: ج. عانة: القطيع من حمر الوحش

(و) الدكادك: ج. دكدك: وهو تلبّد من الرّمل فغلظ

(ث) الخناذيذ: ج. خنذيذ: وهو رأس الجبل أو ما أشرف من الأرض فكان حادا.

17- تحميد في تعظيم أمة الإسلام

<u>النصّ</u> [أ] :

1- أمّا بعد فالحمد لله الّذي اصطفى الإسلام دينا رضى شرائعه(؟) وبيّن أحكامه، ونوّر هداه، ثم كنفه بالعزّ المؤيّد، وأيّده بالظّفر القاهر، وآزره بالسّعادة المنتجبة، وجعل من قام به داعيا إليه من جنده الغالبين، وأنصاره المسلّطين، كلّما قهر بهم مناوئا أورثهم رباعهم المأهولة، وأموالهم المثرية، ودارهم الفسيحة، ودولتهم المطولة، أمرا حتمه على نفسه، ثمّ جعل من عاندهم، وابتغى غير سبيلهم، مسلما قد استهوته ذلّة الكفر بظلمها، وحيرة الجهالة بجوارها، وتيه الشّقاء بمغاويه، وكلّما ازدادوا لدعوة الحقّ إباء ازداد الحقّ إليهم ازدلافا، وعليهم عكوفا، وفيهم أقامة، إلى أن يحل بهم عزّ الغلبة، ونجاة المتجاوز داعين فيما شوّقهم إليه، محافظين على ما ندبهم له، قد بذلوا في طاعة الله دمائهم، وقبلوا المعروض عليهم في مبايعة ربّهم لهم بأنفسهم الجنة، محمود صبرهم، مسهّل بهم عزمهم إلى خير الدّنيا والآخرة.

2- والحمد لله، الذي أكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمّته، أن اختار لموارث نبوته ما أصار إلى أمير المؤمنين من تطويقه ما حمل، بحسن نهوض به، وشحّ عليه، ومنافسة غيه، أن فعل وفعل.

3- والحمد لله الّذي تمّم وعده لرسول وخليفته في أمّة نبيّه، مسدّدا له فيما اعتزم عليه، والحمد للّه المعزّ لدينه، المتولى نصر أمّة نبيّه، المتخلّي عمّن عاداهم وناوأهم، وحمدا يزيد به من رضا شكره (ب)، وحمدا يعلو حمد الحامدين من أوليائه الذين تكاملت عليهم نعمة فلا توصف، وجلّت أياديه فلا تحصى، الذي حملنا ما لا قوة بنا على شكره إلا بعونه، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ذلك، وإليه يرغب، أنه على كل شيء قدير.

<u>التعليق</u>:

(أ) قال ابن طيفور في الاختيار : "ولعبد الحميد في فتح يعظم فيه أمّة الإسلام بمحمد صلى الله عليه وسلّم: (النص)".

والتّحميد أو الحمد (والتحميد أبلغ) لغة: الإكثار من قول: "الحمد لله" وإصطلاحا: فنّ من فنون الكتابة تبتدأ به الرّسائل لحصر انتباه القارئ أو لعلّه نوع من المناشير السّياسيّة الدّينيّة التي كانت – في العد الأموي – توزّع بين العامّة للحصول على رضاهم. (أنظر الدراسة صص 50-51).

(ب) – قال تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم" سورة إبراهيم (14)، الآية (7).

18- تحميد في تعظيم دين الإسلام

النصّ :

"أما بعد، فالحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وارتضاه دينا لملائكته وأهل طاعته من عباده، وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى من خلقه، وأكرمهم وفضّلهم وجعلهم – بما أنعم عليهم منه – أولياءه المقرّبين، وحزبه الغالبين، وجنده المنصورين، وتوكل لهم بالظهور والفلج، وقضى عليهم بالعلوّ والتّمكين، وجعل من خالفه وعزّب عنه وابتغى سبيل غيره أعداءه الأقلين، وأولياء الشّيطان الأخسرين، وأهل الضّلالة الأسفلين، مع ما عليهم في دنياهم من الذّل والصّغار فاعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام إلى ما أعد لهم في آخرتهم من الخزي والهوان المقيم والعذاب الأليم، إنه عزيز ذو انتقام [أ]".

التّعليق :

(أ) قال تعالى : "إنّ الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد، والله عزيز ذو انتقام".

سورة آل عمران(3) ، الآية الرابعة.

19- تحميد في فتح

النص :

"الحمد لله العليّ مكانه، المنير برهانه، العزيز سلطانه، الثابتة كلماته، النافذ قضاؤه، الصادق وعده، الّذي قدر على خلقه بملكه، وعزّ في سماواته بعظمته، ودبّر مبتدعا لها بإنشائه إيّاها، وقدرته عليها، واستصغاره عظيمها، نافذا إرادته فيها، لا تجري إلا على تقديره، ولا تنتهي إلا إلى تأجيله ولا تقع إلا على سبق من حتمه، كلّ ذلك بلطفه وقدرته، وتصريف وحيه، لا معدل لها عنه، ولا سبيل لها غيره، ولا يعلم أحد بخفاياها ومعادها إلا هو، فإنّه يقول في كتابه الصادق: "وعنده مفاتح الغيب، لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البرّ والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين"[أ]".

التعليق :

(أ) سورة الأنعام (59)، الآية السادسة

20- تحميد في أبي العلاء الحروري

النص [أ] :

1- الحمد لله الناصر لدينه وأوليائه وخلفائه، المظهر الحق لأهله، المذلّ لأعدائه أهل البدعة والضّلالة، الّذي لم يجمع بين حقّ وباطل، وأهل طاعة ومعصية، إلا جعل النّصرة والفلج [ب] والعاقبة لأهل حقّه وطاعته، وجعل الخزي والذّلّة والصّغار على أهل الباطل والخلاف والمعصية، حمدا يتقبّله ويرضاه، ويوجب به لأمير المؤمنين، وأهل طاعته الزّيادة التي وعد من شكره [ج].

الشرح والتعليق:

(أ) لم تعرّف المصادر الّتي روت هذا التّحميد بشخصية أبي العلاء الحروري ويبدو أنه أحد أعداء الدولة فالتحميد منشور سياسيّ إلى العامّة يشيد بانتصار أمير المؤمنين على بعض أعدائها ونبّه ماريو قرينياشي إلى العلاقة الاسمية بين أبي العلاء الحروري المقصود بهذا التحميد وبين أبي العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك. ولم يستبعد ماريو قرينياشي أن يكون سالم هذا ذا ميول خارجيّة جعلته موضوع هذا التحميد فقد انتمى بالولاء – بعد وفاة هشام – إلى سليمان بن هشام المعروف بوقوفه إلى جنب ثورة الضحاك بن قيس الشّيباني فلعلّ سالما ساند سيده في الوقوف إلى جنب الضحّاك فجلب بذلك سخط صهره عبد الحميد عليه وكان بذلك هذا التحميد. انظر في هذا: *Grignachi, « Les Rasa'il Aristatalisa ila – l- 'Iskandar. in B.E.O. T. XIX pp. 12-13*

(ب) الفلج : الظّفر والفوز

(ج) في آخر هذه الفقرة إشارة عبدة الحميد المفضّلة إلى قوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنّكم" سورة إبراهيم (14)، الآية 7.

والحمد لله على ما يتولى من إعزاز أمير المؤمنين ونصره وإفلاجه، وإظهار حقّه على ما وقع بأعدائه، وأهل معصيته، والخلاف عليه من سطواته ونقماته وبأسه فيما ولّى أمير المؤمنين من موالاة من والاه، عداوة من بغي عليه وعاداه، لا يكله في شيء من الأمور إلى نفسه، ولا إلى حوله وقوّته ومكيدته، فإنه لا حول ولا قوة لأمير المؤمنين إلا به.

21- توقيع

النص (أ) :

"يا هذا لو جعلت ما تحمله القراطيس من الكلام مالا حويّت جمالا وحزت كمالا".

التّعليق :

(أ) - يبدو أن عبد الحميد وقّع هذا النّص أسفل رسالة حرّرها أحد تلامذته الكتبة.

"والتّوقيع في الكتاب إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه" (عن اللّسان = مادّة وقع).

عن اللّسان أيضا: "قال أزهري: توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجعل بين تضاعيف مسطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول".

ولهذا المعنى أصول لغويّة عديدة بيّنتها في محلّتها من توضيح قيمة التّوقيع الإداريّة (أنظر صص 51-52 من هذا البحث، والتعليق عدد 2. ص 51منه)

22- رسالة إلى أخيه

النص [أ] :

1- "أمّا بعد، فإنّي ما أتعرّف[1] من مواهب الله نعمة خصصت بعزيّتها، وأصفيت بخصيصتها [ب]، كانت أسرّ لي من هبة الله لي ولدا سمّيته فلانا [ج]، وأملت ببقائه بعدي حياة ذكرى وحسن خلافة في حرمتي وإشراكه إياي في دعائه شافعا لي إلى ربّه عند خلواته في صلاته وحجّه(ح)، وكلّ موطن من مواطن طاعته، فإذا نظرت إلى شخصه تحرّك به وجدي، وظهر به سروري، وتعطّفت عليه منّي أنسة الولد، وتولّت عنّي به وحشة الوحدة، فأنا به جذل في مغيبي ومشهدي أحاول مسّ جسده بيدي في الظّلم، وتارة أعانقه وأرشفه، ليس يعدله عندي عظيمات الفوائد، ولا منفسات الرّغائب، سرّني به واهبه لي على حين حاجتي فشدّ به أزري وحملني من شكره فيه ما قد آدني بثقل حمل النّعم السّالفة إليّ به، المقرونة سرّاؤها في العجب بتارات ما يدركني به من رقّة الشّفقة عليه، مخافة مجاذبة المنايا إيّاه، ووجلا من عواصف الأيّام عليه.

2- فأسأل الله الّذي آمتنّ علينا بحسن صنعه في الأرحام تأديبه بالزّكاء، وحرسه بالعافية، وأن يرزقنا شكر ما حمّلنا فيه وفي غيره، وأن يجعل ما يهب لنا من سلامته، والمدّة في عمره، موصولات بالزيادة، مقرونا بالعافية، محوطا من المكروه، فإنّه المنّان بالمواهب، والواهب للمنى، لا شريك له، حملني على الكتاب إليك لعلم ما سررت به، علمي بحالك فيه، وشركته إيّاي في كلّ نعمة أسداها إليّ وليّ النّعم، وأهل الشّكر أولى بالمزيد من اللّه جلّ ذكره [خ]، والسلام عليك".

التّعليق :

(أ) قال ابن طيفور في الاختيار: "وكتب عبد الحميد في مولود له وهو أول مولود كان – إلى أخ له : (النص)".

(ب) خصيصتها: لم ترد كلمة خصيصة في اللّسان من جملة مصادر خصّ. وفيه: خصّه بالشيء خصّا وخصوصيّة وخصوصا وخصيص وخصّيصاء. ويمكن أن تكون الكلمة – قياسا – مفرد خصائص.

(ج) لعبد الحميد أبناء عدّة فصّلت عنهم الحديث في موضعه من ترجمة عبد الحميد (ص 15)

(ح) قال تعالى: "ربّي اغفر لي ولوالديّ". سورة إبراهيم (14) الآية 41.

(خ) قال تعالى : "لئن شكرتم لأزيدنكم"
سورة إبراهيم (14). الآية (7).

---

[1] البلغاء : "مما أتعرّف"

23- (من) رسالة إلى أهله

<u>النص</u> [(أ)] :

1- "أما بعد، فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور وجعل فيها أقساما مختلفة بين أهلها، فمن درّت له بحلاوتها، وساعده الحظ فيها[1] سكن إليها، ورضي بها، وأقام عليها، ومن قرصته بأظفارها وعضّته بأنيابها، وتوطأته بثقلها، قلاها[(ب)] نافرا عنها، وذمّها ساخطا عليها[2]، وشكاها مستزيدا[(ج)] منها[3]. وقد كانت الدّنيا أذاقتنا من حلاوتها ، وأرضعتنا ووجدا، فإن تتمّ البليّة إلى أقصى مدّتها يكن آخر العهد بكم وبنا[4]، وإنّ[5] يلحقنا ظفر بان من أظفار من يليكم[(ح)] نرجع إليكم بذلّ الأسار والصّغار[6] والذّل شرّ دار والأحجار[7] يائسين من رى الطمح وفسحة الرجاء[8]، نسأل الله الذي يعز من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة، في دار آمنة، تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنّه ربّ العالمين، وأرحم الراحمين"[(خ)].

<u>التّعليق</u> :

(أ) قال الجهشياري في الوزراء : "وكتب عبد الحميد إلى أهله وأقاربه عند هزيمة مروان من فلسطين، ومرافقته كانت له، وكانوا ينزلون بالقرب من الرّقة بموضع يعرف بالحمراء، يعزّيهم عن نفسه : (النص)

أنظر حول نهاية عبد الحميد صص 39 – 41 من هذه الدراسة.

والنصّ أعلاه للرسالة مبتور من وسطه (أنظر التعليق (ج) من الصفحة الموالية)

(ب) قلاها : طردها وأبغضها

(ج) استزاد فلان فلانا إذا عاب عليه في أمر لم يرضه

(ح) يقصد –على الأرجح– قوّاد أبي مسلم الخراساني الّذين يطاردون بني أميّة. فمن المعلوم أنّ عبد الحميد أرسل هذا الكتاب إلى أهله وهو منهزم مع مروان (انظر التعليق (أ) ص 353)

(خ) تعتبر هذه الرّسالة من أقرب كتابات عبد الحميد إلى حياته الخاصّة. فهي توضّح جوانب عديدة من حياته الخاصّة، من ذلك : صلته العاطفيّة المتينة بأهله ووضعه الاجتماعيّ المرتفع عند مروان قبل ثورة أبي مسلم وأيضا موقفه من العبّاسيين المتميّز بشدّة الحقد.

---

[1] السّرح : "جعل الدّنيا محفوفة بالكره، فمن ساعده الحظ فيها ..."

[2] السّرح : "سكن إليها، ومن عضتّه بنابها ذمّها ساخطا عليها"

[3] السّرح : "لها"

[4] السّرح : "بكم بنا".

[5] السّرح : "وان".

[6] الصّغار : ساقط في السّرح

[7] السّرح : الذّل شرّ جار.

[8] "يائسين من رو الطّعم وفسحة الرّجاء": ساقط في السّرح

24- (من) رسالة إلى صديق

<u>النص</u> (أ) :

"جعلت فداك من السوء كلّه"

<u>التعليق</u> :

(أ) قال الصّولي في فصل موسم بالدعاء في المكاتبة وترتيبه والزّيادة والنقص فيه: "وأوّل من كتب: عافانا الله وإيّاك من السّوء كلّه هو معاوية، وكتب عبد الحميد إلى صديق له: "النصّ".

ولا يستبعد أن يكون هذا الدّعاء محتوى الرسالة كاملا.

25- (من رسالة في العتاب

<u>النصّ</u> :

"نظرت في الأمر الّذي أعاتبك عليه، وألتمسه عندك، فإذا هو خفيف المحمل، يسير المؤونة، سواد أنقاس(أ) في بياض قرطاس، تحيّة تهديها، وسلامة تخبر عنها، فما أولاك بالتمهّد لمؤونة خفيفة تؤدّي بها حقّا، وتصل بها ودّا."

<u>التعليق</u> :

(أ) أنقاس وأنقس: ج. نقس، والنقس هو المداد.

قال المرّار، (شاعر إسلامي عرف بوصف الخيل والنّخيل)

ترجمته في الشّعر والشّعراء : 432. ولعلّه آخر

كامل

عفت المنازل غير مثل الأنقس   بعد الزمان عرفته بالقرطس

(اللسان: مادة نقس)

26- (من) رسالة إلى خالد بن ربيعة الإفريقي[أ]

النص [ب] :

"إنّ الكتّاب قليل، والمتسمّون بالكتّاب كثير، والعلم معين، على نفسه من أخذه، فمن أدخل نفسه في الكتّاب مصطبرا على ما ينوبه فنّه من العفاف من المطامع والتتبّع للمعروف، وترك [ج] التضجّر بأهل الانقطاع، وصبر على النّوائب، وحاول جرّ المنافع إلى الصديق، وأظهر كشره [د] وحسن قبوله ومعاملته من لا يعرف، فهو الذي احتوى على الكتّاب واحتوى الكتّاب عليه.

التعليق :

(أ) خالد بن ربيعة الإفريقي: سبق تبيين علاقته بعبد الحميد الكاتب (ص 36).

(ب) نقل البغدادي في كتاب الكتاب إثر هذه الرسالة نصيحة أخرى إلى الكتاب وفصل بينهما بـ "وقال أيضا". ولعلّ النصّين متواليان ولعلّهما أيضا مجرّد اختيارين منفصلين من رسالة واحدة طويلة. وبذلك تكون الرّسالة أعلاه مبتورة (أنظر نص هذه النّصيحة والتّعليق عليها صص 235 - 236).

(ج) أي : ومن ترك. والشرط ملازم للأفعال الموالية (صبر - حاول - أظهر.)

(د) الكشر : الكشف عن الأسنان ابتساما.

27- رسالة في الوصاية بشخص

النص (أ) :

"حق موصل كتابي[1] إليك[2] عليك[3] كحقّه عليّ إذ رآك[4] موضعا لأمله رآني[5] أهلا[6] لحاجته، وقد انجزت[7] أنا[8] حاجته[9] فصدّق[10] أنت[11] أمله".

التعليق :

(أ) يبدو أن عبد الحميد وجه هذه الرسالة إلى أحد الأعيان. قال ابن خلّكان: "وكتب (عبد الحميد) على يد شخص بالوصاية عليه إلى بعض الرّؤساء: (النص) وفي البداية والنّهاية: "........... إلى بعض الأكابر".
وفي كتاب الكتّاب (ص30) " كتب عمرو بن مسعدة (مترسّل توفّي حوالي 832/217) لرجل كتابا بالوصاة به، موصّل كتابي إليك سالم، والسّلام".

[1] الغرر بالنهاية: "هذا الكتاب".
[2] "إليك". : ساقط في النهاية.
[3] "عليك": ساقط في الغرر والسّرح والبداية.
[4] السّرح : "جلعت"
[5] الوفيّات: "ورآنا"، والغرر والنهاية والسّرح والبداية: "ورآني".
[6] كتاب الكتّاب : "آهلا".
[7] البداية : "قضيت".
[8] "أنا" زيادة من البداية
[9] الوفيّات : "الحاجة"
[10] الغرر والنهاية "فحقق".
[11] أنت: زيادة من البداية

28- رسالة إلى مروان في حاجة

النص (أ) :

"إن الله بنعمته عليّ. لمّا رزقني المنزلة من أمير المؤمنين، جعل معها شكرها مقرونا بها، فهي تنص بالزّيادة والشّكر مصاحب لها، فليست تدخلني وحشة من إنباء حاجتي وأنا أعلم أنّه لو وصل إلى أمير المؤمنين علم حالي أغناني عن استزادته، ولكنّ تكنّفتني مؤن استنفضت (ب) ما في يدي، وكنت للخلف من الله منتظرا، فإنّي إنما أتقلّب في نعمه، وأتمرّغ في فوائده وأعتصم بسالف معروفه كان عندي".

التعليق :

(أ) يبدو أنّ عبد الحميد كان في ضائقة مالية عندما حرّر هذه الرّسالة. آنظر في هذا الحديث عن منزلته الاجتماعية صص 26-28 .

(ب) يقال آستنفضنا حلائبنا استنفاضا أي استقصينا في حلبها فلم نترك في الضّروع شيئا من اللّبن.

29- من رسالة في الناس

النص (أ) :

"... النّاس أخياف مختلفون، وأصناف متباينون، فمنهم على مضنّة (ب) لا يباع[1]، ومنهم[2] غلّ مظنّة[3] (ج) لا يبتاع.

__*التعليق :*__

(أ) عنوان هذه الّرسالة اعتباطيّ الهدف منه تمييزها عن غيرها. ورد في الوزراء والثّمار والوفيّات أن إبراهيم بن العبّاس الصّولي (وهو كاتب للمتوكّل) قال : وقد ذكر عبد الحميد عنده – : "ما تمنّيت كلام أحد من الكتّاب قطّ أن يكون لي مثل كلامها الا عبد الحميد حيث يقول في رسالة له : (النص). ويؤكّد وجود هذه الرّسالة هذا الخبر من الصّداقة والصّديق: قال زيد بن رفاعة : رأيت الوزير (ابن سعدان) اليوم يصف ندماءه بكلام يصلح أن يكتب على الأحداق، ويعرض على أهل الآفاق ليستفيده الكبير والصغير، قال : "أصحابي طرائق قدد (أي فرق مختلفة الأهواء) كما قال عبد الحميد: (النص). ويتبيّن من هذه الأقوال ما كان يتمتّع به عبد الحميد من صيت وتقدير لدى كتّاب الدّولة العبّاسيّة ووزرائها.

(ب) على مضنّة : أي نفيس يضنّ به

(ج) غلّ مظنّة : أي أنّه مقيّد بمظنّته (بموضعه) لا ينفق ولا يروح ولا يرغب فيه أحد. (أنظر الصّداقة والصديق : 78)

---

[1] الوفيّات : "لا تباع".
[2] "منهم" : ساقط في الوفيّات"
[3] الثمار : "ظنّة"

القسم الثاني : أقواله المأثورة

1- الكتّاب
2- بلغاء الكتّاب
3- البلاغة
4- البلاغة
5- البيان
6- خير الكلام
7- الخطّ
8- القلم والفكر والخطّ
9- علي بن أبي طالب
10- علي بن أبي طالب
11- صالح بن عبد الرحمان
12- الصّداقة
13- الجزاء
14- الدّنيا
15- الصّبر والشكر
16- الدّابة المركوبة.

1- الكتّاب :

"أكرموا الكتّاب فإنّ الله عزّ وجلّ أجرى أرزاق العباد على أيديهم[1]"

2- بلغاء الكتّاب :

إن كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء فعلى بلغاء الكتّاب[2].

3-4- البلاغة :

"البلاغة تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام[3]"

"البلاغة ما رضيته الخاصة وفهمته العامة[4]"

5- البيان:

"البيان في اللّسان والبنان[5]"

6- خير الكلام:

"خير الكلام ما كان لفظه فلاح ومعناه بكرا[6]"

7- الخطّ :

"الأرض الملساء وحشة، والروضة الزّهراء بهجة، فإذا نوّرت فقد انتهى حسنها، وكذلك الخطّ بلا نقط ولا إعجام كالأرض الملساء، والمنقوط المعجم كالرّوضة الزّهراء[7]".

8- القلم والفكر والخط:

"القلم شجر ثمرته اللّفظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة والبلاغة، (و) منهل فيه ريّ العقول الظّامئة، والخطّ حديقة زهرتها الفوائد البالغة[8]".

---

[1] عن : الوزراء والكتاب : 80 ؛ ثمار القلوب : 156 ؛ سرح العيون : 131؛ أمراء البيان : ج. 1 : 51

[2] عن : ثمار القلوب : 156
أمراء البيان : ج.1 : 51

[3] عن : زهر الآداب : ج.1 : 117
شرح مقامات الحريري للشريشي: ج. 4 : 67

[4] عن : غرر النصائص الواضحة للوطواط : 91
مطالع أنبدوز، ج.2 : 126

[5] عن : أمراء البيان : ج.1 : 51 ولم يذكر مصدره.

[6] عن : أمراء البيان : ج. 1 : 51

[7] عن : رسالة في علم الكتابة لتوحيدي : 45

[8] عن : أدب الكتّاب للصولي : 151 ؛ الوزراء والكتاب : 82 ؛رسالة في علم الكتابة : 139 ؛ ثمار القلوب : 156 ؛ وفيات الأعيان : ج.3.: 230 ؛ سرح العيون : 131. ؛البداية والنهاية : ج. 10 : 55 ؛ صبح الأعشى : ج.2 : 445؛ الفهرست : 242 ؛ الأحكام السلطانية

9 و 10 – في علي بن أبي طالب :

"حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت"[1]

"قيل لعبد الحميد بن يحي: ما الذي مكّنك من البلاغة وخرّجك فيها؟

فقال : حفظ كلام الأصلع. يعني أمير المؤمنين عليّا بن أبي طالب[2]

11- في صالح بن عبد الرّحمان :

"لله درّ صالح، ما أعظم منّته على الكتّاب"[3]

12- في الصّداقة :

"قيل له : أيّهما أحبّ إليك أخوك أم صديقك؟

فقال : "إنّما أحب أخي إذا كان صديقي[4]"

13- في الجزاء [5]:

"إن الله يعطي الكثير من الخير باليسير من العمل ويعفو عن العظيم من الذّنب بالصغير من الطلب. فيجزي الّذين أحسنوا بالحسنى"

14- في الدّنيا[6]:

"الدّنيا منازل فراحل ونازل"

15-الصّبر والشّكر[7]:

: 193 ؛ نهاية الأرب، ج. 8 : 200

والمقصود هو صالح بن عبد الرّحمان معرّب الدّواوين الفارسيّة بالعراق. قال عبد الحميد هذه القولة فيه بمناسبة هذا التعريب.

[1]عن : سرح نهج البلاغة ، ج. 1 : 41

أتى فيه : "أمّا الفصاحة فهو (أي عليّ بن أبي طالب) عليه السّلام، إمام الفصحاء وسيّد البلغاء. وفي كلامه قيل : دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلم النّاس الخطابة والكتابة. وقال عبد الحميد بن يحي: (القول)

[2]عن : الوزراء والكتّاب : 31

ثمار القلوب : 156

السّرح : 131

واستنتج الأستاذ عثمان الكعّاك من هذا القول نزعة شيعيّة عند عبد الحميد. ولا يخفى ما في هذا الاستنتاج من مبالغة. فالإعجاب بأدب الرّجل لا يعني اعتناق مذهبه.

[3]عن فتوح البلدان، القسم الثاني : 369.

[4]عن السّرح : 131.

وشبيهة بهذا ما حكاه التّوحيدي في الصّداقة والصّديق (ص.28) : "وقيل لابن المقفع: الصّديق أحبّ إليك أم القريب؟ . قال : القريب أيضا يجبّ أن يكون صديقا".

وأتى هذا القول في أدب الدّنيا والدين منسوبا إلى بعض قريش

أدب الدّنيا والدين : 167

[5]البصائر والذّخائر، ج. 7 : 221 – الفقرة عدد 471

[6]أدب الدنيا والدين : 125

[7]أدب الدنيا والدين : 294

"لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لو أن الصّبر والشكر بعيران ما باليت أيّهما ركبت

16- الدّابة المركوبة[1]:

"لا تركب الحمار، فإن كان فارها أتعب يدك وإن كان بليدا أتعب رجلك"

[1] البصائر والذخائر : ج.7: 111 – الفقرة 133

القسم الثالث : أشعاره

1- تأمل في الوفاء والغدر

2- زوال الدّنيا

3- تأمل في الوفاء والغدر

4- البكاء على الدّنيا

5- افتخار بالكتّاب

6- غزل

7- رأي في النّاس

جدول بياني للأشعار

عدد المقطوعة	عدد الأبيات	الغرض	البحر	القافية
1*	1	تأمل في الوفاء والغدر	الوافر	الباء
2*	6	زوال الدّنيا	الطّويل	الباء
3*	1	تأمل في الوفاء والغدر	الطويل	الرّاء
4*	6	البكاء على الدّنيا	المتقارب	اللاّم
5*	1	آفتخار بالكتاب	الطّويل	اللاّم
6*	2	غزل	الطّويل	الميم
7*	1	رأي في الناس	الرّجز	الميم

(1) نسبة هذه المقطوعة لعبد الحميد مشكوك فيها (انظر التّعليق عليها. ص 376)

قافية الباء

*1

(وافر)

(1) وذنبي ظاهر لا شك فيها   للائمة وغذري بالمغيب[1]

**2

(طويل)

(1) – وما سالم عمّا قليل بسالم   وإن نثرت أحراسه ومواكبه
(2) – وإن كان ذا باب شديد وحاجب   فعمّا قليل يهجر الباب حاجبه
(3) – ويصبح بعد الحجب للناس مفردا   رهينة بيت لم تستر جوانبه
(4) – فنفسك فآكسبها السّعادة جاهدا   فكل آمرئ رهن بما هو كاسبه
(5) – وما كان إلا الدّفن حتى تفرّقت   إلى غيره أفراسه ومواكبه
(6) – وأصبح مسرورا به كلّ كاشح   وأسلمه أحبابه وحبائبه

قافية الرّاء

***3

(طويل)

(1) أسرّ وفاء ثم أظهر غدرة   فمن لي بمذر يوسع الناس ظاهره[2]

---

*(*) رتّبت هذا الشّعر القليل المنسوب لعبد الحميد ترتيبا أبجديا حسب القوافي. والرّقم المشفوع بنجمة هو عدد المقطوعة في المجموع ويشير الرّقم الوارد بين قوسين إلى ترتيب البيت في المقطوعة. واعتمدت على هذين الرّقيمين معا في التّعليق أما في آختلاف الرّوايات – إن وجدت – فلم أعتمد إلا على الترقيم الثاني.
وقد ورد بعض هذا الشّعر ضمن أخبار عبد الحميد وأشرت إلى ذلك في التّعاليق المخصوصة.
وفي هذا الشّعر العديد من الإشارات التي تبرز نظرة عبد الحميد للحياة والموت. وهي نظرة فيها كثير من العاطفة والرّقة وأيضا كثير من الرّصانة والرّوح الزّهديّة.

[1] قال عبد الحميد هذا البيت عندما رفض أن يغدر بمروان بن محمد الذي سأله أن يتركه ويلتحق بالعبّاسيّين ليكتب لهم. وكان ذلك عند يقين مروان بالهزيمة أمام جيوش أبي مسلم الخراساني آنظر الخبر المتعلق بهذا: 401-402. الخبر عدد 12 .

**ورد في ترجمة سالم بن عبد الله الكاتب من تاريخ ابن عساكر أن عبد الحميد قال هذه الأبيات في جنازة هشام بن عبد الملك رواها عنه زياد الأعجم.
(1) اعتبر ابن عساكر أنّ "سالما المذكور هو سالم كاتب هشام أستاذ عبد الحميد في الترسّل.
والصّلة بعيدة بين تذكر عبد الحميد لسالم الكاتب وبين ظرف هذا التّذكر. وإن ألححنا على تبرير هذه العلة يمكن أن نفترض أنه كانت لسالم مكانة مرموقة تقوضت بموت هشام ولفتت انتباه عبد الحميد.
ويحسن أن نفهم كلمة "سالم" على أنها مجرد وصف قصد به الشّاعر التّعميم وبالتّالي إرسال المثل: ويذكر هذا الشعر بقصيدة بشار بن برد المشهورة في أبي حعفر المنصور (أو أبي مسلم الخراساني) :
(طويل)
أبا جعفر ما طول عيش بدائم   وما سالم عمّا قليل بسالم
(1-2-3) – في تاريخ ابن عسارك أن هذه الأبيات رويت للأصمعي بتغيير في البيتين 2 و 3.

***هذا البيت تعقيب لرفض عبد الحميد ترك مروان بن محمد بعد هزيمتهما. آنظر الخبر صص 401-402

[2] روي عجز البيت في الغرر: "فمن لي بعذر يشمل الناس ظاهره".

قافية اللاّم

4 *

(متقارب)

(1)- ترحّل ما ليس بالقافل   وأعقب ما ليس بالزّائل
(2)- فلهفي على الخلف النّازل   ولهفي على السّلف الرّاحل
(3)- أبكي على ذا وأبكي لذا   بكاء المولّهة الثّاكل
(4)- تبكي من ابن لها قاطع   وتبكي على ابن لها واصل
(5)- فليست تفتر عن عبرة   لها في الضّمير ومن هامل
(5)- تقضّت غوايات سكر الصبا   وردّ التّقى عندها الباطل

5 [6]

(طويل)

(7) إذا خرج الكتّاب كانت دويهم   قسيا وأقلام الدريذ لها نبلا

قافية الميم

6 *

(طويل)

(1) – كفى حزنا أنّي أرى من أحبه   قريبا ولا غير العيون تترجم
(2) – فأقسم لو أبصرتنا حين نلتقي   ونحن سكوت خلتنا نتكلّم

---

*لم تذكر المصادر ظروف هذه الأبيات، ووضعها ابن قتيبة في باب الزّهد من عيون الأخبار. ووصفها الطّبري بالشّعر المختار لعبد الحميد ومن المرجح أنه قال هذه الأبيات عند هزيمة المروانيين

[1] عيون الأخبار: "الآئل" . والشّعر والشّعراء والبصائر: "الآفل"

[2] الوزراء "فويلي". في العيون والشّعر والشّعراء والوزراء: "من الخلف" السّرح : "الذي خلف قادم (...) على سلف راحل.

[3] السّرح : "سأبكي" وفي تاريخ الطّبري: "بكاء مولهة ثاكل". وقلب الصّدر بالعجز والعجز بالصّدر في البصائر والذخائر.

[4] السّرح : "فتبكي"

[5] الشّعر والشّعراء: "صدر الصّبا". وفيه "عنق" وفي تاريخ الطّبري والوفيّات "عنت".

[6] قال عبد الحميد هذا لك سرورا نشاط الكتّاب. ولا يخص ما فيه من رفض شأن الكتّاب.
أنظر الخبر من 4 و 5 صص.393 – 394

[7] البداية: "كان دويّهم" وفيه أيضا "أقلام القسيّ" : وهو تحريف

* 7

(رجز)

(1) – النّاس أخياف وشتّى في الشّيم   وكلّهم يجمعهم نبت الأدم[1]

* لم يذكر التوحيدي صراحة صراحة بأنّ هذا البيت لعبد الحميد وإنما ذكره إثر رسالة قصيرة في النّاس مباشرة دون أن يفصل بينهما. وقد رجّحت أنّ قائلة هو عبد الحميد. (الرسالة. صص361-362) وربّما تعين المقارنة بين الرّسالة والبيت على تأكيد هذا الترجيح. فالمصدر واحدة تقريبا.

[1] الأدم : قشرة الأرض وما يظهر منها. وأديم الأرض: ترابها

القسم الرابع:
رسائل مشكوك في نسبتها إليه:

- رسالة إلى نصر بن سيّار
- رسالة إلى خالد القسريّ.

1- رسالة إلى نصر بن سيّار

النصّ [1]:

"إنّا حين ولّيناك خراسان(؟) والشّاهد يرى
ما لا يرى الغائب، فاحسم الثّؤلول[2] الّذي نجم عندك"

---

[1] اتّهم كثير من المؤرخين والأدباء القدامى عبد الحميد بإتلاف دولة بني مروان ومنهم الجاحظ في رسالته "ذمّ أخلاق الكتاب" حين قال إنّه "بتحامله على نصر بن سيّار انتقضت خرسان وزال ملك بني مروان. (ذمّ أخلاق الكتّاب: ضمن رسائل الجاحظ ج.2 . 202. ومنهم إبراهيم بن المهدي الذي يصف عبد الحميد بالكاتب المشؤوم لأنه تقلد وزارة مروان ولم يقتصر شومه على إتلافه فقط حتّى أزال دولة بني مروان جملة (الوزراء والكتّاب : 83). ويقران أبو عمر الزجّال معرفة أحد ممدوحيه بالسّياسة بجهل عبد الحميد بها. وضمّن مدحه أنّ نتيجة هذا الجهل كانت هزيمة أشياع مروان، يقول عن هذا الممدوح (طويل)

ولو كان من عبد الحميد مقرّبا   لما هزم السّفاح أشياع مروان

(أنظر القصيدة في نفح الطّيب: ج. 4: 41 – 42)

فهل كانت أسس هذه الاتهامات رسائل كتبها عبد الحميد؟

قرأت في بعض المصادر القديمة (أنظر التخريج) رسالة وجهها مروان بن محمّد إلى نصر بن سيّار. وكانت هذه الرّسالة سببا من أسباب نهاية الدولة الأمويّة. ففيها يرفض مروان أن يمد نصرا واليه على خرسان بالجيوش اللازمة لصد جحافل أبي مسلم.

وإن كنا لا نذهب إلى أن عبد الحميد كان المتصرّف في أمور السّيف لدى مروان فيمكن أن نرجح أن له تأثيرا في إصدار هذه الأمور نظرا لمكانته في البلاط الأمويّ، فلعلّ اتهامات الجاحظ وإبراهيم بن المهديّ تستند على هذا الأساس. ولعلّ عبد الحميد هو كاتب هذه الرّسالة.

تقول المصادر:

"لمّا ظهر أبو مسلم الخراساني سنة 746/129 هدّد نصر ابن سيّار فكتب نصر إلى مروان يستنجده:

(طويل)

أرى جذعا إن يثن لم يقوريض   عليه، فبادر قبل أن ينثني الجذع

وكان مروان مشغولا عنه بغيره من الخوارج بالجزيرة الفراتيّة وغيرها منهم الضحاك بن قيس الشيباني الحروري وغيره، فلم يجبه عن كتابه، وأبو مسلم يوم ذاك في خمسين رجلا، فكتب إليه ثانية قول أبي مريم عبد الله بن إسماعيل البجليّ الكوفيّ وهو من جملة أبيات كثيرة، وكان أبو مريم منقطعا... إلى نصر بن سيّار وكان له مكتب بخراسان:

(وافر)

أرى خلل الرّماد وميض جمر   ويوشك أن يكون له ضرام،
فإنّ النار بالعودين تذكى   وإن الحرب أوّلها كلام،
وإن لم تطفؤوها تجن حربا   مشمّرة يشيب لها الغلام،
أقول من التعجّب ليت شعري   أأيقاظ أميّة أم نيام؟
فإن يك قومنا أضحوا نياما   فقل قوموا فقد حان القيام؟
فصرّي عن رحالك ثم قولي   على الإسلام والعرب السّلام.

في تاريخ آداب نالينو نسبت هذه الأبيات إلى نصر نسفه(تاريخ آداب نالينو، 261 – 262).

فانتظر ابن سيّار ما يكون من مروان فجاءه جوابه وهو يقول: (النصّ)

[2] الثؤلول: الحبّة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها.

2- رسالة إلى خالد القسريّ[1] (أ)

النص[2] (ب):

....

....

1- "باسم الله الرحمان الرحيم[3]، أمّا بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يتحمله لك إلا لما أحب[4] من رب[5] الصّنيعة(3) قبلك، واستتمام معروفه عندك[6]، وكان أمير المؤمنين أحقّ من استصلح ما فسد عليه منك[7]، فإنّ تمد[8] لمثل مقالتك[9] وما بلغ أمير المؤمنين عنك.

رأى في معالجتك العقوبة[10] رأيه فإن النّعمة[11] إذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة، واستقل[12] العافية، ونسب ما في يديه إلى حيلته وحسبه وبيته ورهطه

[1]خالد بن عبد الله القسريّ. من خطباء العرب، ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة 707/89، وولاه هشام بن عبد الملك العراق سنة 722/105. ثم عزله عها وولاها يوسف بن عمر الثقفيّ سنة 737/120.
ترجمته في تاريخ ابن عساكر، ج.5: 67 والوفيّات، ج.2. 213. وغيرهما من كتب التّاريخ.

[2]أتى في كامل المبرّد أنّ عبد الله بن سالم كتب هذه الرّسالة سنة 737/119، ونقل القلقشندي في الصّبح قسما منها ونسبه إلى عبد الحميد الكاتب. ويختلف نصّ الصّبح اختلافا بسيطا عن نصّ الكامل.
وهذا الاختلاف ناتج – في أكثر الأحيان – عن سقوط بعض الحروف أو الألفاظ أو الجمل.
وعبد الله هذا هو – على الأرجح – ابن سالم مولى هشام بن عبد الملك أستاذ عبد الحميد في التّرسّل. كتب للوليد بن عبد الملك (742/12 – 743/126) (وردت الإشارات إليه في آخر هذه الرّسالة من كامل المبرّد وأيضا في الوزراء والكتّاب : 68 وفي إعتاب الكتّاب لابن الآبار: 62 – 63 . يقول: "ولعله ابن لسالم وكتبا جميعا لهشام والمعروف منهما سالم"). ويقول حسين نصّار اعتمادا على الكامل إنّ عبد الله بن سالم كاتب أموي تتلمذ على أبيه وأنه معاصر لعبد الحميد (نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربيّ : 124)
فهل تكفينا هذه الإشارات للإقرار بوجود هذا الكاتب أو على الأقل للقول بنسبتها له خلافا على ما في الصّبح من أنها لعبد الحميد؟
كنت أشرت في ماسبات عديدة إلى دور كتّاب الدواوين في تأليف بعض الرّسائل السّياسيّة في العهد الأمويّ وكنت أكدت على ثقة الخلفاء بهم. إلا أنّ لهذه الثقة حدودا مرتبطة بمقدرة الكاتب. ولم تفدنا الكتب الأساسيّة للأدب العربيّ أو كتب الكتّاب بأنّ لعبد الله بن سالم تجربة ورسوخ قدم في التّرسّل السّياسيّ. والمصادر الوحيدة التي ذكرته اعتمدت على الكامل أي على اسمه المذكور آخر هذه الرّسالة. يقول ابن الآبار في إعتاب الكتّاب: "أورد أبو العبّاس المبرّد في الكامل من تأليفه رسالة هشام بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القسريّ، وفي آخرها: وكتب عبد الله بن سالم سنة 119، فلعله ابن له(أي لسالم).
ونتساءل إن لم تكن لفظة "كتب" تعني فقط نسخ.
وتجدر الإشارة إلى أنّ عبد الحميد كان يتمتّع بثقة هشام بن عبد الملك ثقة تامّة فقد كتب له رسالة كان الغرض منها تهدئة المسلمين باليمن من الإرجاف في الفتنة (أنظر رسالة عبد الحميد إلى يوسف ابن عمر في السّلاسة صص 311-312)
وتزيدنا لهجة هذه الرسالة العنيفة بعض الثقة في نسبتها لعبد الحميد كما في الصابح. فهي قريبة مما اعتدناه في كتاباته الأخرى من شدة وقسوة (أنظر مثلا رسالته في الحث على لزوم الطاعة ورسالته إلى بعض الخوارج ص 319 و ص 322) قال أبو العبّاس المبرّد إنّ "سبب هذه الرّسالة إفراط خالد في الدّالّة (أي الجرأة) على هشام وأنه أخذ ابن حسّان النبطيّ (وكيل هشام على ضياعه في العراق) فضربه بالسّياط (وسبب ذلك أن امرأة أتت خالدا.
فقالت : أصلح الله الأمير؟ إني امرأة مسلمة، وأن عاملك فلان المجوسي وثب عليّ فأكرهني على الفجور وغصبني نفسي، فقال لها: كيف وجدت قلفته؟ فكتب بذلك حسّان النّبطيّ إلى هشام (عن الوفيّات، ج.2 : 229) فبعث حسّان بقميصه إلى أبيه، وفيه آثار الدّم فأدخله أبوه إلى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من إفراط الدالة واحتجان الأموال، وكفر أسداه إليه من توليته أياه العراق فكتب هشام إلى خالد (النص) (عن الكامل: ج.4: 125)

[3]البسملة ساقطة في الصّبح
[4]الصّبح : "إلا ما أحبّ"
[5]الصّبح : "من ربّ صنيعته"
[6]الصّبح : "إليك"
[7]الصبح : أحقّ من أصلح ما قصد منك"
[8]الصّبح : "فإنك إن عدت".
[9]انظر هذه المقالة في بقيّة الرّسالة
[10]بالعقوبة: ساقط في الصّبح
[11]"الكامل" : "إنّ النّعمة".
[12]الصّبح : "واستثقل

وعشيرته[1]، وإذا[2] نزلت به الغير، وانكشطت عنه عماية الغيّ والسلطان[3]، ذلّ منقادا وتدم حسيرا وتمكن منه عدوّه قادرا عليه، قاهرا له[4].

ولو أراد أمير المؤمنين مكافأتك بلفظك، ومعالجة أفسادك[5]، لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك، وعظيم زللك[6] (حيث تقول لجلسائك: "والله ما زادتني ولاية العراق شرفا، ولا ولاني أمير المؤمنين شيئا لم يكن من قبلي ممن هو دوني يلي مثله". ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجّاج في أهل العراق في تلك المضايق الّتي لقي، لعلم أنّك رجل من بجيلة*.

فقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك، وخزائنك حتّى قلت: "أطعموني ماء**" دهشا وبعلا*** وجبنا فما استطعتم إلا بأمان ثمّ أخفرت ذمّتك*، منهم رزين(؟) وأصحابه)[7].

3- ولعمري[8] أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطئك[9] في مجلسك، وجحودك فضله إليك[10]، وتصغير ما أنعم به عليك، فحلّ العقدة، ونقض الصّنيعـــــــة[11]، وردّك إلى منزلة أنت أهلها، كنت لذلك مستحقا[12]♥.

4- فهذا حدّك يزيد بن أسد، قد حشد* مع معاوية في يوم صفّين وعرّض له دينه ودمه، فما اصطنع إلا عنده، ولا ولاّه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين وولاّك، وقبله من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك: من كندة وغسّان وآلا ذي يزن وذي كلاع وذي رعين، في نظرائهم من بيوتات قومهم: كلّهم أكرم أوّليّه، وأشرف إسلامًا من آل عبد الله بن يزيد♦: ثمّ آثرك أمير المؤمنين لولاية العراق بلا بيت رفيع، ولا شرف قديم، وهذه

---

[1]الصّبح: "ونسب ما هو فيه إلى حيلته وحسن نيّته ورهطه وعشيرته"
[2]الكامل: "فإذا".
[3]الصّبح: "وانكشفت عماية العشى عنه"
[4]الصّبح: "وقاهرا له"
[5]الكامل: "ولو أراد أمير المؤمنين إفسادك"
[6]الصّبح: "جمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك"
*كان هشام يعيّر كثيرا خالدا بانتسابه إلى بجيلة (أنظر مثلا رسالته إليه ردا على كتاب غاظه في الجمهرة، ج.2: 414، الرّسالة عدد 455 يقول له فيها: "كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفا وانت من بجيلة القليلة" ويبدو لي أنّ التّعبير أعلاه ليس من تأليف عبد الحميد (أو عبد الله بن سالم) فهو محذوف في الصّبح (الاختلاف (1) من الصفحة الموالية) كما أنّ هذا النّوع من الشّتائم يقلّ في رسائل عبد الحميد.
**وذلك أن جماعة من الثائرين خرجوا عن خالد سنة 737/119 في عشرين أو أربعين رجلا، وعرف ذلك وهو على المنبر فدهش وقال: "أطعموني ماء". عين الجمهرة: ج.2: 403 – التعليق السّادس).
***بعل بالأمر: اندهش فلم يدر ما يصنع
*أخفر الذّمة: نقض العهد.
[7]ما بين قوسين ساقط في الصّبح.
[8]"أن": ساقط في الصّبح.
[9]الصّبح: "بلفظك"
[10]الصّبح: "عليك".
[11]"وتصغير ما أنعم به عليك فحلّ المقدة ونقض الصنيعة" وتساقط في الصّبح
♥هنا تقف روايتا الصّبح وأمراء البيان. ولعلّ بقيّة الرّسالة قسم مستقلّ تمام الاستقلال عن هذه المقدّمة العامّة.
[12]الصّبح: "لردّك إلى ما كنت عليه، ولكنت مستحقا".

*كان يزيد بن أسد من شيعة معاوية. وقام في أهل الشّام يوم صفّين فخطبهم خطبة يحرّضهم فيها على القتال. (عن الجمهرة. ج. 2: 404 التعليق الثالث)
♦عبد الله بن يزيد: أبو خالد القسريّ

البيوتات تعلوك وتغمرك وتسكنك وتتقدّمك في المحافل والمجامع عند بدأة الأمور وأبواب الخلفاء.

5- ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك* لعالجك بالّتي كنت أهلها، وإنها منك لقريب مأخذها، سريع مكروهها، فيها- إن أبقى الله أمير المؤمنين – زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك، فيما ضيّعت وآرتكبت بالعراق، من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم¯ وتسلّطهم عليهم، نزع بك إلى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك[1]، فبئس الجنين أنت يا عديّ نفسه".

6- وإن الله عز وجلّ لما رأى إحسان أمير المؤمنين إليك وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك، فأصبحت تنتظر سقوط النعمة، وزوال الكرامة، وحلول الخزي فتأهّب لنوازل عقوبة الله بك، فإنّ الله عليك أوجد، ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك** بما أتيت أمرا أمرا فقد نسيته وأحصاه الله عليك.

7- ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك فيما عرفك به من التسرّع إلى حماقتك، في غير واحدة، منها القرشيّ الّذي تناولته بالحجاز ظالما، فضربك بالسوط الذي ضربته به(4)، مفتضحا على رؤوس رعيّتك، ولعلّ أمير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك، فإن يفعل فأهله أنت وإن يصفح فأهله هو.

8- ومن ذلك ذكرك زمزم، وهي سقيا الله وكرامته لعبد المطّلب، وهذا لاحيّ من قريش، تسميها أم جعار* فلا سقاك الله من حوض رسوله، وجعل شرّكما لخيركما الفداء♥♦. ووالله أن لو لم يستدلل أمير المؤمنين على ضعف نحائزك[2]، ويوء تدبيرك، إلاّ بفسالة دخائلك، وبطانتك وعمّالك.

9- والغالية عليك جاريتك الرائفة** بائعة الفهود، ومستعملة الرّجال، مع ما أتلفت من مال الله في "المبارك"♥* فإنّك ادعيت أنّك أنفقت عليه اثني عشر ألف درهم،

---

*الغرب : الحدّ

¯كان خالد متهما في دينه، وروى صاحب الأغاني أنه كان زنديقا وأنّ أمّه نصرانية فكان يولي النصاري والمجوس على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم، وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات يطئونهن فيطلق لهم ذلك لا يغير عليهن. (نقلا عن الجمهرة. ج.2 : 405 . التعليق الثاني)

[1]يقصد أمّه النصارنيّة .

**بكت : قرّع .

*أمّ جعار : الضّبع. سمّيت بذلك لكثرة جعرها أي نجوها. وكان خالد يسمّي زمزم أم الجعلان. يريد أنها نتنة خبيثة الرّائحة، ويملأ حوضا إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم وخطب يوما على منبر مكة فقال: "إنّ إبراهيم خليل الله قد استسقى ربّه، فسقاه ملحا أجاجا، واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فراتا". نقلا عن جمهرة رسائل العرب. ج.2 ص: 406. التعليق عـدد4)

♥♦أخذه من قول حسّان في مدح النبيّ وهجاء أبي سفيان قبل السلامة

(وافر)

هجوت محمدا فأجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء   فشر كما لخيركما الفداء

[2]النحائز: ج. نحيزة : الطبيعة

**راف البدويّ يريف: أتى الرّيف: وهي أرض فيها زرع وخصب.

♥*المبارك: نهر بالبصرة احتفره خالد لهشام.

والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان، ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله، وضيعت من أمور المسلمين، وسلّطت من ولاة السوء على جميع أهل كور عملك، تجمع إليك الدّهاقين** هدايا النّيروز والمهرجا، حابسا لأكثره، رافعا لأقلّه، مع مخابث مساويك الّتي قد أخّر أمير المؤمنين تقريرك بها.

10- ومناصبتك أمير المؤمنين في مولاه حسان، ووكيله في ضياعه وأحوازه في العراق، وإقدامك على ابنه بما أقدمت به، وسيكون لأمير المؤمنين في ذلك نبأ إن لم يعفـ عنك، ولكنه يظنّ أنّ اللّه طالبك بأمور أتيبتها، غير تارك لتكشيفك عنها.

11-وحطك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة** وتوجيهك أخاك أسدا إلى خراسان مظهرا العصبية بها، متحاملا على هذا الحيّ من مصر~*. قد أتت أمير المؤمنين - بتصغيره بهم، واحتقاره لهم، وركوبه إياهم - الثّقات، ناسيا لحديث زرنب وقصص الهجريين، كيف كانت في أسد بن كوز** فإذا خلوت أو توسّكت ملأ فاعرف نفسك، وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النّقم فيك، وآعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا أشدّ عليك وأفسد لك، وقبل أمير المؤمنين خلف منك كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم، وفيهم عوض منك، والله من وراء ذلك"

وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة.

**الدّهاقين: ج. دهقان: زعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم(معرّب)

**الوظائف : ج. وظيفة: وهي ما يقدّر من رزق في زمان معيّن،
وعمر بن هبيرة هو والي العراف قبل خالد.

~*استعمل هشام خالد بن عبد الله على العراق وخراسان. فولى خالد أخاه أسدا على خراسان. فتعصّب أسد حتّى أفسد النّاس... فكتب هشام إلى خالد: أعزل أخاك، فعزله (سنة 727/109 عن الجمهرة . ج.2 : 408 التّعليق عدد 2).

**قال أحمد زكيّ صفوت نقلا عن الأغاني: "كان كرز بن عامر جدّ خالد آبقا عن مواليه عبد القيس من هجر، ويقال انّ أصله من يهود تيماء.. فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمة بن شنّ الكاهن، ثمّ وهبوه لقوم من طهيّة، فكان عندهم حتّى أدرك وهرب فأخذته بنو أسد بن خزيمة، فكان فيهم وتزوّج مولاة لهم، يقال لها زرنب، ويقال إنها كانت بغيّا، فأصابها فولدت له أسد بن كرز... عن الجمهرة ج.2: 408 التعليق عدد 3.
ولهذا التعليق بقيّة توضيحات أخرى.

القسم الخامس : أخباره

1- حديث نبويّ
2- ملازمة عبد الحمبد لمروان
3- داية عبد الحميد
4- قلم الكاتب
5- استخبار عبد الحميد للكتاب
6- عبد الحميد وكتبة الديوان
7- إعجاب عبد الحميد بكلام علي بن أبي طالب.
8- إعجاب عبد الحميد ببلاغة مروان بن محمّد
9- محاورة بين عبد الحميد وابن المقفّع.
10- نصيحة عبد الحميد لمروان
11- اختفاء عبد الحميد عند عبد الله بن المقفع
12- وفاء عبد الحميد لمروان
13- بين المنصور وعبد الحميد
14- مكانة عبد الحميد عند المنصور
15- افتخار إسماعيل بن عبد الحميد بكتابة أبيه
16- رأي إسماعيل بن عبد الحميد في كتابة أبيه
17- بين يحي بن خالد البرمكي وإسماعيل بن عبد الحميد
18- بين رغبان الحمّصي ويزيد بن عبد الحميد
19- بين إبراهيم بن المهديّ وعليّ بن محمّد بن عبد الحميد

1- حديث نبوي

الحديث♥ :

قال رسول الله (ص): "إذا كتبت باسم الله الرحمان الرحيم فبيّن السّين فيه".

♥أوردت هذا الحديث النبويّ ضمن هذه الأخبار لأن له صلة بعبد الحميد فقد رواه عن أستاذه سالم كاتب هشام عن عبد الملك بن مروان عن زيد بن ثابت. وروى يحي ين خالد بن برمك هذا الحديث عن عبد الحميد .
أنظر بغية الوعاة : 454

2- ملازمة عبد الحميد لمروان

الخبر♦:

اتّصل (عبد الحميد) بمروان الجعدي قبل أن يصل إلى الخلافة وصحبه وانقطع إليه، فلمّا جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه إلا عبد الحميد.

فقال له مروان : "لم لا تسجد"؟

فقال : "ولم أسجد"؟"على أن كنت معنا فطرت منّا"؟

يعني بالخلافة.

فقال: "إذن تطير معي".

قال: "الآن طاب السّجود".

وسجد.

♦ينسب هذا الخبر في الوزراء والكتاب، 59 إلى سعيد بن الوليد الكلبيّ(؟) مع هشام بن عبد الملك (عند ما تولى الخلافة) ولا يخفى أن هذا الاشتراك يضعف من قيمة هذا الخبر.

3- دابة عبد الحميد

الخبر:

(...) وساير عبد الحميد يوما مروان على دابّة* قد طالت مدّتها في ملكه، فقال له مروان: "قد طالت صحبة هذه الدابّة لك". فقال: "يا أمير المؤمنين إن من بركةالدّابة طول صحبتها وقلّة علّتها[1]". قال: "فكيف سيرها؟ قال: "همّها أمامها، وسوطها عنانها، وما ضربت قطّ إلا ظلما•.

---

*هي في النّهاية: بغلة. وأورد القلقشنيدي الخبر في فصل: "ذكر ما وصفت به البغال".

[1]"وقلّة علفها": ساقط في النّهاية. وفي الثّمار : "طول صحّتها"

•في ثمار الثّعالبي: "حكي أن عبد الله بن طاهر (مترسّل كتب في الدّواوين العبّاسية) خاطب المأمون في دابّة رآها تحته بهذا الخطاب بعينه. وقد يجوز أن يكون حكى كلام عبد الحميد". كما يجوز أن يكون عبد الحميد حكى كلام روح بن عبد الملك (؟) ففي بغال الجاحظ (رسائل الجاحظ : ج.2: 217) "كتب روح بن عبد الملك بن مروان إلى وكيل له: ابغني بغلة حصّاء الذنب، عظيمة المحزم، طويلة العنق سوطها عنانها، وهواها أمامها".

وقد ذكر الجاحظ في مواضع عديدة من كتاب البغال أن ركوب البغال من داب الأشراف (أنظر مثلا ص 216 وما بعدها من رسائل الجاحظ ج. 2.

4- قلم الكاتب

الخبر :

قال إبراهيم بن جبلة* : "رآني عبد الحميد الكاتب أخطّ خطا رديئا بقلم قصير البرية. فقال لي: "أتحب أن يجود خطّك؟" قلت : "نعم" . قال: "أطل جلفة قلمك وأسمنها وحرّف قطتك وأيمنها".

ففعلت فجاد خطّي.

*هكذا في جلّ المصادر. وفي كتاب الكتاب والصنّاع : رغبان الحمّصيّ. أمّا في تاريخ بغداد فهو أحمد بن يوسف، وهذا غير ممكن زمنيّا. إذ توفي أحمد بن يوسف سنة 213 / 828 تقريبا أي بعد عبد الحميد بأكثر من سبعين سنة.
وسبق التعرّف على هؤلاء الأعلام أثناء تعديد تلامذة عبد الحميد صص 36– 38.

5- استخبار عبد الحميد للكتّاب

الخبر[♣] :

كان عبد الحميد إذا استخبر الكاتب في كتابته فكتب "خبرك وحالك وسلامتك" فصل بين هذه الأحرف.

ويقول : "قد استكمل كلّ حرف منها آلته، ووقع الفصل عليه".

♣(أ) : يبدو أنّ عبد الحميد قد ترأس الدّواوين في بعض فترات حياته ممّا مكنه من تلقين الكتبة النّاشئين. ولعلّ ذلك كان في عهد مروان بن محمد. (أنظر إشارتنا إلى ذلك في فصول ترجمته ص 25)

6- عبد الحميد وكتبة الديوان♥

الخبر :

"وري عن عبد الحميد بن يحي أنّه خرج ذات يوم إلى الدّيوان فرأى ثمانية أولاد يحرّرون الكتب فسرّ بهم وقال :

(طويل)

إذا خرج الكتّاب كانت قسيّهم دويّا وأقلام الدويّ لها نبلا.

♥يبدو عبد الحميد – في هذا الخبر – شغوفا بمنهة الكتابة ولعله يقصد بالأولاد نسّاخ الرّسائل السّياسيّة في ديوان الخلافة. ويبدو أيضا أن عبد الحميد كان رئيسا لهذا الديوان.

7- إعجاب عبد الحميد بكلام علي ابن أبي طالب

الخبر * :

قيل لعبد الحميد بن يحي: "ما الذي مكنك من البلاغة وخرّجك فيها؟"

فقال : "حفظ كلام الأصلح"

يعني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب.

* إعجاب عبد الحميد بكلام عليّ يتجلى أيضا في عرض أقواله الأخرى. (أنظر القولين عدد 9 و 10 ص 366.)

8- إعجاب عبد الحميد ببلاغة مروان بن محمد

الخبر :

قال عبد الحميد الكاتب، تعلّمت البلاغة من مروان بن محمد، أمرني أن أكتب في حاجة إلى أخ له فكتبت على قدر الوسّع. فقال لي، اكتب ما أقول لك:

"بآسم الله الرّحما الرّحيم، أما آن للحرمة أن ترعى وللدّين أن يقضي، وللموافقة أن تتوخّى؟

9- محاورة بين عبد الحميد وآبن المقفّع

الخبر :

(...) وروي أنّ عبد الحميد لقي ابن المقفّع* فقال له: "بلغني عنك شيء أكرهه" فقال: "لا أبالي" وقال: "لم"؟ ، قال "لأنه إن كان باطلا لم تقبله، وإن كان حقّا عفوت عنه".

*رجّع محمّد كرد علي (أمراء البيان 2. 1: 122) أنّ صاحب القول المكروه هو ابن مقفع : ولم يفسّر ترجيعه. كما استنتج من ، ا الخبر أنّ ابن المقفع يحسن التخلّص – وبدوري ألمس في هذا الخبر تقديرا من ابن المقفع لعبد الحميد – إن صحّ الخبر.

10- نصيحة عبد الحميد لمروان

الخبر* :

وكان عبد الحميد قال لمروان حين رأى علوّ أمر بني العبّاس: أتتهمني فيه:

قال : لا

فقال له: أرأيت إبراهيم بن محمّد بن عليّ[1]، أليس آبن عمّك؟

قال : بلى

قال: فإني أرى أموره تنبغ عليك، فانكحه وانكح إليه، فإن ظهر كنت قد أعلقت بينك وبينه شيئا، وإن كفيت لم تشن بعهره،

فقال: ويحك، والله لو علمته صاحب مما حب الأمر لسبقت إليه ولكن ليس بصاحبه،

فقال له: وما يضرّك من ذلك وهو من القوم الّذين تعلم أن الأمر منتقل إليهم لا محالة، ومن الصّواب أن تعلن بينك وبينهم شيئا.

فقال : والله إني لأعلم أنّ الرأي فيما تقول ولكنّي أكره أن أطلب النّصرّ من أحراج النّساء.

---

*الخبر في تاريخ الطبريّ مرويّ عن آبن لعبد الحميد عن أبيه.

[1] إبراهيم بن محمد بن علي: زعيم الدعوة العبّاسية قبل ظهورها. قبض عليه مروان عندما علم بأمره وزجّه في السّجن ثم قتله في حبسه. فكانت البيعة من بعده سرّا لأبي العبّاس السّفاح.

11- اختفاء عبد الحميد عند ابن المقفّع

الخبر :

طلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب وكان صديقا لابن المقفّع ففاجأهما الطّلب وهما في بيت.
فقال الذّين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد؟
فقال كلّ واحد منهما:
أنا.
خوفا من أن ينال صاحبه مكروه.
وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفّع. فقال: ترفّقوا بنا فإن كلاّ منّا له علامات. فوكّلوا بنا بعضكم، ويمضي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجّهكم . ففعلوا. وأخذ عبد الحميد.

12- وفاء عبد الحميد♣

الخبر :

لمّا قوي أمر بني العبّاس وظهر، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحي كاتبه: إنّا نجد في الكتب أن هذا الأمر زائل عنّا لا محالة وسيظهر إليك هؤلاء القوم – يعني ولد العبّاس فصر إليهم فإني لأرجو تتمكّن منهم فتنفعني في خلفي وفي كثير من أموري♥

فقال : فكيف لي بعلم النّاس جميعا أن هذا عن رأيك، وكلّهم يقول: إنّي غدرت بك وصرت الى عدوّك؟ وأنشد :

(طويل)

أسرّ وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال:

(وافر)

وذنبي ظاهر لا شك فيه للائمة وعذري بالمغيب

فلمّا سمع مروان ذلك علم أنّه لا يفعل، ثم قال لعبد الحميد: إن الذي أمرتني به، لأنفع الأمرين لك واقبحها بي، ولك عليّ الصّبر معك إلى أن يفتح الله عليك اوأقتل معك.

{أمسك~ عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية. فقال:

"والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضّرّاء وحين البأس} ♦

♣نجد هذا الخبر مبثوثا في ترجمات عبد الحميد وفي كتب التاريخ. كما نجده في فصول خاصة بالوفاء والغدر وحفظ العهد من كتب الأدب.

- كتاب السلطان من "عيون الأخبار"
- باب الوفاء والغدر من "العقد"
- ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة من "النهاية"

♥أتى في الغرز أنّ مروان قال لعبد الحميد: إنّي قد احتجت أن تكون مع عدوّي فتظهر لهم الغدر بي فإنّ إعجابهم بأدبك وحاجتهم إليك تمنعهم منك وتدعوهم إلى حسن الظن بك فإن استطعت أن تنفعني في حياتي وإلا فلا تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي.

~ما بين معقفين زيادة في الغرر

♦البقرة (2)، الآية (177)

13- بين المنصور وعبد الحميد

الخبر :

لمّا زال أمر مروان أتى المنصور بخواصّ، مروان وفيهم عبد الحميد والبعلبكي المؤذّن وسلاّم الحادي فهمّ بقتلهم جميعا، فقال سلام: استبقني يا أمير المؤمنين فإنّي أحس الحداء، قال : وما بلغ من حدائك؟. قال تعمد إلى إبل وتطمئها ثلاثا ثم نوردها الماء فإذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتدح الشّرب ثم لا تشرب حتى أسكت. فأمر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الأمر كما قال، فآستبقاه وأجازه وأجرد عليه رزقه.
وقال البعلبكي (المؤذّن) : استبقني يا أمير المؤمنين فإنّ مؤذّن منقطع القرين. قال : وما بلغ آذانك؟ قال : تأمر جارية فتقدّم غليك طستا وتأخذ بيدها إبريقا وتصبّ الماء على يدك فآبتدئ بالآذان فتدهش ويذهب عقلها حتّى تلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم. فأمر المنصور جارية فأعدت إبريقا فيه ماء وقدمت إليه طستا وجعلت تصبّ عليه، ورفع البعلبكيّ صوته بالآذان فبقيت الجارية شاخصة وألقت الإبريق من يدها، فآستبقاه وأجازه وأجرى عليه الرّزق وصيّر أمر الجلس إليه.
وقال له عبد الحميد الكاتب : استبقني يا أمير المؤمنين، قال : وما عندك: قال : أنا ابلغ أهل زماني في الكتابة، فقال له المنصور : أنت الذي وعلمت بنا الأفاعيل وعلمت بنا الدّواهي. فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثمّ ضرب عنه.
{ويروي أنه سلمه إلى عبد الجبّار فكان يحمي له طستا ويضعه على بطنه حتى قتله}*

---

*ما بين معقفين زيادة وردت في الثمار تابعة لهذا الخبر وفي الوفيّات تابعة لخبر آخر هو :
"لما قتل مروان بن محمد الأمويّ آستخفى عبد الحميد بالجزيرة، فغمز عليه، فأخذ ودفعه أبو العبّاس، وأظنّه السّفاح، إلى عبد الجبّار بن عبد الرّحمان صاحب شرطته، فكان يحمّى له طستا بالنّذر ويضعه على رأسه حتى مات"
الوفيات III : 230
وفي الوزراء والكتّاب تبعت هذه الزّيادة خبرا ثالثا هو :
"ولمّا قتل عامر بن إسماعيل المسلّمي مروان ظفر بعبد الحميد كاتبه فعرض عليه رؤوس القتلى لأنه قتل في ستة أو سبعة من خواصه وكانوا معه. فعرّفه رأسه. وحمل عبد الحميد إلى أبي العبّاس فسلمه إلى عبد الجبّار بن عبد الرّحمان فكان يحمي طستا ويضعه على (الوزراء والكتّاب :79).

14- مكانة عبد الحميد عند المنصور

النصّ :

وكان أبو جعفر المنصور كثيرا ما يقول بعد إفضاء الأمر إلى بني العباس :
"غلبنا بنو مروان بثلاثة أشياء: بالحجاج وبعبد الحميد بن يحي الكاتب والمؤذّن البعلبكي.

15- افتخار إسماعيل بن عبد الحميد بكتابة أبيه

الخبر :

(...) وقال إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب* وذكر عنده الكتّاب. فقال: من إذا قرأ كتابه* الناس توهّموا أنّهم يحسنون مثله فإذا تعاطوا ذلك لم يقدروا عليه.

---

*إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب : كاتب اشتهر في العهد العبّاسي، سبقت ترجمته: (ص 38)

*لعله يقصد كتابته.

16- رأي إسماعيل بن عبد الحميد في كتابة أبيه

التخريج:

وذكر عبد الحميد بن يحي الكاتب يوما في مجلس فيه جماعة من الكتّاب فقال إسماعيل آبنه* – وكان حاضرا يسأله (؟) أن يصف ما عنده من المعرفة ببلاغته ليكون ذلك مأثورا عنه محفوظا منه – فقال:

"كان الكتاب قبل عبد الحميد حروفا جريدة، متقطعة الأوصال عن معاني التّأليف، منقوصة القوى عن مذاهب المعاني، غير مؤنّقة للأسماع ولا مستوعبة الحجج، تدلّ على أعيان الأشياء دلالة ضعيفة، وتخبر عن القلوب إخبارا غير كاف، وتؤدي إليها تأدية غير شافية، وكانت حروف الكتّاب على قدر غنائهم، وكان غناؤهم على أقدار هممهم في البلاغة دون ورود بحور الأفها/ وفتح عيون ينابيع الكلام على رسم من التشقيف والتّأليف والتّشبيه والأمثال قد كان عليه الشّعراء ثم تلاهم في مثله الخطباء.

فلمّا أفضت الأمور في ذلك إلى عبد الحميد راض صعاب الكلام فسهّلها، وركب ذللها فآمتهنها، ثم وصّله توصيلا أظهر زينته، وألّفه تأليفا ألبسه حليته واستنبط الرّأي من خزائنه استنباطا قويّا، وآستقصى المعاني من وجوهها استقصاء شافيا، وصرّف الحجج، وصنّف الأمور، وفتق عنها أكمامها، وهتك عن القلوب حجبها، وقذف في الأسماع منافعها، وآنتظم كلام المتكلّمين، وخطّب المتنطّعين، وشعر السالفين، ومواعظ الواعظين، فصيّر ذلك منهاجا قام فيه سبقه وبرز فيه ميله، وذهب فيه شأوه، وأبان فيه فضله، وثبتت فيه رئاسته، ووجب به على أهل صناعته حقّه وشكره، ونالوا منه منزلة شرف كانوا لها متمنين، وركبوا به طريقة فضل كانوا عنها مقصّرين، فصارت لهم الوزارة، وعندهم الكفاية ولهم فضائل الأدب، وصارت كتبه محكمة باقية دائمة دافعة يحتذي عليها الباقون، ويتمثّلها المتطلّعون. ينتمي إليها الأمثلون، ويعرف فضلها السابقون من أهل زمانه والآخرون.

فمن أحسن منّا، يا معشر الكتّاب، فإنّ من آتبع من عبد الحميد أثرا إليه ينسب إحسانه، ومن قصّر فغير متّهم على الإجهاد والاحتياط، ولا ملوم على التقصير عن مساواة فضله، وبالله التّوفيق♥.

---

*إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب : كاتب اشتهر في العهد العبّاسي، سبقت ترجمته (ص 38 من هذا البحث)

♥أنظر الخبر الموالي، الصفحة الموالية

17- بين يحي بن خالد البرمكي وإسماعيل بن عبد الحميد

النص :

(...) فنمي هذا الكلام♦ إلى يحي بن خالد* بأعجبه ووجّه إلى إسماعيل• فأحضر وبين يديه وضع عليه دفتر كبير فقال: "يا إسماعيل أتدري ما بين يديّ؟" قال: "نعم، مصحف" قال: "لا، ولكن رسائل أبيك فإنا ما نلتمس شيئا يريد (؟) أن يويّد به الملك إلا وجدنا أباك قد سبقنا إليه"

♦أي رأي إسماعيل بن عبد الحميد في ترسّل أبيه، أنظر الصفحة السّابقة
*يحي بن خالد البرمكي وزير هارون الرّشيد أحد تلامذة عبد الحميد. سبقت الإشارة إليه ضمن تلامذة عبد الحميد. ص. 38
•إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب أحد الكتاب المشتهرين في العهد السياسي وتلميذ أبيه. ترجمته: ص38.

18- بين يزيد بن عبد الحميد ورغبان الحمّصي

النص :

(...) وقال بعض الكتّاب : "رأيت رغبان الحمّصي* وهو آخذ بيد يزيد بن عبد الحميد بن يحي وهو غلام وقد رفع إلى المهدي في ضياع لهم. فوقع المهدي برده♠ على ولد عبد الحميد كل ما أفاده♥ عبد الحميد في أيام مروان"

قال : فجعل رغبان يقول : "يا معشر الكتّاب آحفظوا عبد الحميد في ولده، تحفظون في أولادكم" (هكذا)

فقاموا بأجمعهم في أمره إلى أن صار إلى أفضل محبّته

---

*رغبان الحمصي أحد تلامذة عبد الحميد. سبقت الإشارة إليه (ص37)

♠في كتاب الكتّاب : يرده. ولا يستقيم المعنى بها.

♥امتلكه، ويبدو أنّ يزيد بن عبد الحميد أتى يشتكي (عند المهدي) في أمر ضياع افتكها العباسيون بعد انتهاء الأمويين بصفتها من أملاك أحد أنصار الأمويين وأعداء الحكم القائم. فقبل المهدي الشكوى ووقع برد جميع ممتلكات عبد الحميد التي أفادها في أيام مروان (بن محمد) إلى أولاده.

19- بين إبراهيم بن المهدي وعلي بن محمد بن عبد الحميد.

الخبر :

قال يوسف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدي[♦]: سمعت إبراهيم بن المهديّ يقول لعليّ[*] بن محمد آبن أبي المهاجر وقد فخر بذكر جدّه وذكر تقدّمه في صناعته وفضله وأدبه بلاغته:

"إنّ عبد الحميد كان أشأم كاتب على وجه الأرض لأنه تقلّد وزارة مروان، لم يقتصر شؤمه على إتلافه فقط حتى أزال دولة بني مروان جملة ولم يكتف في مروان إلا بالقتل".

♦ابراهيم بن المهدي. أخوها دون الرشيد كانت له البداية الطوالي في الغناء والشرب بالملاهي وحسن المنادمة وكان عزيز الأدب فصيحا شاعرا.
ولد سنة 778/162 وتوفي سنة 838/224
عن الوفيات : ج1 : 39 ومابعدها

*أي حفيد عبد الحميد الكاتب. سبقت الإشارة إليه ص16.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر القديمة :

1- ابن المقفّع، عبد الله (ت 760/142) - الأدب الصغير والأدب الكبير
دار صادر، بيروت. ب. ت.

2- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت 838/224)- كتاب الأمثال
تحقيق عبد المجيد قطامش
دمشق. ب. ت.

3- البغدادي، أبو موسى عبد الله (ت 868/225) - كتاب الكتّاب وصفة الدّواة والقلم وتعريفها
تحقيق ونشر دومينيك سوردال
ضمن مجلة الأبحاث الشّرقية
المجلد 14، 1952-1954.
ص 115 وما بعدها.

4- الجاحظ، أبو عثمان عمرو (ت حوالي 873/260) - البيان والتّبيين
دار الفكر للجميع، 1968.

5- - الحنين إلى الأوطان

6- - ذم الأخلاق الكتاب

7- - القول في البغال

8- - القيان
(ضمن) رسائل الجاحظ
تحقيق عبد السّلام محمد هارون
مكتبة الخانجي، القاهرة. 1965.

9- لبت قتيبة، أبو محمد عبد الله (ت 889/276) - الإمامة والسّياسة(أو تاريخ الخلفاء)
تحقيق طه محمد الزّيني
مؤسّسة الحلبي، بيروت. ب. ت.

10- – الشّعر والشعراء
ليدن، 1902.

11- – عيون الأخبار
دار الكتب المصرية.1925/1343

12- – كتاب المعارف
دار الكتب المصرية. 1960

13- البلاذري، أبو جعفر أحمد (ت 892/279)
– فتوح البلدان
تحقيق صلاح الدّين المنجّد
مكتبة النهضة المصرية،
القاهرة 1956

14- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد الهمذاني (ت. بعد 892/279)
– كتاب البلدان (أو مختصر كتاب البلدان). ليدن، 1882.

15- أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود (ت 895/282)
– الأخبار الطنيئوال
تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدّين الشيال
طبع وزارة الثّقافة، القاهرة 1960.

16- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 895/282)
– تاريخ اليعقوبي
المكتبة المرتضريّة بالنّجف،
العراق 1358

17- المبرّد، أبو العبّاس محمد (ت 898/285)
– الكامل في اللغة والأدب
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
دار النّهضة، مصر. ب. ت.

18- الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (ت 922/310)
– تاريخ الأمم والملوك
مكتبة خيّاط، بيروت. ب. ت.

19- الاصطخري، أبو إسحاق الفارسيّ (ت حوالي 321-933)
– مسالك الممالك
ليدن، 1927.

20- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد (ت 939/328)
– العقد الفريد
تحقيق محمد سعيد العريان،
القاهرة. 1953/1372.

21- قدامة بن جعفر (البغدادي الكاتب)
– نقد النّثر

(توفي حوالي 330/941)
نشر طه حسين وعبد الحميد العبادي، القاهرة. 1950.
واستفدت من هذا الكتاب بتوطئة طه حسين له وعنوانها تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر.

22- الجهشياري، أبو عبد الله محمد (ت 331/942)
- كتاب الوزراء والكتاب
تحقيق مصطفى السّقا وإبراهيم لأبياري وعبد الحفيظ شلبي.
مطبعة الحلبي. 1938.

23- المّولي، أبو بكر محمد (ت 335/946)
- أدب الكتّاب
تحقيق محمد بن بهجة الأثري، القاهرة 1341/1922.

24- السعودي، أبو الحسن عليّ (ت 346-956)
- التّنبيه والإشراف
بيروت. 1905.

25-
- مروج الذّهب ومعادن الجوهر.
مطبعة السّعادة. مصر 1948.

26- الاصبهاني، أبو الفرج عليّ (ت 356/966)
- الأغاني
طبعة القاهرة 1963.

27- ابن النديم، أبو الفرج محمد (ت 385/996)
- الفهرست، (أو فهرس العلوم).
طبعة ليبزيك 1872.

28- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد (ت 387/997)
- مفاتيح العلوم
القاهرة 1352/1933.

29- العسكري، أبو هلال، الحسن (ت 395/1004)
- ديوان المعاني
مكتبة القدسي القاهرة 1352/1933.

30-
- كتاب الصّناعتين، الكتابة والشعر.
تحقيق علي محمد بجاي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1952.

31- التّوحيدي، أبو حيان عليّ (ت 401/1010)
- الامتاع والمؤانسة.
تحقيق أحمد الزّين وأحمد أمين.

القاهرة 1939-1944.

32- - البصائر والذّخائر
تحقيق إبراهيم الكيلاني
دمشق 1964-1968.

33- - الصّداقة والصّديق (رسالة)
تحقيق وشرح علي متولي صلاح.
القاهرة 1972.

34- - في علم الكتابة (رسالة)
(ضمن) ثلاث رسائل
تحقيق إبراهيم الكيلاني
دمشق 1961.

35- الحصري، أبو اسحاق إبراهيم (ت 1022/413)
- زهر الآداب وثمر الألباب.
تحقيق علي محمد البجاي
مصر 1953.

36- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت 1037/429)
- ثمار القلوب في المظّاف والمنسوب
القاهرة 1908.

37- - يتيمة الدّهر في محاسن أهل المصر
القاهرة 1934.

38- الماوردي، أبو الحسن (ت حوالي 1057/450)
- الأحكام السلطانية،
مطبعة الوطن، مصر 1298 هـ.

39- - أدب الدنيا والدّين
دار اقرأ. بيروت 1981.

40- البغدادي، الخطيب (ت 1071/463)
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام.
نشر دار مكتبة الحياة. بيروت ب. ت

41- المهداني، أبو الفضل أحمد (ت 1124/518)
- مجمع الأمثال
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
مصر 1959/1379.

42- ابن عساكر، أبو القاسم علي (ت 1175/571)
- التاريخ الكبير أو تاريخ دمشق
تحقيق عبد القادر أفندي بدران.

(مطبوع جزئيات بدمشق 1330/1911)
استفدت منه في تخريج شعر لعبد الحميد.
(ج 6) وتوجد ترجمة عبد الحميد فيما بقي
مخطوطات منه (ج. 9 : 404)
عن معجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة
(ج. 5 : 106)

43- الشريشي، ابو العباس أحمد (ت 618/1222)
- شرح مقامات الحريري
تحقيق عبد المنعم خفاجي
مصر 1300/1882.

44- ياقوت الحموي، شهاب الدين (ت 626/1233)
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى
معرفة الأديب) تحقيق مارجليوت.
مصر 1923-1931.

45- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن (ت 630/1238)
- الكامل في التّاريخ (المعروف بتاريخ
ابن الأثير، القاهرة 1356/1937.

46- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح (ت 637/1245)
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من
الكلام المنثور، تحقيق مصطفى جواد
وجميل سعيد.
طبعة المجمع العلميّ العرقيّ 1956.

47- - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
مطبعة نهضة مصر 1380/1960.

48- ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد (ت 656/1257)
- شرح نهج البلاغة،
تحقيق الشّيخ حسن يميم،
بيروت 1967.
الرمز : شرح النّهج.

49- - الفلك الدائر على المثل السائر.
مطبوع في آخر المثل السائر لابن الأثير
(انظر المصدر عدد 47 أعلاه)
مطبعة نهضة مصر، القاهرة
1380 /1960.

50- ابن الابار القضاعي، أبو عبد الله محمد (ت 1261/659) — اعتاب الكتاب
تحقيق صالح الأشتر
دمشق 1961/1380.

51- ابن خلكان، أبو العباس أحمد (ت 1082/681) — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان.
تحقيق إحسان عباس
دار الثقافة، بيروت 1972-1973.

52- ابن سعيد المغربي، علي بن سعيد (ت 1286/685) — عنوان المرقصات والمطربات
طبعة مختارة، نشر عبد القادر
محداد، الجزائر 1949.
وطبع هذا الكتابْ كاملا بمصر سنة 1286 بمطبعة المعارف : ولم أتمكّن من الإطلاع على هذه الطّبعة الّتي تشمل على ما يبدو على رسالة عبد الحميد إلى فرق العرب.
(النظر أمراء البيان، ج 1 : 87).

53- ابن منظور (ت 1311/711) — لسان العرب
طبعة يوسف خياط، بيروت ب. ت.

54- الوطواط، أبو اسحاق جمال الدّين (ت 1318/718) — غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة.
المطبعة الأدبية المصريّة 1318/ 1900.

55- النّويري، شهاب الدين أحمد (ت 1332/732) — نهاية الأرب في فنون الأدب
نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ب. ت.

56- ابن نباتة المصري، جمال الدين أبو بكر (ت 1368/768) — سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، الاسكندرية 1973/1290

57- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت 1372/774) — البداية والنّهاية في التاريخ
مطبعة السّعادة، مصر ب. ت.

58- ابن خلدون، عبد الرحمان (ت 1405/808) — المقدّمة
دار إحياء التراث العربي، بيروت ب.ت.

59- الغزولي، علاء الدين (ت 1412/815) — مطالع البدور في منازل السرور
القاهرة 1299 هـ.

60- القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين (ت 1418/821)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء
نسخة مصورة عن الطّبعة الأميرية الّتي صدرت سنة 1914/1323 بوزارة الثقافة بالقاهرة. وصنف محمد قنديل البقلي فهارس هذا الكتاب ونشرها بالقاهرة سنة 1972.

61- السّيوطي، عبد الرّحمان، جلال الدّين (ت 1505/911)
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1908/1326.

62- المقّري، أحمد بن محمد (ت 1631/1041)
- نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
تحقيق إحسان عباس
دار صادر، بيروت 1968/1388.

2- المراجع الحديثة باللّغة العربيّة :

63- بروكلمان، كارل - تاريخ الأدب العربيّ،
عربه عنّ الأصل الألماني عبد الحليم النّجّار،
دار المعارف، مصر 1968.
الرّمز : تاريخ أدب بروكلمان

64- - تاريخ الشّعوب الإسلامية
عرّبه عن الألمانية أمين فارس ومنير بعلبكي.
دار العلم للملايين، بيروت 1968.

65- البغدادي، إسماعيل باشا - إيضاح المكنون، في الذّيل عن كشف الظنون من أساسي الكتب والفنون.
مكتبة المتنبّي، بغداد ت.ت.

66- - هديّة العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.
طبعة اسطانبول 1951.

67- بلا، شارل - الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء
عربه عن الأصل الفرنسي إبراهيم الكيلاني
دار اليقطة العربية، دمشق 1961.

68- بلبع، عبد الحكيم - النّثر الفنيّ وأثر الجاحظ فيه
القاهرة 1955.

69- الجندي، إنعام - الرّائد في الأدب العربي
دار الرّائد العربيّ، بيروت 1979.

70- أبو جيب، سعدي - مروان بن محمد وأسباب سقوط الدّولة الأمويّة
بيروت 1972.

71- الحاجري، طه - الجاحظ، حياته وآثاره
دار المعارف بمصر 1962.

72- حسين، طه - تمهيد في البيان العربي من الجاحظ

إلى عبد القاهر
منشور في أول كتاب نقد النثر المنسوب
لقدامة ابن جعفر(947/337)
القاهرة 1950.

73- – في الأدب الجاهليّ
دار المعارف بمصر 1969.

74- حسين، طه – من حديث الشّعر والنّثر
دار المعارف بمصر 1968

75- حسيني، مولود – الإدارة العربية
مكتبة الآداب، القاهرة 1958.

76- حمزة عبد اللطيف – ابن المقفع
دار الفكر العربي، 1966.

77- الخراساني، محمد غفراني – عبد الله بن المقفع
طبعة القاهرة 1965

78- داغر، يوسف أسعد – مصادر الدراسة الأدبية.
لبنان 1950.

79- خربوطلي، علي حسن – تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي
(السياسي والاجتماعي والاقتصادي)
دار المعارف بمصر 1959
الرمز : تاريخ خربوطلي

80- رفاعي، أحمد فريد – عصر المأمون
دار الكتب المصرية 1928.

81- الريس، محمد ضياء الدين – النظريات السّياسية الإسلامية
دار المعارف بمصر 1969.

82- الزركلي، خير الدين – الإعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال
والنساء من العرب والمسعربين
والمستشرقين
طبعة مصر 1954.

83- زيدان، جرجي – تاريخ آداب اللغة العربية
مكتبة الحياة، بيروت ب. ت.
الرمز : تاريخ آداب زيدان
84- سركيس، يوسف الياس – معجم المطبوعات العربية المعربة
مطبعة سركيس بمصر 1346/1928.
85- ابن سلامة، البشير – تطوّر الجملة العربية عند المولّدين
الفكر (عدد خاص : دراسات إيرانية)
ص ص 33-37، السنة 17، عدد 1، أكتوبر 1971.
86- سيد، فؤاد – فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية
القاهرة، دار الرياض 1954.
واستفدت من هذا الفهرس بوصفه لمخطوطي كتاب اختيار المنظوم والمنشور لأحمد بن طيفور (280 / 893).
ويعد اختيار المنظوم والمنشور من أقدم المصنفات التي جمعت رسائل عبد الحميد.
انظر تحليل مصادر الترجمة ص ص 214 وما بعدها من هذه الدراسة.
87- صفوت، أحمد زكي (جمع) – جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة
مطبعة الحلبي، مصر 1933.
88- – جمهرة رسائل العرب (جمع)
القاهرة 1937.
89- صمود، حمادي – التفكير البلاغي عند العرب، اسسه وتطوره إلى القرن السادس
منشورات الجامعة التونسية 1981.
90- ضيف، شوقي – الفنّ ومذاهبه في النثر العربي
دار المعارف بمصر 1971.

91- طحان، ريمون - الألسنية العربية
دار الكتاب اللبناني، بيروت 1972.
92- طلس، محمد اسعد - عصر الاتساق (تاريخ بني أمية)
دار الأندلس، بيروت 1958.
93- عباس، احسان - ملامح يونانية في الأدب العربي
بيروت 1977.
94- الفاخوري، حنا - تاريخ الأدب العربيّ
المكتبة البوليسية
حريصا، لبنان 1951
الرمز : تاريخ أدب فاخوري
95- فروخ، عمر - تاريخ الأدب العربي
القاهرة 1961
الرمز : تاريخ أدب فروخ
96- فوزي، فاروق عمر - مقال، الجند الأموي والجيش العباسي
مجلة آفاق عربية
السنة الخامسة، تشرين الأول، عدد 2، ص ص 27 وما بعدها.
97- فيصل، شكري - المجتمعات الإسلاميّة في القرن الأول
نشأتها، مقوماتها، تطورها اللّغوي والأسلوبي
دار العلم للملايين ب. ت.
98- كامل، مراد - دلالة الألفاظ العربية وتطورها.
(مخاطرات)
القاهرة 1963.
99- كحالة، عمر رضا - معجم المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب العربية،
مصر 1958.
الرمز : معجم كحالة.
100- كرد علي، محمد - أمراء البيان،

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،
القاهرة 1948.
101- - رسائل البلغاء (جمع وتصنيف)
دار الكتاب العربي
القاهرة 1913/1331 (طبعة ثانية)
102- كرستنن، أرثور - إيران في عهد السّاسانيين
عربه عن الأصل الفرنسي يحي الخشاب
القاهرة 1957.
103- الكعاك، عثمان - عبد الحميد الكاتب (محاضرة)
وهي من وحي منبر ثقافي أقامته جمعية
الاتحاد الصفاقسي الزيتوني
طبعة تونس 1953 (32 صفحة).
104- الكك، فكتور - سر ابن المقفع أديب العقل (مسرحية)
دار الكتاب اللبناني 1973.
وقعت الاستفادة من المقدمة التي صدر بها
المؤلّف فكتور الكك مسرحيته وكذلك من
تعصيب شكوى فيصل على المادة
التاريخية والسياسية للمسرحية.
105- مارجليوث - دراسات عن المؤرخين العرب.
عرّبه عن الأصل الفرنسي حسين نصار
دار الثقافة، بيروت ب. ت.
106- مبارك، زكي - النّثر الفني في القرن الرابع
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
القاهرة 1931.
107- مخزومي، مهدي - في النحو العربي
منشورات المكتبة العصرية،
صيدا 1964.
108- المقدمي، أنيس - تطور الأساليب النثرية في الأدب
العربي، بيروت 1960.

109- المولى، أحمد جاد - أيام العرب في الجاهلية
جمع وتحقيق أحمد جاد المولى ومحمد البجاي ومحمد أبو الفضل ابراهيم
الطبعة الأولى، القاهرة 1941/1961.

110- عبد القادر المهيري - تقديم كتاب : البلاغة العامة لجون ديبوا وفريق M
حوليات الجامعة التونسية 1971
عدد 8، ص ص 21 وما بعدها.

111- - مقال : الجملة في نظر النحاة العرب
حوليات الجامعة التونسية 1965
عدد 3، ص ص 35 وما بعدها.

112- - مقال : مساهمة في تحديد الجملة الاسمية
حوليات الجامعة التونسية 1968
عدد 5، ص ص 7 وما بعدها.

113- ميكال، اندري - الأدب العربي
ترجمة رفيق بن وناس، صالح حيزم، الطيب العشّاش،
تونس 1980.

114- أبو ناظر، موريس - مقال : مفهوم اللغة في الالسنية البنيوية
مجلة الفكر العربي المعاصر
مارس 1983، عدد 25، ص 55 وما بعدها.

115- ناعته، حسني - الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري،
مؤسسة الرسالة، حلب 1978.

116- نالينو، كارلو - تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية

دار المعارف بمصر 1970. ·

117- نصار، حسين - نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، القاهرة 1954.

118- النص، احسان - الخطابة العربية في عصرها الذهبي دار المعارف بمصر 1963.

119- يونس، عبد الحميد - مقال:الكاتب الأول عبد الحميد الكاتب مجلة الهلال سبتمبر 1973.

3- المراجع الحديثة باللّغة الفرنسيّة

120- **ANONYME**
Article : Le portrait du parfait secrétaire selon
'Abd-al-Hamid b. Yahya
Publié en arabe et en français
In : Faits et Idées
N° IIs – 20 Février 1960
Publication du centre religieux de documentation
« LA SOURCE »
RABAT – AGDAL

121- **DUBOIS J. ET GROUPE M**
Rhétorique générale
Ed. Larousse 1970.

122- **DURI A. A.**
Article : Dïwān
In Encyclopédie de l'Islam
2e Edition
T. II, PP. 332 SS.

123- **GIBB. H. A. R.**
Article : 'Abḍ-al-Hamid b. Yahya
In encyclopédie de l'Islam
2e Edition
T. I, P. 67.

124- **GRIGNACHI, Marie**
Article : Les « Rasā' » 'Aristatalisa
IIa – I – 'Iskandar de Salim 'A bu-I-'Ala' et l'activité
Culturelle à l'époque om ayyade
In : Bulletin d'études orientales
T. XIX PP. 7 – 83.

125- Article : Quelques spécimens de la littérature sassanide
In : Journal Asiatique
T. CCLIV 1966.
Fascicule I. Numéro spécial.

126- **LECOMPTE, Gérard**
Ibn Qutayba, l'Homme, son œuvre, ses idées

Publication de l'Institut français de Duras, 1965.
127- **MARCAIS, William**
Article : Les origines de la prose littéraire arabe
Leçon d'ouverture du cours de : lange et littérature
Arabe « professé au collège de France.
In : Revue Africaine
T. LXVIII PP. 15-28

128- **PELIAT, Charle**
Article : La prese arabe a Bagdad
In : ARABICA
T. IX 1962 PP. 407 SS.
Article : Variation sur le thème d'Adab
In : Correspondances d'Orient
N° 5-6, 1964.

129- SOURDEL, Dominique
Le livre des sécrétaires de Bagdad
(Introduction et publication)
In : Bulletin d'études orientales T. XIV 1954 PP. 115 SS.

الفهرس العام



المغاربية للطباعة والإشهار
الهاتف : 683 837 70 216+ / 867 837 70 216+
الفاكس : 975 838 70 216+

... أنّه فتح للغة العربية آفاقا تعبيرية واسعة فقد جدّد مواضيع الرّسالة ونوّعها وبعد أن كانت قبله مجرّد خواطر وبدائه سياسيّة أو وعظية تفتقر إلى عناصر التحليل صارت معه نصحا وسخرية، ترغيبا وتهديدا، شكرا وعتابا، مدحا وذمّا. ورسائله بما دلّت عليه من رصانة وتروّ في الفكر وصبر على تحليل الغرض وتنويع في أساليب عرضه، تعدّ منارة يستدلّ بها الكاتب والناقد على نفاذ النصوص النثرية في أداء المعنى المطلوب مهما كان هذا المعنى مستعصيا على النثر قريبا من الشّعر.

أنّه استطاع أن يتحرر من الظّواهر اللغوية السّائدة في النّثر كبداوة اللغة وقوة اللهجة وإيجاز القول وما إلى ذلك من العادات الخطابية.

وما تمّ هذا إلاّ بفضل ما وقّره من توسّع وتفنّن في التّعبير على مستويات اللفظية والجملة والتّركيب والفكرة.

أن رسالته إلى الكتّاب تعدّ حجز الزّاوية للإدارة الإسلامية فقد ات... بها مهمّا تهم الديوانيّة وأدوارهم السّياسية وآدابهم المهنية ...

ISBN : 978-9973-28-219-4

الثمن : 12 دت / 15 €